



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

استراتيجيات الخطاب في آيات المكنى والمبنى والأعلام

المُبَهِّمَة في القرآن الكريم

رسالة تقدمت بها الطالبة

رغد حمزة خضير عباس

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة .

بإشراف

الأستاذ الدكتور

كاظم داخل جُبَيْر الجبوري

٢٠٢١م

١٤٤٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(ال عمران : ١٦٥)

شكر وعرفان

الحمد لله أولاً وآخراً ، والحمد لله ظاهراً وباطناً أحمده الله وأشكره على أن منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة ، فالحمد لله والشكر حمداً طيباً مباركاً فيه . وصلّ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد شكر الله وحمده ، أتقدم بالشكر الوافر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور (كاظم داخل جُبَيْر) ، الذي كان متفضلاً عليّ بإشرافه على رسالتي وكانت توجيهاته ، وملاحظاته كالتنديد تضيء لي فأمضي سائرة في ضباب الفكر صوب كل ما يصحح مسارات هذه الرسالة ، فكان خير من تابع ودقق وصوّب وقوّم عثراتي برسوخ علمه فجزاه الله خير الجزاء . و أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع الأساتيد الكرام الذين ذلّوا لنا طريق العلم في قسم اللغة العربية ، وزملائي من طلبة الدراسات العليا . وأتقدم بخالص الشكر لأسرتي وأهلي ولكل من أعانني بكلمة منه أو دعوة فلهم مني كل التقدير .

رغد

الإهداء

إلى

من بانحناء ظهره استقيمت والدي - رحمه الله - ...

من ذبل غصن عمرها ليخضر غصني والدتي - حفظها الله - ..

من كانت لي خير صديقة كرائم - رحمها الله - ...

من كان لي خير مُعين نزوجي حفظه الله ..

قرّة عيني بناتي وولدي الحبيب ..

من ساندوني بعطفهم واهتمامهم أُخوتي وأخواتي وأصدقائي ..

مسرد الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣-١	مقدمة
١٨-٥	التمهيد (العلم القرآني واستراتيجيات الخطاب)
٥	العلم لغة واصطلاحا
٦	الكنية في اللغة والاصطلاح
٨-٧	تقسيمات الكنى
١٠-٨	أغراض الكنية
١١	العلم المبهم
١٤-١٢	أسباب الإبهام في القرآن الكريم
١٧-١٤	الخطاب لغة واصطلاحا
١٧	الخطاب والسياق
١٨-١٧	مفهوم الاستراتيجية وتصنيفاتها
٤٨-٢٠	الفصل الأول : الاستراتيجية التضامنية
٢١	مفهومها
٢٤-٢١	مسوغات الاستراتيجية التضامنية
٤٨-٢٤	الإشارات
٣٠-٢٦	الإشارات الشخصية
٣٨-٣٠	الإشارات الزمانية
٤٢-٣٨	الإشارات المكانية
٤٣-٤٢	الإشارات الخطابية

٤٥ - ٤٤	التصغير
٤٨ - ٤٥	التنغيم
٧٨ - ٥٠	الفصل الثاني : الاستراتيجية التوجيهية
٧٩ - ٥١	الاستراتيجية التوجيهية
٥٢	مفهومها
٥٦ - ٥٣	- مفهومها عند الغربيين
٥٩ - ٥٨	مسوغات الاستراتيجية التوجيهية
٧٤ - ٦٠	التوجيهيات الطلبية المباشرة (الأمر ، النهي ، الاستفهام)
٧٥	دلالة التنغيم في التوجيه
٧٧	التحضيض والعرض
٩٦ - ٨٠	الفصل الثالث : الاستراتيجية التلميحية
٨٢ - ٨٠	مفهومها
٨٦ - ٨٢	نظريات تمت لها بصلة
٨٦	مسوغات الاستراتيجية التلميحية
٨٩ - ٨٧	الطلبيات غير المباشرة (الأمر ، النهي ، الاستفهام)
٩٣ - ٨٩	الاستراتيجية التلميحية بالآليات البلاغية (التشبيه ، الاستعارة ، الكناية ، التعريض).
٩٦ - ٩٤	الاستلزام الحواري
١٤٠ - ٩٨	الفصل الرابع: استراتيجية الإقناع
١٠٠ - ٩٨	توطئة
١٠٠	مسوغات استراتيجية الإقناع
١٠٣ - ١٠٢	أصول الإقناع بالحجاج
١٠٤	آليات الإقناع
١٠٩ - ١٠٥	الأدوات اللغوية : ألفاظ التعليل (اللام ، كي ، مِنْ ، المفعول لأجله)

١٢١ - ١٠٩	الأفعال اللغوية : (الاستفهام ، النفي ، الوصف)
١٣٠ - ١٢١	الآليات البلاغية : (تقسيم الكل إلى اجزائه ، الاستعارة ، التمثيل ، البديع)
١٤٠ - ١٣١	آليات الإقناع شبه المنطقية
١٣٣-١٣٢	الروابط الحجاجية
١٤٠ - ١٣٣	العوامل الحجاجية
١٤٣-١٤٢	الخاتمة
١٥٩ - ١٤٥	المصادر والمراجع
A - B	ملخص باللغة الإنكليزية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

قد حظي القرآن الكريم بعناية واهتمام من الدارسين والباحثين منذ أن تلقاه الرسول الأكرم وإلى يومنا هذا ، وسيبقى هذا التسابق بين الدراسات اللغوية وغيرها لفهم النص القرآني ، والوقوف على أسرار إعجازه ، وسيظل الباحثون ينقبون في سياقاته لفهم معانيه ومعرفة غاياته ومقاصده ؛ لتنوع خطابه باختلاف مخاطبيه ، فتوحد المرسل والرسالة وتعدد المتلقين ، واختلاف أجناسهم وطبيعتهم ، فهو خطاب للإنس والجن ولجميع المخلوقات ، وعليه فلا بد أن تتعدد طرق الخطاب تبعاً لاختلاف المخاطبين ، ولتحقيق الغايات اشتمل على (الاستراتيجيات) مع ما يمتلكه من كفاية تداولية وتواصلية ، ومن ثمّ نجاح عملية التخاطب ، وتحقيق الأهداف والمقاصد .

والنص القرآني موجه إلى الناس كافة ، فهو يخاطبهم في كل زمان ومكان ، ومن ثمّ جعل من المتلقي فاعلاً في الخطاب ، وله دور المشارك في القراءة والتأويل للنص للوصول إلى الغاية ، فيمكنها إدراكها بناء على ما يمتلكه من معارف ، أو السياق ، وهذا ما تسعى إليه التداولية التي جعلت من الخطابات عملية تواصلية بين المتكلم والمتلقي ولا يمكن عزلهما عن الخطاب . وبما أن المرسل في القرآن متصف بالكمال وهو العالم والمحيط والمهيمن عليه بكل شيء ما جعل خطابه تتسم بما تدركه عقولنا ، فخاطبنا تبعاً لما نفهمه ، فاختلف طرق الخطاب في القرآن تبعاً لطبيعة المخاطب ، الذي يحتاج من يوجهه ويوضح له الحقائق ، أو من يقنعه حين يحتاج أمّا التقرب والتودد فكان بين الحوارات المحكية عن البشر في القصص وغيرها .

وقد اختارت الباحثة عينة البحث هي الآيات المشتملة على المكنى والمبنى الأعلام المبهمة وهاتان ثيمتان تحلمان الخفاء والستر حين استعمالهما ولا بد أن يكون من ورودهما في بعض الخطابات غايات ومقاصد فاستعمالهما في الخطاب يكون للتعاوض والتأزر لتحقيق الاستراتيجية التي اختارها المتكلم ، فكان البحث موسوماً بـ (استراتيجيات الخطاب في آيات المكنى والمبنى والأعلام المبهمة في القرآن الكريم) .

وقد جاء البحث في أربعة فصول سبقت بمقدمة وتمهيد وشققت بأهم النتائج .

فالتمهيد : يحمل تعريف العلم وتقسيماته ، والكنية وتقسيماتها وأغراضها ، والمبهمات وأسبابها ، وتعريف الخطاب ، والاستراتيجية .

وكان الفصل الأول : يحمل عنوان الاستراتيجية التضامنية ، وذكرت فيه المبدأ الذي تقوم عليه عند الغرب والعرب ، وعرفتْها وذكرت مسوغاتها وتناولت الأدوات والآليات التي يوظفها المتكلم لتحقيق هذه الاستراتيجية . وكان اختيار الآيات مقصوراً على المحكي عن البشر ، فلم نتناول الآيات المشتملة على خطاب بين الله وانبيائه ولا العكس ، ولا الآيات التي هي خطاب للناس كافة .

الفصل الثاني : ويحمل عنوان الاستراتيجية التوجيهية وجعلت من الأفعال الكلامية المباشرة موضوع لهذا الفصل ، وتناولت تعريفها ، وما طرحه الغرب عنها ، ومراحلها ، وذكرت مسوغاتها ، واقتصرت على الطلبات (الأمر ، النهي ، الاستفهام) ، ودلالة التنعيم في التوجيه ، والتخصيص والعرض .

أما الفصل الثالث : ويحمل عنوان الاستراتيجية التلميحية وجعلت من الأفعال الكلامية غير المباشرة مادةً لهذا الفصل ، وذكرت النظريات التي تمت بصلة لها ، وذكرت مسوغاتها ، واعتمدت على الطلبات (الأمر ، والنهي ، والاستفهام) ، وعلى التلميح بالآليات البلاغية (التشبيه ، والاستعارة ، والكناية) ، وكذلك التعريض ، والاستلزام الحواري .

أما الفصل الرابع : فقد جاء بعنوان الاستراتيجية الإقناعية بدأ البحث بمقدمة حول التفريق بين الوسيلة والاستراتيجية ، فبعض البحوث تحمل اسم استراتيجية الحجاج ، والحجاج وسيلة وليس استراتيجية بحسب ما جاء به الشهري . وذكرت تعاريف الحجاج ، ومسوغاته وأصوله ، وتناولت آليات الإقناع ، والأدوات اللغوية ، والأفعال اللغوية ، والآليات البلاغية ، والسلم الحجاجي . وأخيراً تناولت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها .

أما المنهج الذي اتبعته فهو المنهج التحليلي التداولي .

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة هي ما يتعلق بتطبيق منهج حديث على نص قرآني ، كما إنه من النادر جداً أن تذكر التفاسير سبب ورود الكنية ، أو سبب الإبهام في النص القرآني وتكاد تنعدم فيها ، ولكنني حاولت الإفادة من تفسير المفسرين للنصوص ، وكانت استعانتني بكتبهم هي الأكثر مساهمة في تذليل الصعوبات ، ثم كتب الدراسات الحديثة منها كتاب الشهري (استراتيجيات الخطاب) ، وطه عبد الرحمن (اللسان والميزان) ، ومحمود نحلة (آفاق جديدة في البحث اللغوي) ، ومسعود صحراوي (التداولية عند العرب) ، وأبو بكر العزاوي (اللغة والحجاج) . ولا أزعج جِدّة موضوع الرسالة فقد سبقني باحثون في هذا الميدان لهم دراسات أفدت منها ك (استراتيجيات الخطاب لآيات الغيب دراسة تداولية) أطروحة دكتوراه للباحثة رعد عبد جامعة الكوفة / كلية الآداب ، و رسالة الماجستير الموسومة بـ (كتاب المراجعات دراسة في استراتيجيات الخطاب) للباحث علي محمد علي جامعة بغداد / كلية ابن رشد .

وفي الختام اشكر الله الذي منَّ عليَّ بنعمه وفضله وتوفيقه لإكمال البحث ، واتقدم بالشكر إلى
أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور (كاظم داخل جُبَيْر) الذي كان وجود بلمساته لتوجيهي وإرشادي
فلم يدخر جهداً في إبداء ملاحظه ، فبارك الله له في علمه وجزاه الله عني خير الجزاء .

التمهيد

العلمُ القرآنيُّ واستراتيجيات الخطاب

الْعِلْمُ الْقُرْآنِيُّ وَاسْتِراتِيجِيَّاتُ الْخُطَابِ

١- الْعِلْمُ لُغَةً ، وَاصْطِلَاحاً .

الْعِلْمُ لُغَةً : وَرَدَ الْعِلْمُ بِمَعْنَى (الْجِبِل) ، وَ (الرَّايَةُ) ، وَ (سَادَةُ الْقَوْمِ) ، وَ (شَيْءٌ يَنْصَبُ فِي الْفُلُوتِ تَهْتَدِي بِهِ الضَّالَّةُ) ، وَ (الْمَنَارَةُ) ، وَمِثْلُ الْمَعْجَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَهُ الْجُورِ الْمُنْشَأَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٤) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجُورِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الشورى : ٢٤) وَقَالُوا فِي الْأَعْلَامِ الْجِبَالُ^(١) . وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَنَسَاءِ :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ^(٢)

- الْعِلْمُ اصْطِلَاحاً :

هُوَ اسْمٌ يَعْينُ الْمَسْمَى بِهِ مُطْلَقاً^(٣) ، فَالْعِلْمُ يَكُونُ لِلدَّلَالَةِ وَالتَّعْيِينِ عَلَى مَعْيَنٍ بِذَاتِهِ وَيَشْمَلُ الْأَشْخَاصَ ، وَالْحَيَوَانَ ، وَالنَّبَاتَ ، وَالْأَمَاكِنَ ، وَالْجُمَادِ ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ تَكُونُ مِنْ دُونِ قَرِينَةٍ لَفْظِيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ وَهَذَا مَا يُمَيِّزُ الْعِلْمَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الَّتِي لَا بَدَ لَهَا مِنْ قَرِينَةٍ لِلتَّعْيِينِ .

الْمَدْلُولُ الْاصْطِلَاحِيُّ لِلْفِظِ (الْعِلْمِ) مَأْخُوذٌ مِنْ أَصْلِهِ اللَّغَوِيِّ ، فَهُوَ عَلَامَةٌ يَرَادُ بِهَا التَّعْيِينُ وَالْإِهْتِدَاءُ إِلَى مَسْمَى بَعِيْنِهِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَقَدْ أَشَارَ الْخَوَارِزْمِيُّ (ت ٦١٧هـ) إِلَى عِلَّةِ عَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِقَوْلِهِ : " لِأَنَّ الْعِلْمَ يَدْخُلُ تَحْتَ الْعِلْمِ وَهُوِيَّتِهِ ، وَهُوِيَّةُ الشَّيْءِ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ مُشْتَرَكَةً " ^(٤) .

لِلْعِلْمِ تَقْسِيمَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ بِاعْتِبَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٌ ^(٥) :

أ - يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهِ إِلَى : عِلْمِ ذَاتٍ وَعِلْمِ جِنْسٍ وَعِلْمِ مَكَانٍ .

ب - وَبِاعْتِبَارِ الْفِظِ إِلَى : مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ .

ت - وَمِنْ حَيْثُ الْأَصَالَةُ فِي الْاسْتِعْمَالِ إِلَى : مُرْتَجِلٍ وَمَنْقُولٍ .

ث - وَبِاعْتِبَارِ الْوَضْعِ إِلَى : إِسْمٍ وَكُنْيَةٍ وَلَقَبٍ .

(١) - يَنْظُرُ : لِسَانُ الْعَرَبِ ، ابْنُ مَنْظُورٍ ، تَحَدُّدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الشَّنَاوِيِّ ، دَارُ صَادِرٍ ، بَيْرُوتُ ١٢ : ٤١٩-٤٢٠ ، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ ، الْفَيُومِيُّ ، دَارُ الْمَعَارِفِ ، الْقَاهِرَةُ ، ط٢ ، دَبْتُ : ٤٢٧ .

(٢) - دِيَوَانُ الْخَنَسَاءِ ، شَرْحُ حَمْدُو طَمَّاسٍ ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ ، بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ ، ط٢ ، ٢٠٠٤م : ٤٦ .

(٣) - شَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ ، تَحَدُّدُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ ، ط١ ، ١٩٥٥م ، ٥٨ : ١ .

(٤) - التَّخْمِيرُ ، الْخَوَارِزْمِيُّ ، تَحَدُّدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْعَثِيمِيِّ ، دَارُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ ، بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ ، ط١ ، ١٩٩٠م : ١٦١ .

(٥) - يَنْظُرُ : النُّحُو الْوَافِي ، عَبَّاسُ حَسَنِ ، دَارُ الْمَعَارِفِ ، مِصْرُ ، ط٣ ، ١ : ٢٩٢ .

٢- الكنية في اللغة والاصطلاح .

أ- الكنية لغةً : جاء في مقاييس اللغة أنَّ "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على التورية عن اسم بغيره ، ولذلك تسمى الكنية كنية كأنها تورية عن اسمه " (١). "والكنية ، والكنية، والكنوة ، والكنوة ج كُنِيَ وكنى اسم يعلق على الشخص تعظيماً أو علامة عليه " (٢) . وأراد ابن فارس (٣٩٥هـ) بالتورية بمعناها اللغوي هو الخفاء والستر .

الكنية اصطلاحاً : " ما صدر بأب ، أو ، أم أو ابن ، أو بنت " (٣) . وايضا " علم مركب تركيباً اضافياً بشرط أن يكون صدره كلمة من الكلمات الاتية (أب، أم) ، (ابن ، بنت) ، (أخ ، أخت) ، (عم ، عمة) ، (خال ، خالة) " (٤) .

يستعمل العرب أحياناً الكنى بديلاً عن الأسماء أو مرافقة لها ، ومن تعاريفها : " ما يطلق على الإنسان بعد التسمية " (٥) ، فباستخدامها يختفي الاسم وتقوم مقامه . وتلتقي الكنية مع الكناية في مدلولها اللغوي ؛ لذا جاء الخلط بين الكنية والكناية ومرد هذا الخلط لاشتراكهما لغة في معنى الستر والخفاء (٦) ، وصرّح الزمخشري (٥٣٨هـ) بهذا الإشتراك اللغوي قائلاً : " كنوت الرجل وكنيته ، وهو من الكناية . وهي التورية والكنية من الأعلام " (٦) . فكلاهما تختفي وراءهما المسميات الصريحة للمسمى .

(١) - مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تد عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩م ، ٥ : ١٣٩ .

(٢) - المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط١٩ : ٧٠١ .

(٣) - النحو المصفى ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٩م : ١٢٨ .

(٤) - النحو الوافي : ٣٠٨ .

(٥) - النحو المصفى : ١٢٨ .

(٦) - ذكر محقق كتاب الكنى والاسماء للإمام مسلم بن الحجاج تعريفاً للكنى بقوله : وهو عند أهل العربية ما صدر بأب ، أو أم ، أو ابن ، أو بنت ، أما الأصوليون فقالوا : هو ما يدل على المراد بغيره لا بنفسه ، وعند أهل البيان أن يعبر عن شيء بلفظ غير صحيح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع ، أو لنوع فصاحته . والتعريفين الأخيرين خصصا للكناية في كتاب كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي ، تد علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م : ٢ : ١٣٨٤ . و أوردتهما تحت لفظ الكناية صاحب كتاب التوقيف على مهمات التعريف ، عبد الرؤوف بن المناوي ، تد عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م : ٢٨٤ .

(٦) - شرح المفصل للزمخشري ، ابن يعيش ، تد اميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ١ : ٩٤ .

ب - تقسيمات الكنى :

صرّح القدامى وبعض المحدثين بأقسام الكنى مكتفين بالتمثيل لها وبيان معناها ، أما الدكتور كاظم داخل فعمد على تقسيمها بحسب اعتباراتها وحسب مجرياتها في اللغة وكما يأتي ^(١) :

١ - تقسم باعتبار الكثرة والندرة على قسمين :

- أحدهما : الكنى المعتادة ، صرّح بها ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) بقوله: فمن المعتاد الكنية بالأولاد ومنه قولهم : آدم أبو البشر .

- وثانيهما : الكنى النادرة ، صرّح بها أيضا ابن الأثير ، والنادر كقولهم في كنية علي بن ابي طالب : أبو تراب .

٢ - تقسيم باعتبار تغيّر الأحوال على قسمين :

- أحدهما : تعدّد وتغيّر الكنية بتغيّر الحال ، وبعضهم يكون له كنيّتان في حالين ك (عامر بن الطفيل) يكنّى في السلم بأبي علي ، وفي الحرب بأبي عقيل .

- والثاني : تعدد وثبوت الكنية بثبوت الحال : فالبعض يكون له كنيّتان والحال واحدة وهو كثير . وأطلق على تقسيمه بهذا الاعتبار " الكنى المقيدة " ^(٢) ، أي إنّها ملزمة بحسب ما يكون عليه حال المكّنّى .

٣ - وتقسم باعتبار الجنس على قسمين ، كنى حقيقية وكنى مجازية :

- الكنى الحقيقية : وهي كنية العاقل (الإنسان) وتشمل القسمين السابقين .

- الكنى المجازية : وهي كنية غير العاقل وتضم :

أ - كنى الحيوان : يكنّى الأسد بأبي الحارث .

ب - كنى الجماد : فكنية الحصاة بنت الارض .

ج - كنى النبات : أم غيلان وهي شجرة في البادية ، وأم الطعام وهي الحنطة ^(٣) .

د - كنى البلدان والمواضع : مثل أم القرى وهي مكة ، وابن بسيل وهي قرية من قرى الشام ^(٤) .

ذ - الكنى المعنوية : وتشمل الكنى المجردة مثل : كنية الرزق (أبو بهلول) ، والكنى غير مجردة مثل ابن الالهة (الصبح) ^(٥) .

(١) - دلالة الكنية في القرآن الكريم ، د. كاظم داخل جبير ، مجلة المصباح ، العتبة الحسينية المقدسة ، ع. ٤٢ ، ٢٠٢١ م :: ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) - الكنى والأسماء ، مسلم بن الحجاج ، تد عبد الرحيم محمد القشقرى ، ط ١ ، ١٩٨٤ م : ١٠ .

(٣) - ينظر : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي ، تد محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ط ، دت : ٢٥٧ ، ٢٦١ .

(٤) - ينظر : المرصّع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأدواء والذوات ، ابن الأثير ، تد. إبراهيم السامرائي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٩٩١ م : ٢٢ - ٧٧ .

(٥) - ينظر : المرصّع : ٧٣ - ٧٥ .

٤ - وتقسّم باعتبار اللفظ المصدر على ثلاثة أقسام^(١):

أ - المكّنّى : ما كان مصدراً بأب وأم كأبي عبد الله ، أم عبد الله .

ب - المبّنّى : ما كان مصدراً بأبن وأبناء ، وبنت وبنات .

ج - المؤآخاة : ما كان مصدراً بأخ أو أخت.

ولا توجد تقسيمات باعتبارات آخر لإضافتها ، أو مصنفات أوردت تقسيمات الكنية للإشارة إليها ، فكل من صنف بها أشار إليها على سبيل التمثيل لا التقسيم ، أو اكتفى بذكرها ضمن أغراض الكنية .

ج - أغراض الكنية :

لم يجد المحدثون أغراضاً غير التي صرّح بها القدماء في مصنفاتهم ولم يخرجوا عنها وهي :

١- إخفاء الاسم : ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، والزمخشري في تعريفيهما للكنية لغةً (كأنها تورية)^(٢) ، وهذا المعنى اللغوي للكلمة جعل السيد الحسيني الجليلي يذهب إلى " أنّ أصل استعمال الكنية عند العرب لإخفاء أسمائهم ؛ لأنهم كانوا أمة قبليّة تعيش حالات الحروب والغارات ، فربما اتخذوا الكنى في بداياتها ليخفوا وراءها شخصياتهم المعروفة - عادة - بالأسماء ، ثم تبلورت إلى أداة معبرة عن الأشخاص " ^(٣) .

وهذا الرأي قد ردّه علي أكبر فراتي بقوله : " مما يؤخذ على هذا الاحتمال أنّه وإن قيل : أحد أصول معنى الكنية الستر ، إلّا أنّ العرب كما نعرف من تاريخهم كانوا لا يزالون يعرفون أنفسهم عند سوق الحرب في ارجازهم بأسمائهم وأسماء قبائلهم وعوائلهم وما لهم من المآثر والمشاهير والشجاعة ولم يكن دافع للستر " ^(٤) ^(٥) .

ولدراسة هذين الرأيين :

- رأي السيد الحسيني الجليلي نقلاً عن العاملي : نقول الستر والخفاء هو عمل الكنية ، وليس الأصل في استعمالها ، فمتى ما كُنيت شخصاً ولأي غرض ، أخفيت اسمه وأقمت الكنية مقامه ولهذا لم يصرّح القدماء بهذا الغرض ، واستتبّطه السيد العاملي من معناها اللغوي . فقصة أصل الكنية التي ذكرها ابن الأثير والتي ردّها أيضاً فراتي^(٥) ، هي أقرب ما تكون إلى أصل استعمال الكنية وسبب انتشارها .

(١) - دلالة الكنية في القرآن الكريم : ١٠٩ .

(٢) - ينظر : مقاييس اللغة ١٣٩:٥ ، والمفصل ، ١: ٩٤ .

(٣) - الكنية حقيقتها ، وميزاتها وأثرها في الحضارة والعلوم الإسلامية ، محمد رضا الحسيني ، مجلة تراثنا ، ع ١٧ ، ١٤٠٩ هـ : ١٠ .

(٤) - التكنية عند العرب ، أغراضها ومواقعها ، علي أكبر فراتي ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية - جامعة بابل ، ع ٣٩ ، ٢٠١٨ م : ٦١٧ .

(٥) - وقع خطأ نحوي في النص المقتبس ، الصواب : (دافعاً) .

(٥) - التكنية عند العرب : ٦١٧ .

- رأي فراتي : الأراجيز هي أشعار تحكمها الأوزان والقوافي ، وإن ما ذهب إليه الحسيني لم يخص الكنى كلها لعلّه يكون شخصاً واحداً ، جعل من الكنية سترّاً لاسمه ، وذكر من أغراض الكنى النقية ، وهي الحذر والحيلة من الضرر ، فالتقية والتكنية يستعملان لإخفاء الاسم وهذا ما قصده الحسيني في بحثه ، فالتقية ، والتكنية يشتركان في الغاية ، ويفترقان من حيث المبدأ والغرض .

٢- التعظيم والتكريم^(١): تدل الكنية على عظمة وفخامة المكنّى ، وقد شاعت الكنى عند العرب وعُدّت من مفاخرها ، وقيل أنّها لم تكن لغيرها من الأمم ، ويقول ابن القيم(ت٧٥١هـ) " والتكنية نوع تكبير وتفخيم للمكنّى وإكرام له ، كما قال الشاعر :

أَكْنِيهِ حِينَ انَادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقَبْهُ وَالسَّوْءَ اللَّقَبُ (٢)

ويقول ابن الأثير " إنّما جيء بالكنية لاحترام المكنّى بها وإكرامه وتعظيمه كيلا يصرّح في الخطاب باسمه " (٣) .

٣- التفاؤل^(٤): الأصل في الكنى أن تكون لمن ولد له ، وورد عن العرب أنّهم كانوا يكتنون الصغير الذي لم يبلغ بعد ولم يتزوج ، وذلك على جهة التفاؤل بالسلامة ، والرجاء بأن يعيش حتى يكبر ويولد له ، وجاء في شعر الإمام علي(عليه السلام) :

نحن الكرام بنو الكرام وطفلنا في المهد يكنى (٥)

وكان من المستعمل عند العرب تكنية من ليس له ولد تفاؤلاً بأن يولد له ، كما جاء في قول الشاعر :

لها كنية عمرو وليس لها عمرو (٦)

٤- مخافة النبذ: قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام) " انا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبذ أن يلحق بهم " (٧) وهذا سبب آخر لتكنية الصغير غير التفاؤل وهو مخافة التلقيب .

٥- تعريف الشخص^(٨): قد يكتنى الشخص لا لتعظيمه وتفخيمه ، وإنّما لمجرد صفة ، أو فعل ، أو حدث يلزمه ، فيشتهر بالكنية وتصبح علماً عليه ، نحو: أبي لهب ، وأبي طلحة ، وأبي الصعق^(٩). فهي كنى جارية مجرى الأسماء .

(١) - شرح المفصل ١ : ٩٤ .

(٢) - تحفة المودود بأحكام المولود ، ابن قيم ، تد عثمان بن جمعة ، دار عالم الفوائد ، د. ط ، و. د. ت : ١٩٦ .

(٣) - المرصّع : ٣٥ .

(٤) - شرح المفصل ١ : ٩٤ .

(٥) - ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، حسين الأعلمي ، مؤسسة النور ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩ م : ١٤٦ .

(٦) - ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، العسقلاني ، عبد الرحمن بن ناصر البراك ، دار طيبة ، ط١ ، ٢٠٠٥ م : ٧٩ .

(٧) - فروع الكافي ، الكليني ، منشورات الفجر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ١٥ .

(٨) - البيان في شرح اللمع لابن جني ، الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي ، تد علاء الدين حمويّة ، دار عمار ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢ م : ٣٥٦ .

(٩) - ينظر المرصّع : ١٨٠ . ١٨٧ .

٦- التصغير و التحقير : تستخدم الكنية أحياناً للإهانة والتحقير نحو : (أبي لهب) ، ففيها تحقير " الكنية للتصغير ، والتحقير {أبي لهب} فليس المراد تكريمه بل تشهيره ، كأبي جهل " (١).

الاستعمال الغالب للكنى هو التعظيم والتفخيم ولكنه ليس مطّردا ، فكنية (أبي لهب) جاءت للتحقير والإهانة وليس للتكريم ، وتكنية الإمام علي (عليه السلام) لعمر بن العاص بـ " (ابن النابغة) إن النابغة هي أم عمرو بن العاص لشهرتها بالغي " (٢) ، فأراد بذلك ذمه وتشهيره.

أمّا "الكنى الاحتمالية" (٣) التي يحدد استعمالها المتكلم فتكون للتوقير ، أو للسخرية ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم برهمي بقوله : " إن الكنية علامة لغوية مستعملها هو الذي يمنحها دلالتها في الاستعمال " (٤) ، فقصد المتكلم وكيفية توظيفه لها هما السبيل لتوضيح الغرض من الكنية ، ومنها كنية (أبي تراب) التي كنى بها رسول الله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكانت من أحب الكنى إلى أمير المؤمنين ، واستعملها يزيد بن معاوية للسخرية من أمير المؤمنين (٥) .

وقد اعتنى العرب بالكنى وجعلوا لها آداب ، كاختيار الكنى الحسنة ، وأن لا يكتنى المرء نفسه ، إلا إذا كان لا يعرف إلا بها ، أو كانت أشهر من الاسم ، ويستحب مخاطبة أهل الفضل ومن قاربهم بالكنى . كما نهوا عن بعض الكنى مثل التكنى بكنية (أبي القاسم) واختلف العلماء في هذا النهي (٤) . ونهى النبي عن أربع كنى ، عن أبي عيسى ، وعن أبي الحكم ، وعن أبي مالك ، وعن أبي القاسم . وجوزوا تكنية الرجل بأبي فلانة والمرأة بأُم فلان (٥) .

(١) - صفوة التفسير ، الصابوني ، دار القرآن العظيم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م ، ٣ : ٦١٩ .
(٢) - تجليات السخرية وأساليبها في نهج البلاغة الخطب المائة الأولى أنموذجا ، سيد مهدي مسبوق ، رسول فتحي مظفري ، مجلة أفق الحضارة الإسلامية ، ع. ١ ، ٢٠١٩م : ١٠٨ .
(٣) - دلالة الكنية في القرآن الكريم : ١١١ .
(٤) - سيمياء أعلام أسماء الأشخاص - الكنية أنموذجا ، مجلة دراسات ، جامعة الأغواط ، ع. ٤٢ ، ٢٠١٦م : ٢٥٨ .
(٥) - ينظر : الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية ، البخاري ، تعليق . الألباني ، دار الصديق ، الجبيل - السعودية ، ط٢ ، ٢٠٠٠م : ٢٩٥ ، والأذكار من كلام سيد الأبرار (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، النووي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة بالرياض ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٣٤٥-٣٤٦ ، وفروع الكافي : ١٥ .

٣- العلم المبهم .

أ- المبهم لغةً : جاء في لسان العرب " وطريق مبهم إذا كان مخفياً لا يستبين ، واستبهم عليهم الأمر : لم يدروا كيف يأتون له ، واستبهم عليهم الأمر أي استغلق ، وأمر مبهم : لا مأتى له وفي حديث علي : كان إذا نزل به إحدى المبهمات كشفها ، يريد مسألة معضلة مشكّلة شاقة ، سميت مبهمة ؛ لأنها ابهمت عن البيان فلم يجعل عليها دليل " ^(١) ، و " (أبهمته) (إبهاما) إذا لم تبينه " ^(٢) ، أمر مبهم " (إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه ولا بابه) وكلام مبهم : لا يعرف له وجه يؤتى منه " ^(٣) ، فالمبهم في اللغة يكون غير واضح ومعناه مغلق ، وملتبس .

ب - المبهم اصطلاحاً : لم يذكر القدماء تعريفاً للمبهمات في كتبهم ، ولعل أوضح ما جاء عن المبهمات ما ذكره السهيلي (٥٨١هـ) في قوله : "إنني قصدت أن اذكر في هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر ولم يسمه فيه باسمه العلم ، من نبي ، أو ، ولي أو غيرهما من آدمي أو ملك ، أو جني ، أو بلد ، أو كوكب ، أو شجر ، أو حيوان " ^(٤) .

وقد يكون له معاني أخر يدل عليها السياق فقليل المبهم هو : " الحجر الصلب ثم قيل لما يصعب على الحاسة ادراكه إن كان محسوساً ، وعلى الفهم إن كان معقولاً مبهم " ^(٥) . وجاء في تعريفه " هو إيراد المعنى المقصود في النص مبهماً زيادة في تعظيمه ، أو تفخيمه ، أو تهويله فضلاً عما يكشفه السياق من دلالات أخر " ^(٦) .

اعتنى العلماء والمفسرون بالأعلام المبهمة في القرآن الكريم حتى عدّ السيوطي (علم المبهمات) من وجوه إعجاز القرآن بقوله: "ورود آيات مبهمة يحير العقل فيها" ^(٧). وما ذكره السهيلي عن ابن عباس(ت٦٧هـ) " وقد قال ابن عباس رضي الله عنه :مكثت سنتين اريد أن اسال عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يمنعني إلا مهابته " ^(٨). فالمبهم يُعَيِّن المفسر بتعميم المعنى للنص القرآني فيكون مجال المعاني وفيراً لديه . وفي رواية ذكرها الطبري "عن ابن عباس قال : لم ازل حريصاً على أن اسال عمر عن المرأتين" ^(٩)، ومن قصة ابن عباس نستخلص التشويق والحرص وحب المعرفة لدى الإنسان لما يجهله ، فأثار حرصه على تبين ما أبهم لديه لتكتمل رؤيته بجوانب الآية الكريمة ، وهذا من فوائد علم المبهمات .

(١) - لسان العرب ، مادة (بهم) ، ١٢ : ٥٧ .

(٢) - المصباح المنير : ٦٤ .

(٣) - تهذيب اللغة ، الازهري ، تد محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، الدار المصرية ، القاهرة : ٣٣٨ .

(٤) - التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم ، السهيلي ، تد عبدالمعنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م : ١٦ .

(٥) - التوقيف على مهمات التعريف ، عبد الرؤوف بن المناوي ، تد عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م : ٨٥ .

(٦) - الإبهام ودلالته في القرآن الكريم ، مهند جاسم محمد ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مج.١٤ ، ع.٤ ، ٢٠٠٧م : ٣ .
(٧) - معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ، صد. احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨م : ٣٦٦ : ١ .

(٨) - التعريف والإعلام : ١٦ .

(٩) - تفسير الطبري ، الطبري ، تد عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ٢٣ : ٩٤ .

ج - علم المبهمات هو أحد أبواب علوم القرآن الكريم ، ومرجعه إلى النقل المحض عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو عن أصحابه (رضي الله عنهم) ، أو عن التابعين لهم والآخذين عنهم ، فلا مجال للرأي والاجتهاد فيه^(١) .

وبعد ان عدت الدكتور حصة أحمد المصادر التي تفسر بعض المبهمات ، وجعلت القرآن الكريم المصدر الأول ، فما يكون مبهماً في آية ما ، نجد تفسيره في آية أخرى ، وهو تفسير القرآن بالقرآن ، والمصدر الثاني أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والثالث أقوال الصحابة ، والرابع أقوال التابعين ، أضافت مصدراً خامساً وهو كتب أهل الكتاب بقولها : " ويمكننا أن نضيف إلى هذه المصادر كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى والتوراة والإنجيل نأخذ منها تفسيراً لبعض المبهمات إذا لم نجد ذلك في المصادر السابقة بشرط أن يكون المأخوذ من كتب أهل الكتاب موافقاً لأصول الإسلام وقواعده وتشريعاته " ^(٢) .

ج - أسباب الإبهام في القرآن الكريم .

ذكر كل من الزركشي (٧٩٤هـ)^(٣) والسيوطي (٩١١هـ)^(٤) سبعة أسباب للإبهام وهي :

١- الإستغناء ببيانه في موضع آخر ، نحو قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة : ٦) ، وقع الإبهام في (انعمت عليهم) فيبينهم عز وجل في قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء : ٦٩) .

٢- أن يتعين لاشتهاره كقوله تعالى : ﴿ وَيَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (البقرة : ٢٥) ولم يقل حواء ؛ لأنه ليس له غيرها .

٣- قصد الستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، نحو : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (البقرة : ٢٠٤) . والمراد به الاخنس بن شريق إذ كان منافقاً في إسلامه . قد يكون " أقوم في استجلاب الهداية لقلبه " ^(٥) .

(١) - الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تد محمد ابو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، د. ط ، دت ٨١ : ٤ .

(٢) - كشف البيان عن فوائد وأسرار المبهمات في القرآن ، د. حصة أحمد عبد الله الغزال ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحرين ، جامعة الأزهر ، مج. ٢١ ، ع. ١ ، ٢٠٠٣م : ٢٦٩ .

(٣) - البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تد . محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د. ط ، دت ، ١ : ١٥٦ - ١٦٠ .

(٤) - الإتقان ٨١ : ٤ - ٨٤ .

(٥) - المبهمات في القرآن الكريم (تعريفها وأسباب وقوعها ، وضوابط تفسيرها) ، زيد بن علي مهارش ، مجلة جامعة جازان ، السعودية ، مج. ٢ ، ع. ٢ ، ٢٠١٣م : ٦٩ .

٤- أن ييهم كون لا فائدة من تعيينه ، نحو ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٥٩) وأشار إلى ذلك الطبري بقوله في تفسير هذه الآية : " ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله تعالى على احيائه خلقه بعد مماتهم " (١) .

٥- التنبيه على العموم وأنه غير خاص ، بخلاف ما لو عُيِّن ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٠) . ذكر أبو حيان (ت٧٤٥هـ) " والصحيح أنه ضمرة بن بغيض ، أو بغيض بن ضمرة بن الزنباغ ؛ لأن عكرمة سأل عنه أربع عشرة سنة وصحّحه ... وقالوا : كل هجرة لغرض ديني ، من طلب علم ، أو حج ، أو جهاد فهي هجرة إلى الله ورسوله فأجره واقع على الله تعالى " (٢) . فالإبهام أفاد العموم .

٦- تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ (النور: ٥٦) نزلت في أبي بكر (٣) .

٧- تحقيقه بالوصف الناقص ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر: ٣) .

لم تكن هذه الأسباب محصورة في المبهمات فالباحث والمتأمل فيها قد يتحصّل على أسباب آخر ، فهناك لطائف وأسرار أشار إليها الزركشي في برهانه عدّها الباحثون ملحقاً للأسباب وهي : أولاً : الترغيب، نحو : قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، فذكر أن هذا الخطاب فيه ترغيب لأهل الكتاب ، وثانياً : التنبيه كقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ للتنبيه إلى أن يعقوب يأتي بعد اسحق . وثالثاً: المبالغة في الوصف نحو : ﴿ وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ (٤) .

اهتم المفسرون والعلماء بعلم المبهمات ، وحثوا على الاعتناء به ، لما فيه من الفضل ، والشرف ، وقد أشار السيوطي إلى ذلك بقوله : " علم المبهمات علم شريف اعتنى به السلف " (٥) . ولفضل هذا العلم أفردوا له مصنفات مستقلة منها :

- التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم للسهيلى (ت٥٨١هـ) .

- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام لابن عسكر (ت٦٣٦هـ) .

- غرر البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة (ت٧٣٣هـ) .

(١) - تفسير الطبري ٣ : ٢٩ .
(٢) - تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تح: عادل احمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٣م ٦ : ٤٠٤ .

(٣) - المصدر نفسه ٥ : ٤٥ .
(٤) - تفسير مبهمات القرآن ، البلسني ، تح: حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ١ : ٣٩ .

(٥) - مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن ، السيوطي ، طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة الازهرية للتراث ، ط١ ، ١٩٩٢م : ١١ .

- تفسير مبهمات القرآن الموسوم بـ (صلة الجمع وعائد التنزيل لموصول كتابي الاعلام والتكميل) للبلنسي (ت٧٨٢هـ).

- مفحات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ت٩١١هـ) .

مما تقدّم نلاحظ تنوع خطاب الأعلام في القرآن الكريم من خلال مخاطبتهم بأسمائهم الصريحة الظاهرة ، أو إخفائها ، أو إبهام أسمائهم مع إيضاح السبيل إلى معرفتها من خلال القرآن ، أو السنّة ، أو الصحابة والتابعين ؛ لأنّ القرآن الكريم خطاب لنا ، ولا يمكن أن يخاطب الله عباده بكلام مغلق وغير مفهوم ، أمّا مخاطبتهم بالكنية ، فهو خطاب جارٍ على سنن العرب في مخاطبتهم ، ومحاوراتهم وهذا التباين في صور الخطاب له استراتيجياته ، ومقاصده ، وغاياته ؛ لأنّ أغلب النصوص القرآنية فيها خطاب للتأثير ، والإقناع ، والتوجيه ، والتقرب ، مع توسّمها بالصدق والحقيقة . ونسعى في بحثنا هذا إلى بيان استراتيجيات الخطاب ، ولا ننسى علقته بالأعلام المخفية في القرآن الكريم ، ولا شك في أن الستر والخفاء علاقة مشتركة بين الكنية ، والعلم المبهم ، والآيات المشتملة عليها هي السبيل الذي نحن عليه .

٤- الخطاب لغةً واصطلاحاً .

أ - **الخطاب لغةً** : ذكر ابن فارس أن الخاء والطاء والباء أصلان : أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطابا ، والخطبة من ذلك ، وإنما سمّي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة ^(١) ، وجاء في لسان العرب أن " الحَظْب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم . والخِطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبته بالكلام مخاطبة ، خطابا ، وهما يتخاطبان " . ^(٢) ، وفي المصباح المنير قال : " خاطبه : (مخاطبة) و (خطابا) وهو الكلام بين متكلم ، وسامع ومنه اشتقاق الخطبة " ^(٣) .

أشار أصحاب المعاجم بشكل غير مباشر إلى العناصر التي لا بد من توفّرها ليكون الكلام خطاباً (المتكلم ، المتلقي ، والكلام) ، فأشاروا إلى التوجيه ، والإرسال ، والمعاودة الفكرية لحسن إنتقاء اللفظ للتأكد من فعاليته في المتلقي من خلال مراجعة المتكلم للكلام ذهنياً ، وهذا ما قد أشار إليه ابن منظور (٧١١هـ) وابن فارس . كما تكون المراجعة تأكيد على اتباع القواعد ، وترتيب الأفكار والجمل ، ليحصل الإفهام .

وقد تناسب المعنى المعجمي للخطاب ، مع ما جاء في كتب التفسير . فقد ورد في القرآن الكريم بمعانٍ وصيغٍ مختلفة ، فجاء بمعنى الشأن ^(٤) في قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ (يوسف:٥٠) ، وبمعنى الكلام ^(٥) في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (النبا:٥٠) . أمّا فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا

(١) - ٢ : ١٩٨ .

(٢) - ١ : ٣٦١ .

(٣) - المصباح المنير : ١٧٣ .

(٤) - تفسير الطبري ١٣ : ٢٠٣ .

(٥) - المصدر نفسه ٢٤ : ٤٦ .

مُلْكُهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿ص:٥٠﴾ ، فمعناه " الحُكْم بالبينّة ، أو اليمين ، أو الفقه في القضاء ، أو الناطق بأمّا بعد " (١).

وفي دراسة للدكتور عبد الواسع الحميري منتبعاً الآيات التي وردت فيها مادة (خ ط ب) وهي تسعة مواضع للوصول إلى مفهوم الخطاب وتمييزه عن القول والكلام التي حملت معناها بعض الآيات ، جاءت خلاصة دراسته بقوله : " وهنا نستطيع أن نميّز بين كل من الخطاب والقول والكلام ، بالقول : وأن القول هو الملفوظ ، وأن الكلام هو عملية التلفظ ، أما الخطاب فهو النظام الذي تخضع لمنطقه عملية التلفظ ، لذلك نجد أنه (الخطاب) عبارة عن نظام القول المعبر عن حكمة القائل ، ومن ثم فهو نظام القول المعبر عن سلطة ، أو عن إرادة التسلط " (٢). مفاد ما جاءت به هذه الدراسة هو أن الآيات التي ورد فيها معنى الخطاب اتسمت بالتعالي والسلطة وهذا هو المراد بقوله ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ مَكِّنْ نَبِيَّهُ مِنْ " السلطة الكافية التي ضمّنها خطابه لاستمرار حكمه في الارض " (٣).

ب - الخطاب اصطلاحاً .

١- عند النحويين واللغويين والبلاغيين : ذكر الباحثون وجود ملامح للخطاب في الفكر اللغوي القديم . ومنه تكلم سيبويه (ت ١٨٠هـ) عن الكلام وخصّه بدلالات مراعيّاً المقام ، والسياق ومفاهيمه تقترب عما قاله المعاصرون عن الخطاب ، وابن جني (ت ٣٩٢هـ) عرّف اللغة (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) ، ففي هذا التعريف أربعة عناصر ترتبط بالخطاب المعاصر وهذه العناصر هي (طبيعة اللغة ، ووظيفتها ، اجتماعية ومرتبطة بالجماعة ، علاقة نفسية بين الفكر واللغة) . وأنه أفرد باباً في خصائصه أكد إن العرب تعتنى بنظم ألفاظها وترتيبها لإظهار أغراضها حتى يوصل للمرسل خطاباً مفهوماً . وخصّص ابن فارس باباً للخطاب الذي يقع به الفهم من السامع والافهام . أمّا الامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فإنّه يربط معنى الخطاب بالنظم التي تنظر إلى الفائدة من خلال (تعلق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض) (٤).

٢- عند الأصوليين : تناول علماء الأصول الخطاب ضمن عقائدهم ، واطلقوا عليه تعريفات منسجمة مع أفكارهم ، وغاياتهم ؛ لمعرفة مقاصده التي سعوا من خلالها إلى استنباط الحكم . فالأمدي (ت ٦٣١هـ) عرّف الخطاب بقوله : " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه . فبهذا التعريف أخرج الألفاظ المهملة ، ومن لا يفهم كالنائم " (٥) ، وعلل الدكتور مصطفى الحساوي إخراج الألفاظ المهملة لـ " يكون المتلقي قادراً على معالجة ما يتلقاه في

(١) - القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، مر. أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط. ٢٠٠٨ م : ٤٧٨.

(٢) - الخطاب والنص " المفهوم . العلاقة . السلطة " ، عبد الواسع الحميري ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠١٤ م : ٢٨ .

(٣) - المصدر نفسه : ٢٨ .

(٤) - ينظر : الخطاب بين الدرس اللغوي القديم واللسانيات ، عبد الحكيم سحالية ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم - الجزائر ، ع. ٩ ، ٢٠٠٩ م : ١٥٩-١٦٤ . و الخطاب والسياق في لسانيات التراث ، عبد الوهاب صديقي ، مجلة جذور ، المغرب ، ع. ٤٠ . ٢٠١٥ م : ١٤٨-١٥٠ .

(٥) - الإحكام في اصول الأحكام ، الأمدي ، تعليق . عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت : ٩٥ .

ذهنه سعياً منه إلى التوصل لفهمه ، ويبدو أن هذا من أحد الأسباب التي من أجلها خاطب الله جل وعلا كلُّ بما يتواضع عليه " (١). والأصوليون نظروا إلى النص كشكل من أشكال الخطاب ، و جعلوا الخطاب " محور دراساتهم ، وتناولوه بوصفه موضوع علم أصول الفقه الذي بنيت قواعده على خطاب الله سبحانه ، وخطاب رسوله (ص) " (٢) ؛ لأنهم انطلقوا في تفسيرهم من وحدة الموضوع في الخطاب وذلك بحصر النصوص التي تشترك في موضوع واحد ، فيمكن أن يكون الخطاب الواحد يحمل أكثر من نص ، وانحصر مصطلح الخطاب عندهم ، ولم تتجاوز حدوده علم الأصول وعلم الفقه ، وأوردوه بمصطلحات كـ (اثر الخطاب) ، و(منطوق الخطاب) ، و(زمن الخطاب) ، و(المسكوت عنه) ، و(قابلية الفهم) ، و(مفهوم الخطاب) (٣).

٣- عند المحدثين من الغرب والعرب : تعددت مفاهيم الخطاب عند المحدثين ، وجاءت متباينة لاختلاف مجالات تخصص الدارسين ، وهذا ما أكدته سارة ميلز بقولها " لا سبيل لحصره في معنى بعينه ؛ لأن له تاريخاً معقداً ويرد في سياقات شتى لدى المفكرين المختلفين بل لدى المفكر الواحد أحيانا " (٤) ، ولسنا في مقام بحث هذا الاختلاف ، لهذا سنتعرض إلى بعض أهم التعاريف عند المحدثين ، ويعد هاريس أول من إهتم بدراسة الخطاب من الغربيين ، وعرف الخطاب بأنه " ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية ، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض " (٥) ، وبحسب منظور هاريس التوزيعي فالخطاب هو الذي تجاوز حد الجملة إلى الخطاب . وبنفست عرّف الخطاب بأنه " كلّ تلفظ يفترض متكلاً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " (٦).

وعرّف دي بوجراند الخطاب بأنه " مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنّه مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع عليه في وقت لاحق " (٧)، أمّا باختين فنظر إلى الخطاب " بوصفه (تلفظاً) يمكن وصفه - حسب تودوروف بأنه عبارة عن - حدث اجتماعي ، وليس حدثاً فردياً " (٨) .

تعددت أشكال الخطاب وتعاريفه مع وجود عناصر الخطاب في كل التعاريف ، ولم تتغير فهناك باث ، ورسالة ، وملتق ، والغاية واحدة هي التأثير في المتلقي ما يعني أنّ المشاركة والتفاعل الاجتماعي هما أساس الخطاب .

(١) - مفهوم الخطاب عند القدماء ، د. مصطفى عبد كاظم الحسناوي ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، مج ١٧ ، ع ٤ ، ٢٠١٧م : ٧٨ .

(٢) - الخطاب والنص : ٤٥ .

(٣) - ينظر : الخطاب السياسي في القرآن والسلطة والجماعة ومنظومة القيم ، عبد الرحمن الحاج ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٢م : ٢١ .

(٤) - الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة. عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٦م : ١٨ .

(٥) - تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التبيين) ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٧م : ١٧ .

(٦) - المصدر نفسه : ١٩ .

(٧) - ينظر : النص والخطاب والاجراء ، دي بوجراند ، ترجمة. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٨م : ٩٣ .

(٨) - ينظر : الخطاب والنص : ٩٩ .

اهتم المحدثون العرب بالخطاب وسَعَوْا إلى فهم مقاصد النصوص بمختلف استعمالاتها لضمان إيصال العملية التخاطبية ، وإدراك المخاطب غاية المخاطب ، ونقف على تعريفات بعض المحدثين منها ، تعريف محمد محمد يونس " هو النص اللغوي بعد استعماله " (١) . وعرفه الشهري " الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة " (٢) ، وعرفه الدكتور عمار ساسي بـ " وصال بين إبداع وتلقي ... وعليه فالخطاب أيا كان جنسه ونوعه ، يولد قيصرية تحت وطأة المبدع والمتلقي ، فكلاهما يفرض عليه سلطته " (٣) . أما الدكتور محمود عكاشة فقط أعطاه تعريفاً وصفه بالشمولية ، فهو عبارة عن تعريف مركب من دلالات متعددة و اتجاهات مختلفة ، عرف الخطاب بقوله : " الوحدة اللغوية الأساسية التي تحمل مضموناً معيناً في شكل جمل متوالية موجهة من باث أو متكلم إلى متلقٍ بقصد الاتصال به ، وإقناعه بمضمون رسالة أو ابلاغه بشيء ما " (٤) . إن اختلاف مفهوم الخطاب عند المحدثين تبعاً لاختلاف نظرتهم إليه شكلاً واستعمالاً ، فبعضهم نظر إليه بأنه يتجاوز الجملة حجماً وشكلاً ، وبعضهم نظر إلى استعمالاته فهو موجه إلى مخاطب لغرض الافهام ، أي وظيفته تواصلية .

- **الخطاب والسياق** : لا يمكن أن نتجاوز أهمية السياق في فهم معنى النصوص ، وتحديد دلالتها ، فكل نص ظروف وأحداث تؤثر في المعنى ، فإن كان موضوع الخطاب أوسع من النص ، والنص هو جزء من الخطاب ، فهل للسياق علاقة بفهم الخطاب ؟ نقول لكل مقام مقال فالمقام يحدد وجهة المتكلم ويهديه إلى سبيله في إيصال المعنى المراد ، وكذلك المتلقي لا ينشئت ذهنه في فهم الرسالة ، فالموقف الذي قيلت فيه الرسالة يتكفل بتوضيحها ، فالخطاب القرآني يتوقف فهمه أحياناً على أسباب النزول ، وعلى من نزلت ، وأين ... ، لفهم مقاصده ؛ لأن مقاصد القرآن الكريم لا تتضح إلا بالفهم الصحيح والعميق ، فالخطاب يتغير تبعاً لتنوع السياق وعناصره .

٥- **مفهوم الاستراتيجية** : هو لفظ وافد على اللغة العربية ، من أصل إغريقي ، ومشتق من كلمة (Stratigos) ومعناها التخطيط الحربي ، أو فن إدارة ، وقيادة الحروب .

وأكثر ما يمارسه الشخص من أفعال تكون ذات هدف ، وغاية محدّدة ، وهذا يتطلب منه جهداً فكرياً ، وتنسيقاً ذهنياً ، ومراعاة السياق ، ليسلك مسلكاً يسهل عليه تحقيق غايته ، والوصول إلى مراده . فيلجأ إلى اختيار الكلمات الملائمة ، والمناسبة للسياق ، وهذا يعني قيامه بإعداد خطط مسبقة لاختياره من اللغة ما يناسبه ، ولا يمكنه التمكن من الالفاظ إلا إذا كانت لديه كفاية لغوية وتداولية (٥) . وهذه الخطط تدعى بالاستراتيجية التخاطبية أو الخطاب ؛ لأن المتكلم جعل من الخطاب طريقاً للوصول إلى هدفه . وعرفها الشهري " بأنها : عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه ، من أجل تنفيذ إرادته ، والتعبير عن مقاصده ، التي تؤدي لتحقيق أهدافه ، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية ، وفقاً لما يقتضيه

(١) - المعنى وظلال المعنى ، محمد محمد يونس ، دار المدار الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧م : ١٥٧ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٣٦ .

(٣) - منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب ، عمار ساسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، ط١ ، ٢٠١١م : ٢٣ .

(٤) - لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٤٠ .

(٥) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٥٦

سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ، ويستحسنه المرسل " (١) . أي إنّ الاستراتيجيات تتعدد " بتعدد الظروف والعوامل الثقافية والتاريخية والبشرية التي يولد فيها الحدث ، وإن أي تغيير بأحد عناصر الخطاب يتبعه تغيير في طريقه " (٢) .

وقد تم تصنيف أنواع استراتيجيات الخطاب بناء على معايير واضحة (٣)، هي :

- المعيار الاجتماعي ، ويتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب ، وقد تفرّع عليه استراتيجيتان ، هما : الاستراتيجية التضامنية ، والاستراتيجية التوجيهية .

- معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل ، وتأسس عليه الاستراتيجية التلميحية .

- معيار هدف الخطاب ، وتأسس عليه استراتيجية الإقناع .

وسنوضح هذه الاستراتيجيات في قادم البحث إن شاء الله .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٦٢ .
(٢) - استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية ، د. باسم خيرى خضير ، مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة ، ط١ ، ٢٠١٧م : ٢٧ .
(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٤٤ .

الفصل الأول

الاستراتيجية التضامنية

الاستراتيجية التضامنية .

قصد المرسل في الخطاب هو الذي يحدد نوع الاستراتيجية ، فإذا كان المرسل غايته التقرب إلى المرسل إليه ؛ لأنه أدنى منه درجة استعمل الاستراتيجية التضامنية سواء أكانت علاقة سابقة ويحاول المرسل الحفاظ عليها ، أم منعدمة ويحاول تأسيسها لتقريب المسافات ، إذن فعاملا العلاقة والسلطة يؤثران في اختيار الاستراتيجية ، فحين تنعدم السلطة في الخطاب ، أما بسبب تساوي المتخاطبين في الدرجة ، أو تنازل أحد طرفي الخطاب عن السلطة إذا كان يمتلكها ، فالاستراتيجية التضامنية هي ما تحقق غاية المرسل في تقليل المسافات بينه وبين المرسل إليه ، أما إذا لم يتنازل المرسل عن سلطته فإنه يستعمل هنا الاستراتيجية التوجيهية ، ومن هنا يتضح إن كلا الاستراتيجيتين تربطهما علاقة عكسية متضادة ^(١) .

فالمتكلم حين يريد التواصل مع الآخر ليحدث تقارباً معه يستعمل صيغ التهذيب ، وانتقائه لهذه الصيغ التي عدّها جورج يول (استراتيجية التآزر) هو لتحقيق هدفه في التقارب ، أو التماس صداقة عبر تعابير ، مثل :

- هلا سمحت لي استعمال قلمك .

- يا أخي ، سأكون شاكراً لو سمحت لي باستعمال قلمك ^(٢) .

وهذه الاستراتيجية ترسم ملامح آداب الخطاب بين طرفين ، حين يحاول أحدهما التقرب للآخر ، فباتت توصي بـ (كن كذا ولا تكن كذا ، وقل كذا ولا تقل كذا) ، وكيف يمكن توظيف اللغة لبلوغ الغاية ، وتقريب المسافات بينك وبين من تؤد من خلال التضامن . فتآزرت هذه المبادئ وتداخلت في مفهوم واحد هو الاستراتيجية التضامنية فـ (التضامن ، و البعد ، والبعد الاجتماعي) الذي استخدمه الغربيون القصد منها هو إيضاح بعد التضامن ^(٣) ، وكيف يمكن توظيف اللغة في سياقات ملائمة ، بحسب ما يطلبه المقام ، فكفاية المتكلم اللغوية والتداولية هي التي تسهم في استخدامه الصحيح للجمل والعبارات ، فالاستراتيجية غايتها الأساسية التقرب الخالي من المنفعة بأسلوب مهذب.

وهذه الملامح غير بعيدة عن التراث الإسلامي فلو تأملنا القرآن الكريم ، ولا سيما سورة الحجرات التي شملت آداب المحادثة مع الرسول ، فقد أوجب سبحانه على المؤمنين التزام الأدب عند التعامل بحضرة رسول الله ، ثم أمرنا بتبادل الاحترام والأدب بيننا ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الحجرات : ١٠٤-١٠٦) . وهذه الآية تُوجب احترام الآخر وعدم احتقاره أو الاستهزاء به ، ونهى عن دعوة الشخص بلقبه الذي يسوء سماعه ، فبعد إن آمنتم فُرض عليكم

(١) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٢٥٦-٢٥٧ .

(٢) - التداولية ، جورج يول ، ترجمة: قصي العتايي ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٠٤-١٠٦ .

(٣) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقربة لغوية تداولية : ٢٥٩ .

أن لا يسخر بعضكم من بعض . ثم أن الله بيّن السبب في وجوب تبادل الاحترام بين المؤمنين ، فقال : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات : ١٣)

فيجب أن تقوم العلاقات الاجتماعية خالصة من أي منفعة ، فلا يحتقر المؤمنون بعضهم بعضاً حتى يحافظ المجتمع على وحدة نسيجه ، ويكونوا كأنهم أسرة واحدة ، فلامح التأدب رُسمت منذ بعثة الرسول وحتى قبله ، والقرآن يأمر الناس بالتودد إلى بعضهم بعضاً ، واحترام بعضهم بعضاً ، وأن يحترموا مقام النبي ، فما خطّه القرآن الكريم لنا قد سبق ما جاءت به هذه الدراسات بآلاف السنين . ليس على الجانب النظري فحسب بل على الجانب التطبيقي الذي سيتضح في قادم البحث .

والقرآن الكريم في آيات كثيرة دعا إلى الالتزام بمبدأ التأدب كما جاء في قوله تعالى : ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه : ٢٤-٢٥) ، وفي قوله مخاطباً نبينا الأكرم : ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل : ١٢٥) ، وقال : ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل : ٥٣) ، والهجر الجميل كما ذكر المفسرون هو أن يعاملهم بحسن الخلق ، والدعوة إلى الحق بالنصح و أن لا يواجه قولهم بما في وسعه من المقابلة بالمثل ، وآيات الالتزام بهذا المبدأ كثيرة في القرآن الكريم .

- مفهوم الاستراتيجية التضامنية :

وهي " الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها ، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، إجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه ، وتقريبه " (١) . ويتضح من هذا التعريف أن هذه الاستراتيجية يستعملها المرسل ويقصدها ، ليحدث تقارباً بينه وبين المتلقي أولاً ثم التبليغ ثانياً ؛ لأنّ على التواصل أن يتم ثم يأتي الإفهام والتبليغ .

مسوغات الاستراتيجية التضامنية (٢) :

- ١- تأسيس صداقة بين طرفي الخطاب ، أو إعادتها بين طرفين فرّق بينهما الزمن ، أو العمل على تمرير العلاقة بين طرفين لهما علاقة دائمة .
- ٢- التركيز على حسن التعامل مع صاحب السلطة ، بطريقة تحقق الأهداف .
- ٣- تحسين صورة المرسل أمام الآخرين ، إذا كان معروفاً بالتشدد في آرائه .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٢٥٧ .

(٢) - المصدر نفسه : ٢٦١-٢٦٢ .

- ٤- تفعيل التضامن في حياة الناس .
- ٥- أهمية استعمالها في الحقول التعليمية بحيث يكون التأدب مع الطالب وسيلة تيسر الفهم .
- ٦- كسب ولاء الناس .
- ٧- استثمار استراتيجية التضامن في التحقيقات لإراحة المتهم وتطمينه وزرع الثقة في نفسه.
- ٨- تستعمل عند الاستعداد لخدمة الآخرين ، إذ يعزز المرسل بذلك الصداقة معهم .

ولا يخفى أن القرآن ليس كتاب أحكام فقط ، بل هو كتاب تشريع وتربية ، وكتاب هداية وإصلاح ... الخ ، ففيه تبيان لكل شيء ، والاستراتيجية التضامنية في القرآن الكريم تختلف مسوغاتها عما ذكرها الشهري في كتابه ، فالقرآن الكريم لا يؤسس علاقات صداقة ، ولا يحسن صورته أمام الآخرين ، ولا غير ذلك مما ذكر من مسوغات التي غايتها تحقيق بعض الفوائد ، فالفائدة العامة التي يريدها الله لعباده منذ بداية خلقهم هي عبادته وحده لينالوا رحمته ، ورضوانه ، ويتقوا غضبه بتركهم عصيانه ؛ لأنهم بالابتعاد عنه يرموا بأنفسهم وأهلهم إلى التهلكة والنار . وليعلموا أن الله حق فقال في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم: ٥) .

- مسوغاتها في القرآن .

١- يسعى الأنبياء إلى تبليغ مقاصد رسالتهم ، ولا يمكن ذلك إلا أن يستجلبوا ذهن المتلقي ، ولا يكون ذلك إلا بالتقرب من الآخر بخطاب مهذب للحصول على نتائج إيجابية ، ولا غاية للرسول من هذا التقريب إلا لدفع الضرر وجلب المنفعة لمن يؤمن برسالتهم ، وهذا دأب جميع الرسل فهم مأمورون بحسن القول ، فانه خاطب بني اسرائيل قائلاً: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٢٣)

٢- يسعى الأنبياء إلى إثبات صدق دعوتهم بالبراهين والحجج ؛ ولهذا حاور القرآن العقول ؛ لأن ما جاء به يحتاج إلى تدبر وتفكر وتأمل ، فتأتي هذه الاستراتيجية التي تحتاج إلى ضرورة مراعاة قواعد التخاطب ، والتهذيب ، والتبليغ لإحداث تأثير عند أهل العقول ؛ لأنه " وعندما يتمكن المتحدثون من التأثير في النماذج العقلية ، ومعرفة مواقف المتلقين وأيديولوجياتهم فإنهم يسيطرون بصورة غير مباشرة على أفعال المتلقين المستقبلية " (١) .

٣- التعليم والتربية إحدى غايات القرآن الكريم ، فالتأدب في الحوار من قبل الرسول مع الناس يعطي انطباعاً إيجابياً للمتلقي ، فتعكس أفعاله أقواله ؛ ولذا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

(١)- الخطاب والسلطة ، توين فان دايك ، ترجمة. غيداء العلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٤م : ١٥٨ .
(٢)- كتاب المراجعات دراسة في استراتيجيات الخطاب ، علي محمد علي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية ابن رشد ، ٢٠١٧م
٨٥ : ٢٠١٨/

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٠﴾ (ال عمران : ٥٠) فأى عملية تعليمية تعنى بحفظ الحروف دون تعليم الأحكام وتركية النفوس هي ناقصة ، فمهمته لا تقتصر على التبليغ ، بل تجاوزها إلى تركية النفوس ، من خلال تربية الناس على مفاهيم القرآن الكريم ، وهذا يعني أن هدف الاستراتيجية التضامنية لا يقتصر على التقرب فحسب ، بل لها هدف آخر هو خلق مجتمع يسمو بالأدب ، إذ " إن استراتيجية التضامن لها هدف آخر، غير الهدف الأساسي المتمثل بتقريب العلاقة بين طرفي الخطاب . الهدف الآخر هو تربوي ، يأمل منتج الخطاب تحقيقه هدف أن يتجاوز ظروف انتاج الخطاب ويتعداها إلى مساحة اجتماعية أوسع " (١) .

٤- جاءت خطابات الأنبياء مع أقوامهم مرتكزة على مبدأ التضامن تمهيداً لإحداث تواصل وتفاعل ، ثم تبليغهم وتوجيههم إلى العمل بما آمنوا به فالإيمان والقناعة أولاً ، ثم العمل ثانياً ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (سورة القصص : ٥٠) فنهج الأنبياء منهج التقريب ثم التشريع ، والقرآن في بداية الدعوة ، لم يكن يشرع في العمل ، بل اتسمت آياته بتصحيح العقيدة ، ونبذ الشرك ، والإيمان بالله وحده ، والالتزام بالأخلاق الحسنة ، والاستقامة ، وعليه فالتقريب في القرآن الكريم ليس غايته تأسيس صداقة ، أو تجديدها إذا كانت منقطعة ، إنما هي دعوة لنبذ الشرك وتغيير مفاهيم ومعتقدات ، وغرس الإيمان في نفوس الناس ، والأخلاق الحسنة ، وسلوك الرسل يعكس مفاهيم الدين الجديد ، فرحمة الله تتجسد في شخص الرسول ؛ لذا فالله يدعو رسله إلى التقرب من الناس تقرباً خالصاً لله ، غايته إبعادهم عن النار وإرشادهم إلى سبيل الخلاص منها ، فالكتب السماوية نزلت رحمة بالإنسان ، فالله ليس بحاجة لعبادة عباده ، بل الإنسان به حاجة إلى أن يعبد الله (٢) .

(١) - كتاب المراجعات دراسة في استراتيجيات الخطاب : ٨٥

(٢) - ينظر : حول تجديد آليات فهم النص المقدس ، جريدة المدى ، بحث مرفوع على الشبكة العنكبوتية ، ع ٤٠٩٨ ، ٢٠١٧م .

وردت هذه المسوغات وغيرها ، في خطابات الأنبياء مع أقوامهم ، أو بين متخاطبين ذُكروا في القصص القرآني ، أو في الحوارات . وكان لها حضور في آيات المكثى والمبني والأعلام المبهمة ، وسيوضح ذلك جلياً عند الوقوف عليها في السطور القادمة ، وتحقيق المقاصد عبر الاستراتيجية التضامنية من خلال توظيف عدد من الوسائل اللغوية في الخطاب ، وتنقسم على قسمين رئيسين هما :

أولاً - الأدوات : وتتمثل في الكنية والإشاريات .

ثانياً - الآليات : ويراد بها الشكل الخطابي الذي يختاره المرسل لينتج خطابه من خلاله ، مثل التصغير والتنغيم .

- الإشاريات .

تهتم الإشاريات في حقل التداولية بالعلاقة بين تركيب اللغات ، والسياق الذي تستعمل فيه ، فهي " عبارات تحيل على مرجع يجري عليه التعرف حتماً بواسطة المحيط الزمني - المكاني لتواردها ، وتتمثل خصوصية المعنى القرآني في إعطاء المرجع بواسطة هذا السياق " (١) ، أو كما عرّفها محمود نحلة " كلمات وتعبيرات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه ، ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه " (٢) ، فلا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق ؛ لأنها لم يكن لها معنى محدد في ذاتها ، وستكون غامضة لو ابتعدت عن السياق ، ويذهب لفسون إلى أن " الإشاريات تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة ، بأن اللغات الطبيعية وضعت للتواصل المباشر بين الناس أساساً ووجهاً لوجه كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلّق الفهم " (٣).

فالتداولية لم تهمل السياق ، والظروف المحيطة به ، بل أخذته بعين الاعتبار ، واهتمت بالعملية التخاطبية ، والإشاريات هي من الأدوات التي يحددها السياق ؛ ولذلك تتعدد دلالاتها بتعدد وضعياتها " فتأخذ دلالة جديدة في كل وضعية جديدة ؛ لأنها غير محددة الدلالة أصلاً " (٤) . وتصنف هذه الإشاريات إلى أكثر من صنف ، وتجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي : (الأنا ، والهنا ، والآن) (٥) ، وكان بيرس أول واضع لها وقسمها أغلب الباحثين على خمسة أنواع : إشاريات شخصية ، وإشاريات زمانية ، وإشاريات مكانية ، وإشاريات اجتماعية ، وإشاريات خطابية ، واقتصر بعضهم على الثلاثة الأولى ، وبعضهم على الأربعة الأخر (٦) . ويندرج ضمن هذه الإشاريات الضمائر ، وأسماء الإشارة ، وظروف الزمان والمكان . وسأعتمد على الإشاريات (الشخصية ، والزمانية ، والمكانية ، والخطابية) .

(١) - معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو ، دومينيك منغو ، تر ، عبد الهادي المهيري ، دار سيناترا ، تونس ، ٢٠٠٨م : ١٥٥ .

(٢) - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة ، مكتبة الآداب ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١١م : ١٦ .

(٣) - المصدر نفسه : ١٦ .

(٤) - التداولية دراسة في المجالات والفروع ، علية أيت جمعة ، بحث ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو : ١٦٧ .

(٥) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٨١ .

(٦) - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٧ - ١٨ .

والإشارات في العرف النحوي هي ألفاظ محددة تساعد في تعيين مشار إليه مثل (ذاك وذلك... وهذا... وغير ذلك) ، فدورها يقف عند الإشارات الظاهرية ، أما في مجال التداولية فهي كل الألفاظ أو الاستعمالات التي لا تتحدد دلالاتها إلا من خلال السياق وتشمل ... الضمائر وأسماء الإشارة والموصولة وأسماء الزمان والمكان... فالإشارات تطلق على كل التعبيرات التي تحيل على ذات ، أو زمان ، أو مكان تأخذ دلالاتها من السياق ، فهي مستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به وهذا ما يعطيها دور تداولي ، وقسمت على (شخصية ، وزمانية ، و مكانية ، وخطابية ، واجتماعية) ، وهذه الإحالة تتغير بتغير السياق ، والمرجع الذي تشير إليه .

١- الإشارات الشخصية .

يكون للسياق والمعلومات المسبقة أثرٌ واضحٌ لفهمها لذا عرّفها الشهري بأنها : " الإشارات الدالة على المتكلم أو المخاطب ، أو الغائب ، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق ، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد ، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب التداولي ؛ لأنّ الأنا قد تحيل على المتلفظ الإنسان ، أو المعلم ، أو الأب وهكذا ... " ^(١) . فهي تشمل جميع أنواع الضمائر المتصلة ، والمنفصلة ، والمستترة وجوباً أو جوازاً ، ولا يتضح معناها إلا من خلال تحديد المرجع الذي تعود إليه ، ولهذه الضمائر دور مهم في المنظور التداولي ؛ لأنها تُعدّ مجالاً يعبر به الإنسان عن فكره وذاته ، الذات المتكلمة التي انتجت الخطاب وأمست سلطة الحديث ، وتحيل (الأنا ، ونحن) إلى خارج النص ، أما ضمير الغائب فيحيل إلى داخل النص إذا كان حراً " أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي ، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات " ^(٢) .

وذكر الدكتور محمود أحمد نحلة بعدين لعد الضمير من الإشارات ^(٣) ، هما :

- البعد الأول : ضمائر الحاضر ، وضمائر المخاطب هي دائماً عناصر إشارية ؛ لأنّ مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي توظّف فيه .

- والبعد الثاني : هو شرط الصدق ، أي مطابقة المرجع للواقع ، فإذا قالت امرأة مثلاً : أنا أم نابليون ، فليس بكافٍ أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع ، بأن تكون هذه المرأة أم نابليون فعلاً ، وأن تكون الجملة قيلت في ظروف تاريخية مناسبة .

وكذلك تعد أسماء الإشارة من الإشارات ؛ لأنّ أكثرها يدل على الأشخاص ، كما تم إضافة الاسم الموصول ^(٤) ؛ لأنّه " غامض يحتاج دائماً في تعيين مدلوله ، وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين بعده ، إما جملة وإما شبهها " ^(٥) .

و للضمير دورٌ في ربط النص وتماسكه ، فله أثر بما يؤديه من وظيفة في التواصل في الخطاب ، فيعد استعمال المرسل للضمير دليل على استحضار الطرف الآخر ، وإن كان غائباً عن عينه فهو من العلامات اللغوية التي يستعملها المرسل للتعبير عن قصده في التضامن مع المرسل إليه ، وبما أن الرسل قد بُعثوا للناس ، فهم يبلغون رسالة سماوية فغايتهم الرئيسة تقريب المتلقي للتأثير فيه لإنجاح عملية التواصل ثم التبليغ ، وإذا ذهبنا إلى ما نحن في سبيله فسنجد فاعلية هذه الأداة في الآيات القرآنية موضوع الدراسة ، وبما أن الكنية والعلم المبهم هما موضوع بحثنا فسنتناولهما مع الإشارات ، وكيف تعاضدا وتآزرا لتحقيق الاستراتيجية التضامنية .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٨٢.

(٢) - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٨.

(٣) - المصدر نفسه : ١٨ - ١٩ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٨٠ - ٨١.

(٥) - النحو الوافي ١ : ٣٤١.

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٥٠) . نجد في هذه الآية تصويراً دقيقاً لحال موسى بإضفاء الحركة ولا سيما اليدين ففي قوله : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ ، فكلنا الحركتين باليد ، فحين نسمع هذه الآية نتصور شدة غضب موسى فتحضر في أذهاننا صورة للموقف وشدته ، وردة فعل موسى التي لم يسبق لها مثيل هو وسيلة لتبيين بشاعة فعل بني اسرائيل الذي تطلب موقفاً يلفتهم إلى سوء عملهم بتركهم عبادة الله ؛ لأن الكلمات هنا أصبحت عاجزة عن تأدية ما يريد إيصاله لهم من شدة غضبه عليهم . وحين وقع اللوم من موسى على أخيه هارون ، فلا بد لهارون من أن يحد من غضبه ، فقال له : (ابن أم) وذلك لجلب الاستعطاف وترقيق قلب موسى وتذكيره بأمره حيث الرحمة والحب " المقصود بها تخفيف ما أدرك موسى من الغضب والاستعذار له " (١) ؛ لأن المقام مقام استعطاف .

وخطاب هارون جاء مراعيًا للتودد فهو لم ينف الثهمة عنه مباشرة ، ولم يوضح موقفه من قومه ، بل حاول أن يتضامن مع موسى من خلال تهدئته وضمان تواصله معه . وبين القرآن الكريم هذا الموقف بشكل مفصل في سوره طه ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه : ٥٠) فالإشارات الشخصية تتجلى في الآيتين المذكورتين من الأعراف وطه ب أسلوب (النداء) ، وضمير المتكلم (الياء) ، في قوله : (استضعفوني ، ويقتلونني ، بلحيتي ، ولا برأسي) ، وضمير المخاطب (أنت) ، في قوله : (فلا تشمت ، ولا تجعلني ، ولا تأخذ ، وأن تقول ، ولم ترقب) .

فنداء هارون لموسى بحرف النداء يُشعر بالعاطفة إذا ما قارناه بعبارة (ابن أم) بدون حرف النداء ، فالنداء هنا للتنبيه واستحضار ذهن موسى ، والحرص على التواصل ، ثم بين علة عبادة قومه للعجل ، وحين نطق هارون ب عبارة (ابن أم) فمن هذا المكنى فهم موسى غايته " لأن اللغة مؤسسة على المعارف المشتركة ، التي تتقاسمها الاطراف الخطابية " (٢) . فهو ربط النص بما هو خارجه ، ليستحضر في ذهن موسى ما قاسته أمهما من فراقه ، وكيف أن إيمانها غلب عاطفتها ، فذكره بحقها أن لا يحشره مع الكافرين .

(١)- تفسير البحر المحيط ٤ : ٣٩٤ .

(٢)- في قضايا الخطاب والتداولية ، د. ذهبية حمو الحاج ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٦ م : ٢٧١ .

وبأنه بذل جهداً في كفهم بالوعظ حتى قهره وحاولوا قتله^(١). فالإشارات الشخصية المتمثلة بالضمائر والإشارات الاجتماعية التي مثلتها صيغة القرابة (أَبْنُ أُمِّ) هي حددت نوع الاستراتيجية التي اختارها هارون لمخاطبة موسى للتضامن معه مع الحفاظ على مكانته إذ إنَّ رهان بلاغة الخطاب " هو أن لا ينزل المتكلم من مكانته لفظاً ومعنى ، وإلا يتنازل عنها ، فيحافظ على مقامه ووضعه الاعتباري ، وأن لا يفقد الخطاب قوته اللغوية " ^(٢) ، فحين يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه فلا يحط من قدره ، فجمع هارون بين الكنية والإشارات ليحدث فرقاً في الخطاب غايته التودد والاستعطاف .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة : ٧٢) .

ضمّن نبي الله عيسى في قوله أسلوب النداء (يا بني اسرائيل) ويكون للتنبيه لجلب انتباههم ثم توجيههم ومحااجتهم ، فجمع بين المبني (بني اسرائيل) ، وضمير المخاطبين (أنا ، أنتم) في (ربي ، واعبدوا ، وربكم) ، وضمير الغائب (هو) في (يشرك ، ومأواه) ليشد المتلقي ويعزز من استنارتهم ، وتقوية خطابه فناداهم بكينيتهم للتذكير بأصلهم النبوي . أراد عيسى نفي الألوهية عن نفسه ، وإنه عبد مربوب ؛ لذا قال : (ربي وربكم) وهذا إقرار بالعبودية لله عز وجل ، فقابل ضمير المتكلم (أنا) في (ربي) للتعبير عن ذاته ، وتملكه سلطة الخطاب ، وبالضمير (أنتم) في (ربكم) للتوكيد على عبوديته وقد كررها في قوله تعالى : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (المائدة : ١١٧) فأشار إليهم للدلالة على التضامن ؛ لأنّ المتكلم يستعمل الضمير (أنا) حين يمتلك ناصية الحديث ، ليوجه كلامه للمخاطب ، ثم أنه خصّهم بالخطاب ؛ لأنهم ادّعوا ألوهيته ، فقابل بينهما أي إن كليهما عبد لله ، فجاء الأمر من الأعلى إلى الأدنى لإبلاغهم وإقناعهم بأنّه لا يختلف عنهم إلا بالتبليغ والرسالة ، ثم أعطى خطابه أفق أوسع فخاطبهم بضمير الغائب ، ليخلق نصاً كون الإحالة المقامية تربط اللغة بسياق المقام ^(٣) " فالسياق اللغوي هو الذي يسمح بترجمة " هو " وربطه بسابقه يقدم له مدلولاً " ^(٤) ، أي إن كل من يشرك بالله مصيره النار .

وعليه فالسياق هو من أعطى معنى للضمائر ، وهي بدورها عمدت إلى ربط النص وتماسكه وتأدية العملية التواصلية ، واستعمل نبي الله عيسى في خطابه المبني ، والإشارات الشخصية للتنبيه على أن بني إسرائيل أهل دين ومعرفة بالله .

(١) - الكشف ، الزمخشري ، تح . عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ٢ : ٥١٢ .

(٢) - في بلاغة الخطاب من بديع اللفظ الى بديع التأويل ، مصطفى رجوان ، تقديم ، محمد بازي ، دار كنوز المعرفة ، عمان - الاردن ، ط ١ ، ٢٠٢٠م : ٣٧ .

(٣) - ينظر : لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م : ١٧ .

(٤) - لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب ، ذهبية حمو الحاج ، دار الأمل ، المدينة الجديدة - تيزي وزو ، ط٢ ، ٢٠١٢م : ١١٣-١١٤ .

وإذا ذهبنا إلى مثال آخر في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (هود: ٥١) . خاطب لوط قومه بالنداء (يا قوم) لترقيق نفوسهم ؛ لأنهم قومه ^(١) ، ثم استعمل اسم الإشارة (هؤلاء بناتي) فبادر بالإشارة إلى بناته - سواء كانت بناته من صلبه أو بنات قومه - لتوجيه أنظارهم إليهن لعلهم يتركون الضيوف ، فالإحالة إلى عنصر خارجي وإشراكه في العملية التواصلية كان القصد منه الإشارة إلى ترك الفاحشة ، واتباع ما هو أصح وأطهر لهم ، لذا قال (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) مقارنة بالرجال .

و يُعد قوله (أَطْهَرُ لَكُمْ) مقارنة خاصة تربط القبلي بالبعدي . ولما أحال إلى (أنتم) في قوله : (فَاتَّقُوا) وقابله بالضمير (أنا) في قوله : (وَلَا تُخْزُونِ) ، فهنا الإشارة بالضمير تدل على الحضور والمشاركة في الحدث الكلامي ، حيث تم تحديد مرجعيتها من السياق ؛ لأن الخطاب حصره بينه وبين قومه بعد أن رأى لوط ثبات قومه على الفاحشة . ثم خاطبهم باستفهام ألا يوجد منكم رجل رشيد يحترم الضيف ولا يخزني . فنبي الله لوط بدأ حديثه بالتضامن من خلال النداء لاستجلاب انتباههم ثم بدأ بوعظهم وإرشادهم ملتزما بمبدأ التأدب وقواعد التخاطب ، ومن خلال توظيفه للإشارات الشخصية اتضح مقصده ، بمنع الأذى عن ضيفه ، وإرشادهم إلى ترك الفاحشة ، والعمل بالفطرة التي سنّها الله ؛ لذا أبهم أسماء بنات لوط ^(*) ؛ لأنه لا فائدة من ذكرها .

و في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (سورة غافر: ٢٨-٢٩) اشتملت هذه الآية على ضمير الغيبة المستتر في (يقول، وجاءكم ، ويكن، ويعدكم، ويهدي) أما الضمائر الظاهرة منها ضمائر الخطاب في (جاءكم، وربكم، ويصيبكم، يعدكم، وفعليه، وكذبه) والغائب (هو) . فكثف من الإحالة بضمير الغيبة التي تتعلق بذات أخرى فجعلها المحور الذي تشير إليه الضمائر الظاهرة والمستترة فمرجعيتها واحدة أما الخطاب الموجه من مؤمن آل فرعون إلى قومه بالنداء ، ذكر ابن عاشور أنه " ادخل قومه في الخطاب فناداهم ليستهووهم إلى تعضيده امام فرعون فلا يجد فرعون بدا من الانصياع إلى اتفاقهم وتظاهروهم " ^(٢) . فحين يكون المتلقي بحاجة إلى تنبيه يعمد المتكلم إلى مناداته بقصد إحداث تواصل وتفاعل بين الطرفين . استعمل الضمائر المستترة (نحن/أنا) في (اريكم ، وارى ، واهديكم ، وينصرونا ، وجاءنا) والظاهر (أنا) ، وضمير المخاطب (أنتم) . فضمير المتكلم (نحن) أشار بها إلى ذاته وقومه ، وقد قسّمت لأكوف هذا الصنف الإشاري على قسمين ^(٣) :

(١) - ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م ، ١٢ : ١٢٦ .

(*) - أسماء بنات لوط (ريتا والأخرى رعوثا) (التعريف والإعلام : ٧٨٧٧) .

(٢) - التحرير والتنوير ، ٢٤ : ١٣٢ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٢٩٣

- نحن الشاملة ، ويقصد بها العنصر الإشاري الذي يجمع أطراف العملية التواصلية ، أي المتكلم والمتلقي اعتماداً على عنصر المشاركة ، وتحقيق التضامن ، والتعاون .

- نحن القاصرة ، والتي تقتصر على ذات المتكلم وحده من دون إدخال عنصر المتلقي معه ، وهذا النوع يدل على فخر المتكلم والتأكيد على ذاتيته لدى المتلقي .

ومؤمن آل فرعون باستعماله لهذه العناصر الإشارية قصد الجمع بينه وبين قومه من دون التأكيد على ذاته دلالةً على التضامن معهم . على خلاف الآية الأولى إذ أكثر ضمائر الغيبة ليحيل إلى موسى لأنه محور الخطاب فأسهمت بشكل فعال في اتساق النص وربط أجزائه ، واختصار الكلام . وأنه استخدم قانون التخيير والتودد في العملية التخاطبية ، أما فرعون فخطب قومه معترضاً على كلام المؤمن بقوله : (مَا أُرِيكُمْ) أي لا أجعلكم رائيين إلا ما أراه لنفسى لإرشادكم .

وتُعد (الديانة) من العناصر الاجتماعية التي تجعل المخاطب يختار الاستراتيجية التضامنية ، لذا لجأ مؤمن آل فرعون إلى الإحالة بعناصر المتكلم (نا) - وهو من بدائل نحن - ليظهر لقومه أنه على دينهم ، وهذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره ، قائلاً : " وأدمج نفسه مع قومه في " ينصرنا " و " جاءنا " ليريهم أنه يأبى لقومه ما يأباه لنفسه ، وإن المصيبة إن حلت لا تصيب بعضهم دون بعض " (١) ، فاستطاع مؤمن آل فرعون الذي ذهب أكثر المفسرين بأنه ابن عم فرعون (٢) بحكمته ولين خطابه واطهار تضامنه في خطابه من إقناع قومه والتأثير فيهم بعدم قتل موسى التي كانت أقصى غايته من خلال انتقائه للاستراتيجية التضامنية ، فالآية تصب اهتمامها بين طاغية ، ومؤمن لا يملك من وسائل الدفاع إلا الكلمة ، فنصر بها الحق فضرب الله به المثل فلا توجد فائدة من تعيين الاسم فجاء مبهماً ، وذكر فقط بأنه من آل فرعون . فذكر الأحداث بدون أسماء شخوصها يعطي للخطاب مجالاً أعم وأشمل .

٢- الإشارات الزمانية .

وهي من أبرز العناصر الإشارية التي تساهم في قصد المتكلم وفهم الخطاب ، وتدل على لحظة التلفظ ، أو تحيل إلى زمن أحداث الخطاب ، والزمن نوعان : زمن نحوي وهو زمن الجملة ، وزمن كوني وهو الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي ، مثل : الظروف ، وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي (٣) . ولا يمكن لأي خطاب أن يتجرد من الزمان والمكان ، فكل عملية تخاطبية تبدأ بين طرفين يتأسس الزمان لحظة التلفظ خلالها . إن للإشارات دوراً في كشف المعاني ، فالزمن يرتب الأحداث لئلا يحدث لبس عند القارئ ، وهو التواصل نفسه المرتبط بوجود المخلوقات ولا يمكن تحديد الزمن إلا بالسياق الذي تستعمل فيه ، المبهمات الزمانية تقسم على (٣) :

- المبهمات التزامنية : يقترن استعمالها ودلالاتها بالحاضر ، مثل : الآن ، اليوم .

(١) - التحرير والتنوير ٢٤ : ١٣٢ .

(*) - اسمه (شمعان ، وقيل اسمه خير) (التعريف والإعلام : ١٥١) .

(٢) - ينظر : النظرية البرجماتية اللسانية (التداولية) ، محمود عكاشة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م : ٨٥ .

(٣) - ينظر : لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب : ١١٧-١٢٠

- المبهمات القبلية : زمنها انقضى وفات ، مثل : الأمس ، والاسبوع الماضي

- المبهمات البعدية : الزمن الذي لم ينقض بعد مثل : غداً ، فيما بعد ، السنة القادمة .. وغيرها .

قد تتطابق العناصر الإشارية - الزمن الكوني والزمن النحوي - في سياق الكلام ، وقد يختلفان فتستعمل صيغة الحال للدلالة على الماضي ، وصيغة الماضي للدلالة على المستقبل ، وليس إلا معرفة السياق ومرجع الإشارة هما من يحلا التداخل بينهما ^(١) ، وجاء في قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (النحل: ٥٠) " فزمان التكلم أيام البعثة النبوية إلا أن الزمن النحوي في صيغة الماضي قد دل على المستقبل ، وهذا في علم الغيب والمراد منه يوم القيامة " ^(٢) .

- العناصر الإشارية الدالة على الزمن الكوني .

وتحضر هذه العناصر الإشارية في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٥) . أشار سبحانه وتعالى إلى زمن القول (من بعد موسى) أي موته وكان في ذكر الزمن دلالات عدة ذكرها ابن عاشور ^(٣) هي :

- إن زمان موسى لم يكن فيه نصب ملوك على بني إسرائيل .

- أنهم اضاعوا الانتفاع بالزمن الذي كان فيه رسولهم بين ظهرانهم ، وكان النصر أرجى لهم في زمن موسى عندما ، قالوا له : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ببركة رسولهم .

- التعريض بتحذير المسلمين من الاختلاف على رسولهم .

فتقديم الزمن في الآية كان أولى لحصول الفهم وإدراك الغاية منه ؛ لأن العبرة منها وصف حال القوم بعد نبينهم ، فتقديم الظرف أفاد الحصر أي بعد نبي الله موسى قد ضاع ملكهم ، ونهبت مقدساتهم ، وأذلتهم الملوك من غيرهم ، و(بعد) من الظروف التي صُنفت أنها " ظروف علاقة غير شرطية ترتيبية ترتب الأحداث والأزمة " ^(٤) ، فالمتكلم ليفهم غاية الخطاب عليه أن يكون على علم بالزمن الذي أنتج فيه الكلام ؛ لأن هدف الآية إعلام الرسول محمد والمسلمين بحال بني إسرائيل فحين كان نبينهم بينهم رفضوا القتال معه ، ولما آل حالهم إلى الذل طلبوا القتال بعد وفاته حين أصبح وجهاهم أذلة ، فالعنصر الإشاري اللغوي جاء توظيفه دقيقاً لبيان الواقع الذي جعل بني إسرائيل يطلبوا ملكاً ليقاتلوا معه ، فلا بد أن يكون المتلقي على دراية بزمن العملية التخاطبية ؛ لذا ربط الزمن بالفعل في مرحلة أولى ، ثم ربطه بالفاعل . وأن السياق والمقام ساعدا على فهم قصد المتكلم ، وفهم الخطاب الذي غرضه تحذير المسلمين من

(١) - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢١ .

(٢) - الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي ، نادية رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدولية ، ط١ ، ٢٠١٣ م : ٩٢ .

(٣) - التحرير والتنوير ٢ : ٤٨٥ .

(٤) - دلالة الزمن في العربية ، عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ٢٠٠٦ م : ٢٠٥ .

الاختلاف على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و كلمة (من بعد) لم تحدد زمنًا معينًا فهي مبهمه ، ولكن منحاه تاريخي يشير إلى مدة من الزمن بعد وفاة نبي الله موسى .

فالمبنى مع الإشارات الزمانية بيّنت شدة الذل الذي أصبح عليه بنو إسرائيل بعد وفاة نبيهم ، فقله : (أَمَلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي نال الوجهاء منهم الذل .

وتفتقر الإحالة بالإشارات الزمنية عن الإحالة ببقية الإشارات ، إذ الأخيرة يتوجه بها إلى ذوات أمّا الأولى فهي تحيل إلى لحظة الخطاب مع ارتباطها بهذه الأقسام " إذ إنّ المشيرات المقامية جميعها تدل على الزمن ، وهي أمّا أن تدل عليه بالقوة نتيجة دلالتها على الاقتران بالحدث التخاطبي ،... وأمّا أن تدل عليه بشكل صريح ... أمّا الألفاظ الزمانية فتدل عليه بإشارتها إلى اقتران بأن التلطف ، أو بالقياس إلى آن التلطف " (١) .

قال تعالى : ﴿ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۖ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ ﴾ (الشعراء : ٥٣-٥٥) .

ذكر المفسرون أنّ موسى مكث ثلاثين سنة في بيت فرعون ، وقيل : وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة ففر منهم . فأراد فرعون من إيراد العنصر الإشاري (سنين) أن يذكر موسى بنعمه عليه ، وبيان طولها مذ كان رضيعاً حتى فعل فعلته - أما بعد الثلاثين أو اثنتي عشرة سنة - فلفظ سنين تدل على زمان مضى ؛ لأنّ السياق دل على ذلك (وَلَبِثْتَ فِينَا) أي أقمت عندنا ، فهنا فرعون يعدد نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ، فأنت من ربّناك ، وأفسدت في الأرض بقتل النفس فمن أين جاءت هذه الرسالة ؟ ونحن نعرفك حق معرفة ؟ . إن موسى لمّا قام بفعلته لم يبق معهم لقوله : (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) ، و(لَمَّا) عنصر إشاري بمعنى (حين) أي أنّه حين فعل فعلته بقتل القبطي فرّ منهم لخوفه (٢) ، فالحوار ما بين فرعون وموسى عن زمان وقوع الفعل في الماضي يفهمه المتلقي من سياق الآية ، ويدرك إنّ فرعون أشار إلى الماضي بقوله : (سنين) وموسى يتحدث عمّا حدث له بعد فراره ، وأنّ الله وهبه حكماً وجعله من المرسلين ثم أشار موسى إلى حاضره ، فهو الآن يقف بين يدي فرعون وهو رسول ربّ العالمين .

و في قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾ قَالَ سَأُولِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۖ ﴾ (هود : ٤١-٤٢) . ابنه اسمه كنعان وهو لصلبه

(١) - استراتيجيات الخطاب في آيات الغيب دراسة تداولية ، رغد عبد ابو جاسم الحميدوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٢٠م : ٤٨ .

(٢) - ينظر : الكشف : ٣٨٣ ، والميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧م : ١٥ : ٢٦٠ .

وكان كافراً ، وجاءت لفظة (اليوم) إشارة زمنية مرجعيتها لحظة تكلم نوح ، وسياق الآية هو المتكأ لمعرفة الإشارات وقصدية المتكلم ، فالآية السابقة ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ هي علامة على بدء الطوفان ، فأمر الله نبيه نوح أن يحمل على السفينة من كل زوجين اثنين ، فمعنى (اليوم) ، أي وقت نزول العذاب بهم فالمتلقي هنا أدرك وقت لحظة الخطاب " قبل جريان السفينة في موج كالجبال إذ يتعذر إيقافها بعد جريها " (١) ، وأدرك المتلقي نهاية الخطاب حين حال الموج بينهما ، فأراد نوح إقناع ابنه بالصعود وأن باب التوبة مفتوح والابن رافض ، وبقي يحاوره حتى كتب الله له النهاية فحال بينهما الموج ، فقطع محاورتهما وأنهى كل شيء بأمر من الله .

و استعمل نبي الله نوح الاستراتيجية التضامنية حرصاً منه على التقرب واستعطاف ولده " ولا يستعمل المرسل هذه الاستراتيجية إلا بعد أن ، يثق أن هذا لن يؤثر في العلاقة التراتبية ولن يمس بمقتضياتها الأصلية أو يمحو أثرها ، مثل الحرص على إنجاز العمل في الوظائف الحكومية ، أو قيام كل من أفراد العائلة بدوره " (٢) ، ويفهم المتلقي من السياق أن (اليوم) قد لا يكون القصد منه الأربع والعشرين ساعة ، فقد يتجاوزه ؛ لأن سياق الكلام عن يوم شديد الأوهال وقد تتسع الشدة وتطول ، فأراد نبي الله نوح أن يوصل لابنه أن الأمر ليس لحظة أو ساعة فيخدعه الشيطان بأنه يستطيع أن يصبر فينجو ، فالأمر يطول لأيام عديدة ، وذهب ابن عاشور إلى إن نبي الله نوح قصد بـ (اليوم) وعده لقومه بالعذاب في الدنيا في الآيات السابقة في قوله : ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ فجاءت (يوم) هنا نكرة لتشمل عذاب الدنيا والآخرة (٣) ، أي قد جاء ما وعدتكم به .

أما لفظ اليوم الذي يدل على الزمن المعروف جاء في قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ (الكهف: ٥٥-٥٦) ، جاء لفظ «يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» ليعبر عن الزمن الكوني الذي حدث فيه الفعل - النوم - فدلالة (يوم) تحيل إلى الزمن المعروف بالأربع والعشرين ساعة ثم استدرکوا فقالوا (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) أيام لا يعلمون عددها مبنية على ظنونهم ، وبعد أن اختلفوا في كثرة نومهم عدلوا إلى تفويض العلم إلى الله تعالى . ومن هذه العناصر الإشارية يمكن للقارئ أن يعلم أن زمن المحاورة جاء بعد استيقاظهم ، كما يشعر القارئ بأنهم تنبّهوا إلى أنهم ذهبوا في نوم عميق ؛ لذا لجأوا إلى هذه العناصر ، ثم بعد ذلك أوصوا بالحذر من قومهم بالأمر يعرفوا مكانهم كي لا يعيدوهم في ملتهم فأن علموا فلن يفلحوا إذا أبداً ، وقولهم: ﴿إِذَا أَبَدًا﴾ أي تخسرون الدنيا والآخرة وذكر الزجاج (٣١١هـ) أن " (إذا) تدل على الشرط ، أي ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم " (٤) ، فلفظ (أبدا) يدل على عدم الفلاح

(١) - التحرير والتنوير ١٢ : ٧٥ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٢٦٣ .

(٣) - ينظر : التحرير والتنوير ١٢ : ٤٥ .

(٤) - معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تح. عبد الجليل عيده شليبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، م : ٢٧٦ .

في كلتا الحالتين سواء رجماً ، أو في العودة إلى ملتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ لأنها من الظروف التي تشير إلى مدة لا نهاية لها . والمبهم في الآية هو (فابعثوا أحداكم)^(*).

ومن الظروف التي تدل على الزمن الطويل جاء في قول موسى لفته في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: ٦٠) أراد نبي الله موسى من هذا العنصر الإشاري أن يبين إصراره على اللقاء بالعبد الصالح حتى لو يسير لسنين طويلة . " والحقبة ثمانون عاما والحقبة : الدهر " ^(١) ، فالعنصر الإشاري أفاد عزم موسى على الوصول إلى غايته^(*) ، وذكر ابن عاشور أنه ذكر حقباََ لأمرين ، هما : " وكأنه أراد تأسيس فتاه من محاولة رجوعهما ، أو أراد شحذ عزيمة فتاه ليساويه في صحة العزم حتى يكونا على عزم متحد " ^(٢)، فليس لنبي الله موسى إلا أن يبلغ مجمع البحرين أو يمضي زمناً طويلاً .

وما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان : ٢٤-٢٥) المقصود في هذه الآية نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نذكر أولاً غرض السورة كما ذكرها الطبطبائي " غرض السورة بيان أنّ دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوة حقّة وكتاب نازل من عند الله ، وفيها عناية بالغة بدفع ما أورده الكفار على كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولاََ من جانب الله وكون كتابه نازلاً من عنده ورجوع إليه كرة بعد كرة " ^(٣) ، ولم يسلم نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ أن بعثه الله بالرسالة من كيد قريش ، وسخريتهم وأذاهم بالقول والفعل ، ومما قالوه عنه :إنّه كذاب وما جاء به من أساطير أمر بكتابتها ثم تُلقَى عليه ليحفظها ، وقد عمد المشركون إلى اختيار عناصر إشارية محددة ، فقالوا : (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) لإثبات صدق دعوتهم " فالبكورة قبل أن تنتشر الناس ، وأصيلاً عشياً حين يأوون إلى مساكنهم " ^(٤) ، فهذه الإشارات التي ضمّنها في قولهم غايتها تكذيب الرسول وأنّ هناك من يأتيه بالكتب في أول النهار ، والناس في بيوتهم ، وآخر الليل والناس أيضاً قد عادت إلى بيوتها ، ولهذا أشاروا إلى القرآن (إِنَّ هَذَا) ولم يذكروا اسمه " احتقاراً وحقاً لقدره " ^(٥)، فعمدوا لهذا التحديد الزمني لتحقيق الغرض الذي يقصدونه ليتضامن معهم الناس بتكذيب دعوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لأنّ الجميع يعلم بأمية الرسول الكريم فهناك من يأتيه باستمرار ويحفظه هذا الكلام ^(*) .

أمّا ما ورد في حوار نبي الله سليمان ، فقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ

(*) - وقوله تعالى (فابعثوا أحداكم) هو تمليخا .

(١) - مجمل اللغة ، ابن فارس ، تحد . زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م : ٢٤٥ .

(*) - الفتى هو يوشع بن نون (التعريف والإعلام : ١٠٣)

(٢) - التحرير والتنوير ١٥ : ٣٦٥ .

(٣) - ١٥ : ١٧٢ .

(٤) - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د. ط . ١٩٨٤م ١٨ : ٣٤٠ .

(٥) - الميزان ١٥ : ١٨٠ .

(*) - وقوله عز وجل (أعانه عليه قوم آخرون) يعنون جبراً مولى الحضرمي ، وعداسا غلام عتبة (التعريف والإعلام : ١٢٢) .

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٥١﴾ (النمل: ٥٠-٥١) أراد سليمان من طلبه هذا أن يبين معجزته أمام قوم بلقيس حتى يسلموا لله كما يسلمون له ، فالزمن هنا حدّد السياق مرجعيته (أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) ، فقيمتها التداولية هو لترى بلقيس القدرة التي من عند الله تعالى لتؤمن هي وقومها بالله " وبقوله (قبل) وغير ذلك لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظيم قدرة الله (عزّ وجل) وصحة نبوته وليكون اطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها " (١) ، واستجاب لقوله مارء ، قال تعالى : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . حدّد المارد العنصر الإشاري للإتيان بعرض بلقيس ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ واختلف المفسرون في هذه المدة فمنهم من ذكر أنّ سليمان كان يجلس من الصبح إلى الظهر ، ومنهم من قال أي قبل أن تستوي من جلوسك قائما (٢) ، ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ اختلف الزمن المحدد للعنصر الإشاري (قبل) في هذه الآية ؛ لأنّ سياقها هو من حدد الوقت الذي كان أسرع من عفريت الجن هنا يبين قصر المدة ، والقيمة التداولية من الإشارات الزمانية أفادت الغاية في الإسراع والاستجابة لأمر نبي الله سليمان تقرباً لله فكلاهما (٣) أعطى لـ (قبل) زمناً محدداً مرجعيته السياق ، غايته التقرب لله وعون الناس للهداية .

- العناصر الإشارية الدالة على الزمن النحوي .

ومن أمثله في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (المائدة: ٥١-٥٢) خاطب قابيل أخاه هابيل بزمن المستقبل حين لم يتقبل الله القربان منه (لأقتلنك) مع قسمه وتأكيده على نية قتله بعد رد قربانه وعدم تقبله ، فيفهم المتلقي أن زمن القتل وقع بعد تقبل القربان وإن هذا القبول ليس لهابيل يد فيه ، وصيغة المبني للمجهول في (فَتُقَبِّلَ) ، أي أن هناك قوة غيبية هي من تدبّر الأمور ، وذكر سيد قطب أن هابيل أراد بهذا القول توجيه رفيق للمعتدي أن يتقي الله ويهديه إلى طريق القبول بدون أن يصرّح بما يخشه أو يستثيره ، كما أنه حاول أن يكسر من شرة الشر الهائج في نفس أخيه بقوله : (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) وبهذا القول أراد هابيل أن يسكن الشر في نفس أخيه ، ويرده إلى حنان الأخوة (٣) ، وإخباره بأنّه - أي هابيل - يخاف الله دائماً وأبداً . بدأت الآية بزمن الماضي ثم التفت إلى المضارع ؛ لأنّها حكاية حال ماضية ، و(إذ) بمعنى في ذلك الوقت ، ثم بنى الفعل للمجهول ؛ لأنّ غاية الآية عن لماذا تقبل ؟ وليس من تقبل ؟ لأنّ الغرض المهم هو

(١) - روح المعاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٩ : ٢٠٢ .

(٢) - ينظر : تفسير الطبري ، ١٨ : ٦٧ ، و روح المعاني ١٩ : ٢٠٢ .

(٣) - اسم العفريت (كودن) ، والذي عنده علم الكتاب هو (آصف بن برخيا) . (التعريف والإعلام : ١٢٩) .

(٣) - ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٢م ، ط٢ ، ٢٠٠٣م ، ٢ : ٨٧٦ .

الفعل فحذف الفاعل والمفعول ، وقال هابيل (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ) أي أن القبول من المتقين مستمر في كل زمان ، والغاية من الاختلاف في الأزمنة هو الجمع بين السبب والنتيجة ، وجاء فعل الشرط (لَئِنْ بَسَطْتَ) بصيغة الفعل وجوابه (بِبَاسِطٍ) بصيغة الفاعل ؛ "لأنَّ الفعل لا يفيد سوى حدوث معناه من صاحبه ، وأمّا اسم الفاعل (باسط) يعطي اتصاف الذات بالفعل " (١)، كما أنَّ اسم الفاعل يدل على زمني الحال والاستقبال فأراد هابيل نفي صفة القتل عنه ما دام أنَّه يخاف الله . فهذه الإشارات الزمانية كان لها الأثر في تحديد مقصدية الخطاب ، وزمن حدوث القتل بين ابني آدم إذ وقع بعد قبول قربان المتقي منهم ، والمعنى التداولي للآية مفاده أن الإيمان الصادق بالله يطهر القلب من الحسد والعدوان .

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٥-٢٦) . وقد أرسل الله منذرين قبله وبعده (٤) ، وقد مضت من بين يديه أي من قبله ومن بعده رسل كثيرون ، وقد دعا قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ ، جاء الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لإثارة الانتباه والمبالغة المناسبة لسياق الآية لغرض توجيههم ، وصيغة الفعل التي تدل على الحدث والتجدد ؛ لأنَّ ما دعا إليه هود هي دعوة جميع الأنبياء من قبله ومن بعده ، وبيّن سبب دعوته هو حرصه وخوفه عليهم من عذاب يوم القيامة ، وهذا ما كلّف الله به جميع الأنبياء لدعوة الناس لعبادته ، وإنذارهم من عذاب الآخرة ؛ لأنَّ صيغة الفعل تدل على القطع والتأكيد بوقوع الحدث إذا لم يستجيبوا لدعوته . جاء الرد من قومه باستهزاء وإصرار على الباطل ، فقالوا له : أجنّتنا لتصرفنا عن آلهتنا (فقالوا) بالماضي ؛ لأنَّ صيغته تدل على التوكيد ، ودلالة إعادة ترتيب الأحداث زمنياً خلافاً لترتيبها سياقياً وتركيبياً (٥) . وقالوا: (لِنَأْفِكَنَّ) ؛ لأنَّ الحوار يتم في الزمن الحاضر فعُدل إلى ما يدل على الحال ، ودوام حالة صاحب الفعل ، أي أنك كنت ولا زلت تريد أن تشق علينا ، ونثنيها عن آلهتنا ، فقالوا: (فَأْتِنَا) أرادوا من هذه الصيغة تعجيزه وتكذيبه باستعجال العذاب الذي وعدهم به ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ، أي أن كان في عبادة آلهتنا عذاب لنا فاستعجل به إن كنت من الصادقين (٦) ، فقال: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ليبدل على أن ثبات العلم عنده لا عند غيره ، وعدل للفعل (وَأُبَلِّغُكُمْ) أي من واجبي أن أنذركم من العذاب ؛ لأن التبليغ متجدد الحدوث دلّ عليه بالمضارع ، واستعمل الماضي للدلالة على الحال ودل على جهلهم ﴿أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بالمضارع أي شأنكم الجهل ليدل على الكثرة والتكرار (٧) .

(١) - من أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، محمد عبد الله سعادة ، مكتب بسملة ، الإسكندرية : ٢٦ .

(*) - (أخا عاد) هو نبي الله هود ، (التعريف والإعلام : ١٥٦) .

(٢) - ينظر : العدول في صيغ مشتقات القرآن الكريم دراسة دلالية ، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي ، رسالة ماجستير ، جامعة تعز ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، اليمن ، ٢٠٠٧ م : ٦٤ .

(٣) - ينظر : البحر المحيط ٨ : ٦٤ .

(٤) - ينظر : روح المعاني ٢٦ : ٢٥ .

ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَلَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (ال عمران : ٥٠) .

ذكر السهيلي أن المنادي هو القرآن وقيل : محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) ، وفي هذه الآية عدول من صيغة الماضي إلى المضارع (يُنَادِي) ، وكان السياق يقتضي أن يقال: (نادى) حسب السياق ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ وظف الفعل المضارع للدلالة على الماضي ؛ لأن المضارع فيه استمرار في الصيغة والماضي في المعنى يدل على الثبات أي أن النداء مستمر " وذكر المفسرون أن إيراد المستقبل والمراد منه الماضي للدلالة على استمرارهم... " ^(٢) ، غايته التقرب لله ، فالزمن النحوي للآية أعطى للدعاء أبعاداً زمنية من الماضي إلى الحال والاستقبال فيفهم المتلقي منها الآتي :

- الاستماع حصل لحظة سماع النداء في الماضي .

- الإيمان حصل بعد سماع النداء.

- وبعد الإيمان طلبوا الغفران والتكفير عن سيئاتهم في حاضرهم ليكون مستقبلهم مع الأبرار .

ومثله أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٥ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْمِثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال : ٥-٥) .

جاءت ﴿وَإِذَا تُتْلَى﴾ بصيغة المضارع للدلالة على " تكرار الحدث واستمراره ، وتطاوله...فالتلاوة تطاول...فإن معناها أنهم في أثناء القراءة ، يقولون : انت بقرآن غير هذا " ^(٣) ، وهنا يقولون سمعنا لو نشاء لقلنا مثله ، فالتركيب في صيغها المتحوّلة تجعل القارئ في إثارة وتفاعل مع النص ، وكأنه حاضر الحدث " نجد أحيانا تراكيب في اللغة تعبّر عن أحداث الماضي بصيغة المضارع المجرد استحضاراً لصورة الحدث لجعله أمام عين المخاطب " ^(٤) . ثم قال ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ هذا ما يقولون أي أنهم سمعوه ولم يبالوا له في حاضرهم ؛ لأنه أساطير الأولين فبمشيئتهم لم يأتوا بمثله . ثم عدلوا في قولهم ^(٥) إلى صيغة الأمر الذي خرج إلى السخرية ، والاستهزاء ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْمِثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي بالسجيل كأصحاب الفيل هذه الصيغ التي ضمنوها في أقوالهم من حال واستقبال أرادوا بيان باطل دعوة الرسول ، وصدق قولهم ، ليتضامن الناس معهم ، وهذا ما جعلهم يدعون على أنفسهم بالعذاب ^(٥) ، فالصيغ المختلفة أفادت تكذيبهم لكل ما جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبأنه ليس منزلاً من عند الله .

(١) - التعريف والإعلام : ٣٨ هامش : ١ .

(٢) - العدول في الجملة القرآنية ، عبد الله خضر حمد ، دار القلم ، بيروت - لبنان : ١٤٦ .

(٣) - معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار السلاطين ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠م ، ٤ : ٦٧-٦٨ .

(٤) - العدول في الجملة القرآنية : ١٤٤ .

(٥) - القائل هو النضر بن الحارث (التعريف والإعلام : ٦٥) .

(٥) - ينظر : التحرير والتنوير ٩ : ٣٣٣

فالعناصر الإشارية المختلفة في الزمن النحوي ، وتحولها من زمن إلى آخر قد وردت بكثرة في القرآن الكريم لتجعل من الأحداث متسلسلة متكاملة ، فالمتلقي يدرك أحداث السياق بما تم توظيفه من إشارات زمانية وقت حدوث الفعل ، وأن تحولها وخروجها عن السياق يفاجئ المتلقي ؛ ولهذا أنتقد الباحثون المعاصرون تقسيم النحاة الفعل إلى : (ماض ، ومضارع ، وأمر). وتركيزهم على صيغة الفعل وأهملوا السياق ، وعليه قسموه على :

- الزمن الصرفي : وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق .

- الزمن النحوي : أو ما يسمى " الزمن السياقي التركيبي " وهو الذي تحدده القرينة اللفظية ، أو الحالية : أي هو معنى الفعل ^(١) .

٣- الإشارات المكانية .

هي عناصر إشارية تشير إلى أماكن معينة " أو على مكان آخر معروف للمخاطب والسامع ، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً ، أو بعداً أو جهةً " ^(٢) ، وللإشارات المكانية قيمة تداولية من خلال السياق ، فهي أيضاً لا تحمل معنى في ذاتها ، ولا تختلف عن الإشارات الزمانية بل إنهما مرتبطتان ببعضهما ، فلحظة التلفظ أثناء العملية التخاطبية يتأسس الزمان كما يتأسس المكان من نقطة تواجد المتخاطبين ^(٣) ، وظروف المكان منها (فوق ، وتحت ، وامام ، وخلف) وأسماء الإشارة (هذا ، وذلك) إذا أشير بها إلى مكان ، وهي أكثر الإشارات المكانية وضوحاً " وكلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه " ^(٤) .

ولا يمكن للمتكلم أن يستغني عن المكان عند تلفظه في الخطاب ، وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب حيث أنها تختص " بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي ، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء ، هما : إما التسمية أو الوصف من جهة أولى ، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى " ^(٥) .

وتحديد ظرفية (اسم الإشارة) عائد إلى قصد المتكلم " فأنت إذا أردت الإشارة إلى المكان من غير إرادة كونه ظرفاً تجريه مجرى الأشخاص ، فكما تقول : أعجبنى هذا الرجل ، وهذا الفعل كذلك تقول : أعجبنى هذا المكان وهذا الزمان ، فلا ينفصل المكان من غيره إذا لم تقصد فيه كونه ظرفاً ، فأما إذا قصدت كونه ظرفاً فأشرت إليه ، فالخاص بهذا النحو لفظ هنا .

(١) - ينظر: تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي ، عبد الله الهتاري ، موقع ملتقى أهل التفسير ، ٢٠٠٨م ، بحث مرفوع على الشبكة العنكبوتية .

(٢) - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢١ .

(٣) - لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب : ١٢٤ .

(٤) - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٢ .

(٥) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٨٤ .

وما ذُكر معه لا يشار بها إلا إلى المكان من حيث كونه ظرفاً بخلاف هذا واشباهه ، فإن الأمر فيها مطلق " (١) أي السياق .

وعليه فمدلول أسماء الإشارة يختلف تبعاً للسياق ومقاصد المتكلمين ، وجعل النحاة هذه الخاصية سبباً لإبهامها ، أما اللسانيات التداولية جعلتها رهينة لقصد المتكلم ، والسياق ، ومن ثم " فإن أسماء الإشارة لا تحيل بذاتها ، بقدر ما تعتمد اعتماداً كلياً على غيرها للانتقال من حالة الإبهام إلى التعيين والتحديد " (٢) عند استعمال الإشارات المكانية في العملية التخاطبية يجب على الطرفين أن يكونا على معرفة بالمواقع وذلك من خلال : معرفة مكان التلفظ ، واتجاه المتكلم ؛ لأن بعكسه يقود إلى اللبس ، وقد لا يكتفيا بهما فقط ، إذ يستعمل الدوال اللغوية للأشياء في الخطاب نحو : الكرة وراء السيارة فيضل مرجع اللفظ (وراء) غامضاً ، لو استعمله المرسل وحده ، ولكن تحديده هنا مرتبط بمعرفة الدال (السيارة) ، فالإشارات المكانية لا تستعمل إلا بإدراك المرجع (المضاف إليه) في ذهن كل من طرفي الخطاب (٣) .

ومن أمثله ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۖ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۖ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۖ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٠ - ١٢٤) .

هذه الآيات تتحدث عن السحرة (*) الذين آمنوا بموسى بعد أن رأوا من معجزاته ما يفوق قدرة البشر ، فما كان منهم إلا أن سجدوا لله أمام فرعون والملا ، فقال تعالى (فغلبوا هنالك) إشارة إلى ما جرى مع موسى و فرعون ، فيخبر الله نبيه الأكرم أن هنالك في ذلك المكان والزمان انتصر الحق " أي غلب جميعهم في مكان اجتماعهم ، أو ذلك الوقت وانقلبوا أدلاء " (٤) ، فبهذا العنصر الإشاري أوجز في التعبير عن كل ما حدث من إذلال لفرعون وملاه ، والسياق هو المتكأ الذي يلجأ إليه المتلقي لمعرفة إلى ما تشير " ومن الإشارات المكانية : هذا ، ذاك والظروف : هنا ، هنالك ، فوق ، تحت ... ، ويدخل فيها أسماء المكان ، وهي تدل على أشياء في العالم الخارجي ، وهي بمنزلة التعيين والتوثيق " (٥) .

وبعد هذا غضب فرعون مما جرى من السحرة فقرر هو ومن معه من الملا تعذيب السحرة ومن آمن من بني اسرائيل فقال : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٥) فعبّر بالظرف (فوق) للاستعلاء والمنزلة فهي معنوية أي التمكّن في الدنيا ، بعد أن قال له قومه :

(١) - المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، الشاطبي ، تج. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ط ١ ، ٢٠٠٧م : ٤١٨ .

(٢) - التداولية أصولها واتجاهاتها : ٨٢ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٨٥ .

(*) - كان السحرة أربعة وهم أئمة السحر ، واسماؤهم (عاذور ، و ساتور ، وحطط ، والمصفى) ، (التعريف والإعلام : ٥٨) .

(٤) - البحر المحيط ٤ : ٣٦٧ .

(٥) - النظرية البرجماتية اللسانية : ٨٤ .

﴿ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فالقيمة التداولية من هذا العنصر تبين ما أحسنه فرعون من فقدانه لجبروته وسلطته فأراد تعويضها بهذا العنصر الذي يشير إلى أقوى أحوال التمكن من قهره . ثم ذكر ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾^(*) ، بعد أن قال موسى لقومه يريد أن يسليهم: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الاعراف: ٣٥) بين عز وجل أنه بعد ذلك أورثهم الأرض ودمر فرعون فقال: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الاعراف: ٣٥) ، العنصر الإشاري الذي جاء في هذه الآية يشير إلى عجب صنع الله من رفع الوضيع ، كما أنها تحمل دلالة شاسعة تدل على رحمته الواسعة ، وتمليكه من الأرض ما لا يقدر عليه عادة إلا كل قوي ذو أعضاد وأنصار^(١) . وجاءت المبنى هنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ؛ لأنهم تبعوا موسى وصبروا واستعلن الإيمان في قلوبهم وأنهم في هذه الحقبة أقرب ما يكونون إلى الصلاح وقبل أن يزيغوا ، فهذه الصحوة لم تلائمها إلا الكنية التي تشهد بأنهم أهل دين ومعرفة بالله ، وجاءت الإشارات المكانية حين تدخلت يد القدرة لإدارة المعركة فأصبح النصر حليفهم ، والأراضي الواسعة ملكهم وما كان لفرعون أصبح لهم وذلك حين تخطوا حاجز الدل استحقوا الكنية التي جاءت هنا لمدحهم ، أما حين كانوا مستسلمين للذل وصفهم عز وجل بالضعفاء بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) ونريد أن نمن على الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَّعْلَهُمْ أَيمَةً وَنَجَّعْلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٢٨) فنرى أنهم حين كانوا مستسلمين للذل وصفهم بأنهم ضعفاء . فبايمانهم بالله وبنبيهم من الله عليهم بأراض واسعة ودمر فرعون وجنوده .

ومن أمثله أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾^(٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: ٦٣-٦٤) ، جاء اسم الإشارة (ذَلِكَ) دلالة على مكان فقد الحوت " لأنه أمانة الظفر بالطلبة من العبد الصالح " (٢) المكان الذي حرص نبي الله موسى الوصول إليه (مجمع البحرين) للقاء العبد الصالح (الخضر عليه السلام) وبما أن موقعه معروف من الطرفين فأوجز موسى ما ذكره للفتى بإسم الإشارة (ذَلِكَ) ليدل به على تعيينه . أي أن المكان الذي تم تعيينه أصبح خلفهما " أن الشيء الوحيد الذي يحدد المكان (القرب ، البعد ، الخلف ، الامام... (هو وضعية المتكلم في لحظة الحديث ، وكذا إشارته " (٣) . ومن جملة الأبعاد الحسية المادية التي من خلالها يدرك المتلقي في هذه الآيات المكان هي :

(*) - قيل (الأرض كلها على سبيل المجاز لأنه تعالى ملكهم بلاداً كثيرة ، وقيل (أرض الشام ومصر) : البحر المحيط ٣٧٥: ٤.

(١) - ينظر : الميزان ٩ : ٢٣٤.

(٢) - البحر المحيط ٦ : ١٣٩.

(٣) - لسانيات التلفظ : ١٢٤.

- «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ» .

- «وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» .

- «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا» .

فمن كلام الفتى عيّن نبي الله موسى المكان لذا أشار إليه (ذلك) التي تشير إلى البعيد ؛ لأنهم تجاوزاه وأصبح بعيداً عليهم وحين أشار إليه نبي الله موسى قصد مكان اللقاء بالعبد الصالح " أن المرسل يبادل بين أسماء الإشارة ، خصوصاً بين اسمي الإشارة القريب والبعيد ، فهذه الآلية من الآليات التي يستعملها المرسل للتضامن مع المحدث عنه " (١) . كما أنه يشار به للبعيد " والبعيد يراد به بعد منزلة المشار إليه وارتفاع مكانته " (٢) . ومن كلامهما - موسى والفتى - يعيّن المتلقي المكان الذي يقصده موسى أصبح وراءهما فارتدا إليه .

أما ما جاء على لسان الخضر في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف: ٥٥) .

اختلف المفسّرون في لفظ (وراء) فقيل بمعنى (خلف)، وقيل بمعنى (أمام) (٣) ، وبالمعنيين فهي عنصر إشاري أراد منه الخضر أن يبيّن موقع الملك لنبي الله موسى " ولو كان وراؤهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين أيديهم ... وقيل : يحتمل أن الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به أصحاب السفينة وعلم به الخضر (عليه السلام) " (٤) .

والغاية من كلام الخضر أن هؤلاء المساكين أينما يتوجّهوا في البحر فالملك (٥) وراءهم حتّى وإن تغيرت وجهتهم " بينما تتنوع المبهمات الظرفية إلى أنظمة صغيرة متقابلة ... من قبل : هنا / هناك ، يسار / يمين ، خلف / أمام ، قرب / بعد ... تضمن هذه الأنظمة قيمتها إنطلاقاً من الإشارة ، وضعية وتوجيه جسم المتحدث ، وكل تعديل في الوضعية يعني تعديلاً في المكان " (٥) ، فلفظ (وراء) أفاد المقصود بأنهم كيفما غيروا وجهة السفينة كان الملك وراءهم ، فالعنصر الإشاري أظهر غاية العبد الصالح بتخليص هؤلاء المساكين وتضامنه معهم ، لأن بتغيير وجهة السفينة لا يمكن انقاذهم من الملك .

وورد لفظ (تحت) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (فصلت: ٥٥) إن المقصود من الجن والإنس هم الشياطين " وقيل هما ابليس وقابيل فإنهما سنّا الكفر والقتل " (٦) .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٠١ .

(٢) - معاني النحو ١ : ٨٣ .

(٣) - ينظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تد عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ١٣ : ٣٥٠ - ٣٥١ ، و الميزان ١٣ : ٣٤٣ ، ونظم الدرر ١٢ : ١١٩ .

(٤) - مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، دار المرتضى ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ٦ : ٢٨٧ .

(٥) - الملك هو (هُذُل بن بُذْد) (التعريف والإعلام : ١٠٤) ، أما المساكين فلم يذكر السهيلي اسمائهم .

(٥) - لسانيات التلّظ : ١٢٥ .

(٦) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البضاوي ، تد . محمد صبحي و محمود أحمد ، دار الرشيد ، دمشق - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ، ٢٤ : ٢٢٥ .

هذه الصورة القرآنية هي من مشاهد يوم القيامة ، يبين الله كيف أنّ الكافرين يطلبون من الله بعد إن تبين لهم صدق دعوة المرسلين أن يريهم الذين كانوا سبباً في كفرهم بالله وباليوم الآخر ليجعلوهم تحت أقدامهم إذلالاً لهم ومهانة على قراءة ابن كثير وابن عامر ، والسوسي عن أبي عمر ، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بسكون الراء في (أَرْنَا) . وعلى قراءة من كسر الراء فإنّ المضلين كانوا في الدرك الأسفل من النار فلذلك لم يعرفوا أين هم ^(١) ، فالزمن يوم القيمة والمكان في جهنم .

والإشارات المكانية هنا تحمل أكثر من دلالتها اللفظية ، وعبرة (تَحْتَ أَقْدَامِنَا) تشير إلى إحدى الجهات ، والمضاف إليه هو من أعطاه تأثيراً فعلاً " فبعض الإشارات يعتمد استعمالها على المركز الإشاري وبعضها الآخر على نقاط أخرى مثل ظروف المكان ، ولهذا يحتاج معها بما يقيدها أو يمنع عمومها / وهي بعض النقاط الثابتة " ^(٢) ، والقيمة التداولية التي تحملها هذه الإشارات هي تبرؤ الكافرين بعضهم من بعض ، وشدة بغض بعضهم لبعض ، وإن المضللين في الدرك الأسفل من النار يحملون وزرهم ووزر من أضلوهم .

٤- الإشارات الخطابية .

أشار إليها الدكتور محمود نحلة وعدّها من خواص الخطاب ؛ ليميّز بينها وبين إشارات الزمان والمكان التي تستعار لتستخدم إشارات للخطاب فكما يقال الأسبوع الماضي : يمكن أن يقال الفصل الماضي من الكتاب ، فالإشارات الخطابية تشير إلى موقف خاص بالمتكلم حين يتحير في ترجيح رأي على رأي ، أو على القطع باليقين في أمر ما ، أو يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم (لكن ، أو بل) ، أو يريد الإضافة إلى قول سابق له شيئاً لآخر فيقول (فضلاً عن ذلك) ، أو يريد تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمرّيص (قيل) ، وفي حال ترتيب أمر على آخر فيقول (من ثم) ^(٣) .

ومن الآيات التي ورد فيها أضراب قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (البقرة : ٧٧-٧٨) .

سياق الآية يتحدث عن اليهود ودأبهم المستمر في تكذيب الرسل ، وقتلهم ، وقولهم بأن قلوبهم لا تفقه ما تقوله الرسل ؛ لأنها مغلقة لا يصل إليها شيء ، فذكر الله عزّ وجل قولهم ثم اضرب عنه

(١) - ينظر : التحرير والتنوير ٢٤ : ٢٨١ .

(٤) - الخطاب الحائد في العربية ، جاسم خيرى الحلفي ، دار كنوز ، ط١ ، عمان ، ٢٠٢٠م : ١٤٢ .

(٣) - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٢٥ .

لتكذيب قولهم : (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) ليبين بأن ما هم عليه هو بسبب طرد الله لهم من رحمته ، واخزاهم بجوده به وبرسله ^(١) . فالعنصر الإشاري الخطابي (بل) عملت على نفي قول اليهود ، وأثبتت الآخر .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ^(٥٧) وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف : ٥٨) .

سياق الآية يتحدث عن موقف بين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين قريش يجادلهم في الدين فذكر الآية الكريمة ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ ^(٥٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٢) فقال واحد اسمه عبد الله بن الزبيري قبل أن يسلم ، لو حضرته لرددت عليه ؛ قالوا وما كنت تقول له ؟ قال : كنت أقول له : هذا المسيح تعبد النصارى ، واليهود تعبد عزيزا ، أفهما من حصب جهنم ؟ فتعجبت قريش من مقالته ورأوا أنه قد خصم ، وقالوا نحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير فأنزل الله ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ، ثم بين عز وجل أن هذا الصد الذي هم فيه لا لأجل الحق ، وإنما ضربوه من أجل المجادلة بالباطل وإضراب إلى وصفهم بحب الخصام فقال : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ فهم ثابتون على الخصومة واللجاج في الباطل ^(٢) . فالعنصر الخطابي (بل) ساهم في اثبات جدلهم على الباطل لا لإيمانهم بالأديان السماوية المنزلة قبل الاسلام .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ^(٣) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ^(٤) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٥) بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٦) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم : ١٠) .

بدأت السورة المباركة بآيات تتحدث عن واقعة حدثت بدون أي إشارات توضحها ، بدأ بالكلام عن الروم ^(*) ، وكان الذي غلبهم الفرس في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذه الآيات غايتها الرد على المشككين في صدق كلام الله ، وصدق دعوة نبيه ، وبأن الله لا يخلف وعده ، وسيكون النصر حليف الروم بوعده من الله ، وعدم الخلف بالوعد ليس في وعده بنصر الروم وحسب ، ولكنه لا يخلف كل ما وعد به ، لهذا استترك كلامه بـ (لكن) ليثبت أنه منجز ما وعده ، ويبطل كلام من قال بعدم غلبة الروم ، وكل من راهن على عدم انتصارهم بعد ضعفهم ، وقولهم هذا بسبب قصور عقولهم ، فعلمهم منحصر على ظاهر الدنيا ^(٣) .

(١) - ينظر : تفسير الطبري ٢ : ٢٣٢ .

(٢) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٦٨ ، والتحرير والتنوير ٢٥ : ٢٤٠ .

(*) - الروم هم بنو روم بن عيصوم وقد قيل روم بن عامين بن سمالحين بن علقما بن عيصوا بن اسحاق (التعريف والإعلام : ١٣٤) .

(٣) - ينظر : تفسير الطبري ٤٥٦ - ٤٦٠ ، والتحرير والتنوير ٢١ : ٤٩ .

- التصغير .

الغرض منه التلطف والمحبة فكلمة (يا بُنَيَّ) في القرآن الكريم وغيره ، هي إحدى الآليات اللغوية التي تدل على التضامن " كما أنها تستعمل بصورة متكررة للتعبير عن الألفة ونبذ الرسمية والتودد " (١) .

وجاء في سورة هود ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (هود:٥٠) ، والقيمة التداولية للتصغير هي " تخفف من حدة الأفعال اللغوية خصوصاً أفعال الطلب مثلاً ، وكذلك تخفف من تهديد الوجه ، ويعد استعمال هذه العلامة ضرباً من التأدب غير الرسمي ، فهو يقوّي درجات الصداقة بل قد يؤسس لها " (٢) . ، ونبيّ الله نوح عندما رأى العذاب طلب من ابنه وناداه بتحنّن ورفق ، وتقرّب بأن يصعد إلى السفينة " وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يجعل كالتصغير في كونه محل الرحمة والشفقة " (٣) ، وفي قوله ﴿ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ إشارة إلى أنّ نوح قد أراد منه بدأ حياة جديدة معه وترك كل ما كان فيه من كفر .

وفي النصح والتوجيه استعمله الحكيم لقمان وهو يعظ ابنه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ٥٠) .

واستعمل لقمان النداء والتصغير مع ابنه (٤) ليحسّسه بقربه منه وينبّهه إلى ما سيقوله تحنناً منه ورأفة به ؛ لأنّ غريزة الأبوة تدفع به إلى تحذيره والترفق به من أعظم ما يوقع الإنسان فيه نفسه وهو ظلمها بالشرك بالله (٥) .

فاستعمل نبي الله نوح التصغير مع ابنه الكافر ليحرص على أنه ينصحه بدافع غريزي فطري أولاً ، ثم كنبّي مبلغ ؛ لذا أمر ابنه فقال : ﴿ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ فأراد نجاته أولاً وهذه غريزة ثم قال : ﴿ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ؛ لأنّه يريد له الهداية فالسياق لا مجال فيه للنهي والوعظ (٦) " وهنا تتعدد مقاصد المرسل في ظاهرة الخطاب ، فهناك قصد أول ، وقصد آخر ، ولا يصح الآخر إلا بالنظر إلى القصد الأول ، بوصفه تابعاً له ، مثل خطاب الأب لولده الذي يلعب الكرة وقت الصلاة :

- اذهب إلى المسجد ، واترك اللعب . " (٦) .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٠٨ .

(٢) - المصدر نفسه : ٣٠٩ .

(٣) - التحرير والتنوير ١٢ : ٧٦ .

(٤) - ابن لقمان اسمه (تاران) ، ولقمان هو ابن عنقا ابن ثيرون وكان من نوبيا من أهل أيلة (التعريف والإعلام : ١٣٤) .

(٥) - ينظر : في ظلال القرآن ٥ : ٢٧٨٨ .

(٥) - ينظر الميزان ١٠ : ٢٢٠ .

(٦) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١٩٤ .

أما لقمان فنصح ابنه بدافع الوعظ والإرشاد ؛ لأنه كان حكيماً ، ومعنى الحكمة " العلم مع العمل " ^(١) ؛ لذا بدأ عز وجل الآية بقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ ، وهذا ما جاء به الدكتور طه عبد الرحمن في (مبدأ التصديق) " لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك " ^(٢) . فكان لقمان يعمل بما يقول ، ولا بد لمن كان حكيماً أن يعرض أولاً من هم أقرب إليه بتودد ليتحقق التقرب ، والتواصل .

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات : ١٧) .

أمر الله تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل ، وهذا الأمر الذي جاء في رؤيا نبي الله إبراهيم في المنام لا بد من تنفيذه ^(٣) ، فأخبر ولده بهذا الأمر بدون اندفاع ، أو تعصب ، بل بتودد وتلطّف (يا بني) فجاء النداء لشدة اهتمامه بما سيقلى عليه ، وكان لا بد من تهدئة نفس إسماعيل بكلمات تبين حب أبيه له وعطفه عليه ، وأنه سينفذ فيه ما أمره الله ليُسَلِّمَ إسماعيل طاعةً لا قهراً لهذا الأمر ، لينال كلاهما أجر الطاعة .

- التنغيم -

ذكر الباحثون في الدرس الصوتي العديد من التعريفات للتنغيم التي بيّنت أثره ووظيفته النحوية ، والدلالية ، والتركيبية ، من خلال دوره في التفريق بين الجمل الاخبارية والاستفهامية ، وبيان قصد المتكلم في كلامه إذا كان استفهاماً ، أو دعاءً ، أو نفيّاً . فعرفه الدكتور تمام حسان " بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وربما له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات ، والنفي في جملة لم تستعمل بها أداة الاستفهام فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه "أنت محمد" مقررّاً أو مستفهماً ، وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام " ^(٤) . ولم يختلف الدكتور رمضان عبد التواب في تعريفه للتنغيم عما ذكره الدكتور تمام حسان فعرفه " أما التنغيم فهو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام ، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة كنطقنا لجملة " لا يا شيخ " للدلالة على النفي ، أو التهكم ، أو الاستفهام وغير ذلك " ^(٥) .

تختلف وظيفة التنغيم في التداولية فوظيفته اجتماعية إذ يلجأ المرسل إلى تغيير مستوى صوته في خطابه ليبلغ مقاصده " فبدون التنغيم المناسب ، قد لا ينجح الطبيب في تهدئة المريض ، حتى لو اجتهد في اختيار الألفاظ المعجمية المناسبة ، أو استعمل الأساليب المؤكدة " ^(٦) .

لكل نغمة معنى مختلفاً ، فنغمة الاستفهام تختلف عن التوكيد والتعجب ، والاستفهام قد يكون إنكارياً أو حقيقياً أو للتشويق وغير ذلك فلكل غرض نغمة مختلفة ينماز بها . فالمعنى الذي

(١) - معجم التعريفات ، الشريف الجرجاني ، تحـ محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة القاهرة : ٨١ .
(٢) - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م : ٢٤٩ .
(٣) - ينظر : الميزان ١٧ : ١٥٣ .
(٤) - مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠ م : ١٦٤ .
(٥) - المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧ م : ١٠٦ .
(٦) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٢١ .

يحرص المرسل على إيصاله من دون ألفاظ ، فيعتمد إلى تغيير مستوى صوته ليوصل قصده إلى المرسل إليه ، ولهذا ذكر بعضهم أنه لا يوجد تحديد دقيق لوظيفة التنغيم " لكن يضل التحديد الدقيق لوظيفة التنغيم كامنة في نفس المتكلم ، يدركه السامع أولاً يدركه " (١) ، فالتكلم هو الذي يحدد وظيفة التنغيم ، وهذا التنوع الذي يؤدي إلى استعمال مستويات صوتية مختلفة يسهم في ربط النص وتماسكه .

والمعاني المكتسبة عن طريق السياق المقالي ، لا يدركها السامع إلا بتنوع المستوى الصوتي " وللتنغيم بالذات دور بالغ الأهمية في هذا الشأن . يظهر ذلك على وجه الخصوص في الخطاب الاجتماعي الجاري بين الناس في حياتهم العادية . فالبارة " السلام عليكم " ذاتها معروفة بمعناها العام التقليدي ، قد تفصح عن معان جانبية أو دلالات هامشية ، وفقاً لسياق الخطاب ووفقاً للتلون الموسيقي الذي تؤدي به . إنها طبقاً لهذا وذاك قد تفيد التحية أو كسر الحاجز بين المخاطبين ، وقد تفيد الدهشة أو عدم الرضا الخ ، وكثيراً ما تفصح عن الحال النفسية للمتكلم " (٢) ، وعليه تم الربط بين المعنى والتنغيم في التعريفات السابقة .

للتنغيم أثر في تحديد هدف الخطاب . إذ يحرص المرسل إلى التضامن مع المرسل إليه والتنغيم بدوره يحقق تجسيد الاستراتيجية التضامنية ، إذا سعى إلى أن يؤسس علاقة مع المرسل إليه ، أو إلى التقرب منه . فالتداولية تناولته بوصفه ظاهرة اجتماعية يسعى فيه المرسل إلى التقرب من المرسل إليه ، والمرسل هو الموجّه للمعنى والقصد الذي يريده ، وهذا أدى إلى عدم وضع قواعد محدّدة تضبطه ، حتى أنّ الجملة الواحدة قد تحمل أكثر من معنى عند التنغيم .

- مستويات التنغيم .

تختلف الكلمات والجمال من حيث درجة الصوت ، وقد قُسمت على ثلاثة أنواع وهي :

أ- التنغيم المرتفع : سميت كذلك " لصعودها في نهايتها " (٣) ، فيتحقق عندما يرتفع التنغيم في نهاية الجملة الاستفهامية المبدوءة بـ (هل ، الهمة) تنتهي بنغمة صاعدة (↑) تعني وجود درجة منخفضة في مقطع ، أو أكثر تليها درجة أكثر علواً.

قال تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (الفصل : ٥٣٦) .

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ

مرتفع

مستوي

(١) - الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم ، عطية سليمان أحمد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة : ٢٩٣ .
(٢) - علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م : ٦٢٧ .
(٣) - المصدر نفسه : ٥٣٦ .

خرج الاستفهام ب (هل) إلى العرض (١)، بدأت أخت موسى (*) به كونه يحمل تنغيماً مرتفعاً لتحرص على جلب انتباه المخاطبين ، لتبدو لهم أنها تريد مساعدتهم ، لتخفي أنها من أهل الطفل فمن خلال هذا التنعيم تمكنت من إخفاء عواطفها ومشاعرها ، وبيّنت رغبتها بمساعدة فرعون " فليس "الاستفهام" هو القوة الوحيدة التي يريد المرسل نقلها إلى المرسل إليه ، بل يصاحبها فعل تعبيرى آخر " (٢) ، وجاء سياق الآية يتحدث عن خوف أم موسى وأختها ، لولا أن ربط الله على قلب أمه ، فالموقف يحتاج إلى قوة لمواجهة فرعون بالحيلة والحدر " وإن هذه المعاني ما كان لها أن تتعدد لولا تعدد النغمة الصوتية للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة " (٣). كما أنها ثابتة لثبات حال أهل البيت برعايته.

ب - التنعيم المنخفض : وسميت كذلك "للاتصاف بالهبوط في نهايتها" (٤)، يكون مستوى التنعيم هابطاً عند انتهاء الكلام في الجمل التقريرية (↓) والاستفهامية التي لا تجاب بنعم أو لا (٥).

فالنفي يمثل قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٦) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (٧) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (يوسف: ٥٥-٥٦)

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ

تنعيم مستوى جملة خبرية تنعيم مرتفع جملة استفهامية

تنتهي جملة الشرط بتنعيم مرتفع عند عدم تمام الكلام فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي

وبذلك يكون التنعيم قد ترك أثراً في إيصال المعنى ، ففي قوله ﴿ أَلَا تَرَوْنَ... ﴾ خرج الاستفهام إلى الترييب (٦) ، فحين قال لهم ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ ﴾ فكان الشك إنتابهم ، فجاء حوارهم كأنهم يستفهمون (ولماذا نثق به ونحن لا نعرفه) فقطع شكوكهم بهذا القول ، فحمل كلامه تنغيماً يطمئنهم ويدعوهم إلى التأمل في حسن معاملته لهم ، وفي قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ دل كلامه على الترهيب (٧). أسلوب الشرط والنفي في هذه الآية جاء نهاية كل من الجملة الشرطية والمنفية بتنعيم هابط ؛ لأنهما تامتا المعنى .

(*) - واخته اسمها مريم بنت عمران وروي أن اسمها كلثوم (التعريف والإعلام : ١٣٠).

(١) - التحرير والتنوير ٢٠ : ٨٤

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١٤٩ .

(٣) - اثر التنعيم في التوجيه النحوي والدلالي ، هاتف بريهي شياح ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، مج. ١، ع. ١٦ ، ٢٠١٣م

٣ :

(٤) - علم الأصوات ، كمال بشر : ٥٣٤ .

(٥) - المصدر نفسه : ٥٣٧ .

(٦) - ينظر : التحرير والتنوير ١٣ : ١٣ .

(٧) - ينظر : نظم الدرر ١٠ : ١٤٧ .

والاستفهام بغير (الهمزة ، وهل) يمثله قوله تعالى : ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس: ٥٠)

خرج الاستفهام هنا إلى الإنكار ^(١) ظن القائل ^(*) أنه بهذا السؤال قد يعجز النبي عن الرد عليه ، وأنه سيتمكن من تكذيب ما دعا به عن البعث والنشور . والتنغيم الهابط الذي استعمله القائل دلالة على ما في نفسه من تعجيز لقدرة الله وإنكاره للبعث ، فكلامه جاء به مستكراً ، وليس طلباً للإخبار ، لذا جاء بالتنغيم الهابط للدلالة على أن كلامه انتهى ولا جدال فيه .

مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، وهذا التنغيم حدد معنى الكلام بأنه لا يوجد بعث ولا آخرة .

تنغيم هابط

ج - المستوى المستوي : وهي النغمة الثابتة ^(٢) ، وتكون في الجملة الخبرية " وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة ، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة " ^(٣) .

وهذا التنغيم جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة : ٥٠)

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ (يوسف : ٥٥)

ومما ذكر أعلاه تبين أن للتنغيم أثراً في تحديد معنى الكلام ، وإزالة اللبس عن معنى الجملة المنطوقة ، وكلام المرسل يتحدد معناه من خلال تنغيمه بمستويات مختلفة ، فاللغة المنطوقة يكون تأثيرها أكثر من المكتوبة " ، فلدى المتكلم تشكيلة كاملة من المؤثرات ، مصدرها (نبرة الصوت ، وكذلك ملامح الوجه ، وأشكال الوقفة ، والحركات) ، وبفضل هذه الأدوات يستطيع المتكلم دائماً أن يتجاوز آثار الكلمات التي يسوقها ومن الواضح أن اللغة المكتوبة تفقد تلك المؤثرات ، وتبقى اللغة المكتوبة غير قادرة على نقل جميع الخصائص الصوتية " ^(٤) .

وهذا يتطلب من المتكلم معرفة النطق الصحيح ؛ لأن العكس يؤدي إلى الإخلال بالمعنى مما يؤدي إلى تباين المقاصد ، واختلاف المعاني ^(٥) ، وبما أن أغراض القرآن الكريم متعددة لذا تنوعت التنغيمات ، وهذا ما جعل علماء القراءات يعتنون بقراءة القرآن الكريم ، وتجويده ؛ لأنّ التنغيم " ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات ، لكونها تؤثر في تغيير الدلالة من دون أن تتغير المفردات " ^(٦) .

(١) - ينظر : نظم الدرر ١٣ : ١٤٧ .

(*) - القائل هو أبي بن خلف الجمحي ، وقيل العاص بن وائل ، وقيل : أبو جهل .

(٢) - ينظر : مناهج البحث في اللغة : ١٦٧ .

(٣) - المنخل إلى علم أصوات العربية ، غانم قدوري حمد ، دار عمار ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤ م : ٢٤٤ .

(٤) - القراءة الحداثيّة للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب ، حكيم سلمان السلطاني ، دار كنوز المعرفة ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠١٨ م : ١٠٢ .

(٥) - ينظر : الإداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ، د. حمدان رضوان ابو عاصي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، كلية فلسطين التقنية ، مج. ١٧ ، ع. ٥٧ ، ٢٠٠٩ م : ٦٧ .

(٦) - الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ظافر عبيس ، دار المنهجية ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦ م : ١٠٣ .

الاستراتيجية التوجيهية .

يسعى المرسل في خطابه إلى تبليغ قصده ، فهناك سياقات يلانمها التأدب ، ثم التبليغ فيكون المرسل متضامناً ، ويكون خطابه مرناً مراعاةً لتقريب العلاقة ، أو تأسيسها ، وسياقات يكون التبليغ أولاً ثم التهذيب ، ومردّه أن المرسل يكون موجّهاً إمّا للنصح ، أو التحذير ، أو الإرشاد أو النهي ، أو الوعيد ، وهذه الخطابات لا تتصف بالمرونة " فإن الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعدّ ضغطاً وتدخلاً ، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه لفعل مستقبلي معيّن . وهذا هو سبب تجاوز المرسل لتهذيب الخطاب " ^(١) ؛ لذا فالمرسل لا يراعي التخلّق فيها ؛ لأن غايته التوجيه.

وتعرّف الاستراتيجية التوجيهية بأنّها " الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ، ونواهٍ تفترض أنّها لصالح المخاطب أو المرسل إليه ، ولا يعدّ التوجيه هنا فعلاً لغوياً فحسب ، بل يُعدّ وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي ، إذ إنّ اللغة تعمل على إنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه " ^(٢) ، والتأثير في الآخر يتطلب فهماً ووضوحاً ، فلا يكون كلام المرسل في هذه الاستراتيجية غامضاً ، أو يحتمل أكثر من تأويل ، فحينئذ يحدث لبس عند المرسل إليه فيكون تأويله بعيداً عن قصد المرسل .

وعند استعمال هذه النظرية يوجّه الخطاب لأحد صنفين المرسل إليه ، إذ يكون المتلقي لها أحد الصنفين الآتيين ^(٣) :

١- المرسل إليه المتخيل : وله صورة نمطية معيّنة في السياق ممّا يؤكد حضوره العيني عند إنتاج الخطاب .

٢- المرسل إليه الحاضر : إذ يكون معروفاً عند المرسل معرفة جيدة ، ويوجّه له الخطاب لحظة التلفظ .

ونظام اللغة غير كافٍ لأداء هذه الأفعال وإنجازها ، بل يجب أن يتضافر مع عناصر أخر لإنجازها ، منها : سلطة المرسل ، وجهة المنفعة الإنجازية ، فقد تكون باتجاه المرسل ، أو باتجاه المرسل إليه ، أو باتجاههما معاً .

فسلطة المرسل من العناصر الأساسية في هذه الاستراتيجية التي تعطي للفعل قوّته الإنجازية ؛ لأن هدفها هو حمل المتلقي على إنجاز فعل ما " وتتفاوت هذه العلاقة من التباين الشديد حتى التقارب الملموس " ^(٤) ، فلو لا السلطة لن يستطيع المرسل أن ينجز فعلاً ما عند استعمال هذه الاستراتيجية .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٢٣ .

(٢) - الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية ، إدريس مقبول ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المغرب ، مج ٨ ، ع. ٢/١٥ ، ٢٠١٤م : ٥٤٩ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٢٣ .

(٤) - المصدر نفسه : ٣٢٥ .

الفصل الثاني

الاستراتيجية التوجيهية

وتحدّث براون ولفنسون عن الاستراتيجية التوجيهية في إطار حديثهما عن مبدأ التواجه ، فمبدأ التواجه ينبني لديهما على مفهومين أساسيين ، هما ^(١) :

١- مفهوم الوجه : هو الذات التي يدّعيها المرء لنفسه ، ويحقّق بها قيمته الاجتماعية ، وتكون على وجهين :

أ- وجه دافع / سلبي : وهو أن يريد المرء ألاّ يعترض الآخرون سبيل أفعاله.

ب - وجه جالب/ إيجابي : وهو أن يريد الآخرون أن يعترفوا بأفعاله .

٢- مفهوم التهديد : هو الأقوال التي تعوّق إرادات المستمع ، أو المتكلم في دفع الاعتراض ، أو جلب الاعتراف ، أما الأقوال التي تهدد الوجه الدافع للمستمع فقد تكون أقوالاً تحمله على أداء شيء نحو (الأمر ، والطلب ، والنصح ، والتحذير) وقد تكون أقوالاً تحمل المتكلم على القيام بشيء يلزم المستمع قبوله ، أو رده مثل : (العرض والوعد) .

وتحدّث (ليتش) عن التوجيهات في ضمن حديثه عن الأفعال التنافسية ، وأشار إلى أنها تُحدّث تغييراً في المتلقي كونه يفعل ما يوجهه إليه المرسل عن طريق الأمر ، أو الطلب ، أو النصح ، وغير ذلك ، فالاستراتيجية التوجيهية تتضمن أفعالاً تنتمي إلى صنف التأدّب السلبي ، كأفعال الأمر ، وأفعال تنتمي إلى التأدّب الحقيقي مثل أفعال الدعوة ^(٢) .

فالموجّهات عند براون ولفنسون ، و ليتش جاءت ضمن نظرياتهم التي دعوا فيها إلى التلطّف والتأدّب عند الكلام أي تجميل الألفاظ وتهذيبها ، فربط ليتش الأفعال التوجيهية ، والأفعال الإلزامية بالأفعال التنافسية في مبدأ اللباقة مشيراً إلى أنّه كلما كانت قوة القول غير مباشرة ، كلما كانت أكثر تأدّباً ؛ لأنّ الغرض الوظيفي ينافس الغرض الاجتماعي .

أمّا (أوستين)^(*) ، وبعده (سيرل) فكانت دراستهما للموجّهات مستقّلة ، وجديدة ، من حيث كونها أفعالاً كلامية وإنجازية ، فصاغ (أوستين) نظريته الأفعال الكلامية مُنكراً على من كان يرى أنّ اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية ثم يكون الحكم على هذه العبارات بالصدق إن طابقت الواقع ، وبالكذب إن لم تطابقه . وتحدّث (سيرل) عن التوجيهيات لأنها أفعال إنجازية يقوم بها المرسل ليؤثّر في المتلقي ويوجهه بعمل معين في المستقبل ، فالتكلم حين يقول لا يخبر ويبلّغ فحسب بل يعمل .

(١) - ينظر : اللسان والميزان : ٢٤٣ .

(٢) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٣٣ .

(*) - أوستين فيلسوف لغوي من جامعة اكسفورد ، قام بتبني آراء أحد فلاسفة جامعة كامبردج الفيلسوف الألماني لودفيغ فينچشتاين الداحضة لما يسمى (الوهم الوصفي للغة) المعتمد على آراء الفيلسوف التحليلي الألماني فريجة المبنوثة في كتابه (أسس علم الحساب) فمثلت آراء فريجة انقلاباً فلسفياً جديداً أدى لقطيعة منهجية ومعرفية بين الفلسفتين القديمة والحديثة ، فضلاً عن ربطه بين مفهومي الاحالة والاقتضاء . (نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ملاوي صلاح الدين ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، مج ٢ ، ع. ٤ ، ٢٠٠٩ م : ٤ حسب الترقيم الالكتروني) .

مرّت الأفعال الكلامية بمرحلتين : مرحلة التأسيس ، ومرحلة النضج ، والمنهجية

- مرحلة التأسيس لدى أوستين :

انطلق (أوستين) من موقف جديد للعبارات والجمل ، ولم يذهب إلى التقسيم التقليدي المتمثل بالجمل الخبرية ، والإنشائية ، والاحتكام إلى معيار الصدق والكذب ، وعدّ هذه الجمل والعبارات قابلة للتواصل ، جاء بطرح جديد فأسس بذلك نظرية الأفعال الكلامية في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ، وهذه الأفعال لا تخضع لمعيار الصدق والكذب ، بل لمعيار النجاح والفشل " وإذا اعتبرنا الأقوال أفعالاً ، فإنها تعمل وتسعى إلى أن تحقق شيئاً ما أو غرضاً ما ، وبالتالي فإنّ المسألة لا تتعلق بالصدق والكذب ، وإنما بالسياق والمناسبة أيضاً " (١) .

ولتوضيح ما المقصود من هذا المصطلح يذكر الدكتور مسعود صحراوي مفهومه بأنّه " يعني : التصرف (أو العمل) الاجتماعي ، أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ، ومن ثم فـ " الفعل الكلامي " يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفّظه بملفوظات معينة ومن أمثلته : الأمر ، النهي ، والوعد ، والسؤال ، والتعيين ، والإقالة ، والتعزية ، والتهنئة ... فهذه كلها أفعال كلامية " (٢) .

يسير مفهوم الفعل الكلامي بمسار واتجاه يحدّده المتكلم فيبدأ بنية ، ثم قول ثم إنجاز فهذه الاحداثيات الثلاث هي المكون الأساس له ، والتلفّظ هو الوسيط الناقل لجعل ما هو ذهنياً يلامس الواقع ليصبح حدثاً موجهاً نحو الآخر للقيام به ، ولهذا أصبحت نظرية الأفعال الكلامية محوراً تقوم عليه الدراسات التداولية " فاللغة بالنسبة "لأوستين" ليست وسيلة تواصل فقط وإنما هي أيضاً وسيلة للتأثير في الواقع وتغيير سلوكنا ومواقفنا " (٣) ؛ ولأنّ التداولية تدرس اللغة في سياقات استعمالها المختلفة ، فجعلت من نظرية الأفعال الكلامية أهم ركائزها .

وجد الباحثون لهذه النظرية أصولاً في كتب التراث العربية عند النحويين والبلاغيين ، وإن لم تدرس بهذه الكيفية الغربية ، ولم تدرس لذاتها ، بل كانت تندرج ضمن (الخبر والإنشاء) ، فالخبر والإنشاء من الجانب المعرفي يقابله أفعال الكلام عند المعاصرين ، أمّا الأصوليون فقد اهتموا بدراستها ضمن ألفاظ العقود والمعاملات " المهم أن كتب النحو وعلم المعاني قلما تلتفت إلى صيغ ألفاظ العقود والمعاهدات ، والمصدر الأساس لبحث هذا القسم الإنشائي المهم هي كتب الفقه وأصوله ؛ لكثرة بحوث الفقهاء في المعاملات بين الناس من زواج وبيع ... إلخ وهذه المعاملات لا تنتم إلّا بالفعل الكلامي المناسب مثل : " بعثك " ، " زوجتك " ، ... إلخ " (٤) .

(١) - الفلسفة واللغة نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة ، الزواوي بغوره ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ١٠٦ .

(٢) - التداولية عند العرب ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ١٠ .

(٣) - السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ، علي آيت أوشان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ٦٣ .

(٤) - التداولية عند العرب : ١٢٢-١٢٣ .

وقد ميّز (أوستين) بين نوعين من الأفعال في المرحلة الأولى ^(١) :

- الأفعال الإخبارية : تخبر عن واقع العالم الخارجي ، وتكون إما صادقة أو كاذبة .

- الأفعال الأدائية : هي أفعال تنجز في ظروف ملائمة يتم الحكم عليها بمعيار النجاح ، والفشل مثل التوصية ، والرهان ، والنصح ، والوعد .

ثم ميّز بين ثلاثة أفعال في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي على ثلاثة أفعال فرعية ، وهي ^(٢) :

- عمل القول : ويراد به تركيب الألفاظ في جمل مفيدة طبقاً للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية : الفعل الصوتي ، والفعل التركيبي ، والفعل الدلالي .

- عمل مقصود القول : وهو العمل الإنجازي الذي يعد قطب الرحى لنظرية الأعمال الكلامية ، ولّبها الذي غدت تعرف به .

- عمل الناتج بالقول : أي ما يصحب فعل القول من آثار لدى المخاطب ، كالإقناع والتضليل ، والتنشيط ونحو ذلك .

وقدّم (أوستين) تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية ، وتشتمل على خمسة أصناف ، هي ^(٣) :

- أفعال الأحكام والقرارات القضائية (الحكميات) : وهذه تختص بكونها ناتجة عن إصدار حكم في المحكمة كما يدل على ذلك إسم هذه الأحكام سواء أكان هذا الحكم من هيئة قضائية أم حكم تختاره الأطراف أم من حكم (في الملعب مثلاً) غير أنّه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية ، فقد يكون حكماً مثلاً تقديرياً على صورة رأي أو تقييم ، وفي جميع الصور يتعلّق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما واقعياً كان أم قيمة ، ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكد تمام التأكيد .

- الممارسة التشريعية (التنفيذيات) : وتتعلق بممارسة النشاط والقانون وأمثلة ذلك التعيين في المناصب ، والانتخابات ، وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات ، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النص ، والتحذير وغيرها .

- ضروب الإباحة (الوعديات): ونموذجه إعطاء الوعد ، أو التكفل والضمان والتعهد ، وفي كل يلتزم الإنسان أن يفعل شيئاً ما ، وقد يندرج في هذا الباب التصريح ، وإعلان النية ، والقصد ، وهناك أمورٌ تجتمع تحت خطبة الزواج ، أو التواعدية والمناصرة لرأي ما .

(١) - النظرية البرجماتية اللسانية : ٩٧ .

(٢) - التداولية عند العلماء العرب : ٤١- ٤٢ .

(٣) - نظرية أفعال الكلام العامة ، أوستين ، ترجمة: عبد القادر قينيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٩١م : ١٧٤-١٧٥ .

- الأوضاع السلوكية (السلوكيات): وتختص بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة ولكن كلها تندرج تحت باب السلوك ، والأعراف المجتمعية ، وأمثلتها : الاعتذارات ، والتهاني ، والتعازي ، والقسم ، وأنواع السباب ، والقذف ، والتحدي .

- المعروضات الموصوفة (العرضيات) : وهي أصعبها تعريفاً ولكنها تبين كيف أنّ العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش كما تكشف كيف أننا نستعمل الألفاظ ، وبوجه عام يصلح هذا الصنف لطريقة العرض وأمثلة ذلك : أجيب ، واحتج ، وأعارض ولكن ... وأوضح وافترض .

هذا التصور الجديد لـ (أوستين) أحدث ثورة حقيقية على ما كان شائعاً لدى علماء الدلالة اللغويين ولا سيما البنيويين ، وبين قصور النماذج الدلالية الوصفية ، فجاءت نظريته حول استعمال اللغة بوصفها نشاطاً تواصلياً في إنجاز أفعال تواصلية ، وجعل السياق ، والقصدية يتركان أثراً مهماً في تشكيل المعنى .

- شروط الملاءمة لدى أوستين .

أطلق (أوستين) على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية الصريحة بـ (شروط الملائمة) ؛ لأنّ أوستين توصّل " إلى أن النطق بالألفاظ لا يكفي لكي يتحقق المراد من الفعل الكلامي ، بل لا بد من مراعاة جملة من الشروط التي تضمن النجاح ، والتوفيق لهذا الفعل ، وعند عدم الإيفاء بها يحصل ما يسمى بالمخالفات (infelicities) " (١) . والشروط هي كالآتي (٢) :

- أن يوجد إجراء عرفي مقبول وله أثر عرفي محدد كالزواج ، مثلاً : فهو يتطلب كلمات محدّدة ينطق بها أشخاص محدّدون في ظروف محدّدة ، وأن تكون الظروف ، والأشخاص مناسبين للإجراء المحدد.

- جميع المشاركين يؤدون هذا الإجراء أداءً صحيحاً (تجنب العبارات الغامضة) .

- أن يتمتع الأشخاص بالإخلاص ، وصدق المشاعر .

وجعل (أوستين) العرف أحد شروط الملاءمة لأهميته " إن هناك اختلافاً بين مجتمع وآخر في تنفيذ إجراء معين أو إنجاز فعل معين ... " (٣) ، ففي المجتمعات الإسلامية يمكن أن يحصل الطلاق بمجرد أن يتلفظ الرجل بعبارته (أنت طالق) ثلاث مرات ، أمّا في غيره فلا يحصل الطلاق بهذا الشكل ، فالإجراءات العرفية هي سبب رئيس في نجاح ، أو فشل الفعل الأدائي .

(١) - الخطاب الحائد : ٢١٩ .

(٢) - ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ، محمد مدور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر - الجزائر ، ٢٠١٤م : ٤٠ .

(٣) - الخطاب الحائد : ٢٢٠ .

انتقد (أوستين) المعايير التي وضعها ، وأقرّ بصعوبة الحسم والتمييز في الضوابط التي وضعها للتمييز بين الوصف والإنجاز ؛ لأنه وجد بإمكان تطبيق معيار النجاح ، والفشل لتقويم الجمل الوصفية ، وتطبيق معيار الصدق ، والكذب على الجمل الإنجازية ، وحاول (أوستين) استدراك هذا الأمر ، فقرر أن الفعل اللغوي هو فعل إنساني كبقية الأفعال التي تعكس سلوكيات اجتماعية مما جعله يعيد طرح سؤاله : كيف ننجز الأشياء بالأفعال ؟ وتوصل إلى أن الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال فرعية مرتبطة فيما بينها ، ولا يمكن فصل بعضها عن بعض إلاّ إجرائياً وهذه العناصر ، هي ^(١):

- الفعل اللفظي : يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي ، وله مرجع يحيل إليه .

- الفعل الإنجازي : وهو ما يؤديه المعنى الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي .

- الفعل التأثيري : ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع .

واهتم (أوستين) بالفعل الإنجازي وجعله محور لنظريته حتّى أنّها تسمى أحياناً (النظرية الإنجازية) ^(٢).

- مرحلة النضج والمنهجية لدى (سيرل) ^(*) .

عمل الفيلسوف الأمريكي (سيرل) على تطوير ومتابعة المشروع الفلسفي ، الذي بدأه أستاذه (أوستين) ، فنقسم (أوستين) قائم على أساس الوظيفة التي يؤديها المنطوق اللغوي في المواقف الفعلية للكلام ، فحاول أن يحصر أفعال الكلام عبر تصنيفه لها في خمسة أنماط رئيسة ^(٣):

- الإخباريات : التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى ، ومثال ذلك : سيأتي غدا .

- الطلبيات (الأوامر) : ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما ، فيجب أن يطابق العالم الكلمات ، وحيث الحالة النفسية رغبة/ إرادة ، مثل : سأخرج .

- الوعديات : حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل ، بحيث يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية ، مثل : سوف آتي .

- الإفصاحات أو (التعابير) : حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نيّة صادقة ، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات ، مثل : اعذرني .

(١)- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٥-٤٦ .

(٢) - المصدر نفسه : ٤٦ .

(*) - أحد أبرز الفلاسفة المعاصرين وأوسعهم تأثيراً ، أستاذ الفلسفة في جامعة كاليفورنيا ، إذ ألف في فلسفة اللغة وفلسفة العقل ونظرية المعرفة ، أسهم في إغناء أفعال الكلام ، ويعد كتابه (أفعال اللغة) أهم المصادر في نظرية الخطاب المعاصرة .

(٣)- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة: صابر حباشة ، دار الحوار ، سورية - اللاذقية ، ط١ ، ٢٠٠٧م :

- التصريحات : حيث يكون الهدف إحداث واقعة ، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم المباشر ، دون تطابق ، مثل : أعلن الحرب عليكم .

أفاد (سيرل) من دروس أستاذه (أوستين) ، وقدم بعض التعديلات في نظرية الأفعال الكلامية منها : عدم اقتصار الفعل الكلامي على مراد المتكلم ، بل له علاقة بالسياق والأعراف الاجتماعية واللغوية ، وأنّ " الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة ، فالفعل الإنجازي هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة ، وهو الوحدة الأولية للاتصال " ^(١) .

طوّر (سيرل) شروط الملاءمة عند (أوستين) فجعلها أربعة ، وطبقها على مجموعة من الأفعال ، وهي ^(٢) :

- شروط المحتوى القضوي : وذلك بأن يكون الكلام معنى قضوي في ضوء قضية تقوم على مرجع متحدث عنه ، أو متحدث به ، ويكون المحتوى القضوي الأصلي للقضية .

- الشرط التمهيدي : ويحقق إذا كان المتكلم قادراً ، ولو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل .

- شرط الإخلاص : ويتحقق حينما يكون المتكلم مخلصاً في إداء الفعل .

- الشرط الأساس : ويحقق حين يؤثر المتكلم في السامع .

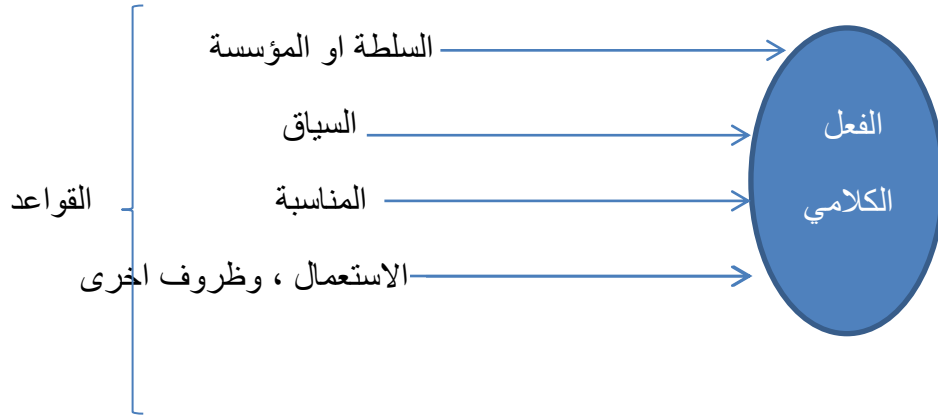
وعليه فاللغة لا تقتصر على وصف الواقع ، ونقل الخبر ، بل يعتمد عليها الإنسان أحياناً لينجز عملاً ، ويقوم بفعل حين النطق بها " بل هي اثباتات نحقق بواسطتها أعمالاً لها أثر ما " ^(٣) ، فهي تعبّر عن الواقع بقوة كما أنّها تحدث تغيير فيه ، فعندما يقول الرجل لزوجته (أنت طالق) فهو أشار إلى إيجاد ما لا أثر له في الواقع ، فالفعل يغيّر العلاقة من حالة إلى حالة أخرى لم يكن لها وجود فأوجدتها ، ولكن ليتم الفعل الكلامي ، أو ما يجعل من اللغة أفعالاً إنجازية فلا بد من أن تخضع لقواعد مضبوطة كالسلطة والسياق والمناسبة وظروف أخرى ، فالسياق هو من يحدد نوع الفعل من (أمر ، ونهي ، ونصح ... وغير ذلك) .

(١) - تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي ، محمد العبد ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ع. ٦٥ ، ٢٠٠٤م / ٢٠٠٥م : ١٣٧ .

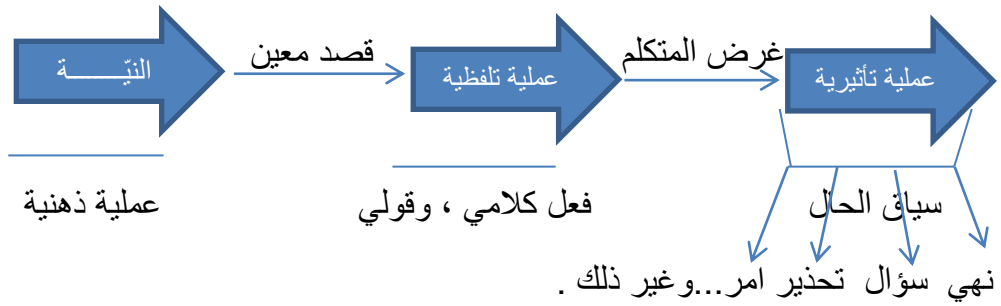
(٢) - بنظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٤٨

(٣) - التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، أن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة سيف الدين ، ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ٢٧٢ .

يمكن تمثيل هذه القواعد بالمخطط :



ويمكن التمثيل لمسار الفعل الكلامي الذي يعنى بالمقاصد التواصلية بمخطط :



قسم (سيرل) الأفعال الكلامية إلى (أفعال مباشرة ، وأفعال غير مباشرة) :

- الأفعال الكلامية المباشرة :

وهي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً لما يريد أن يقول ، ولما يعنيه ، فتتطابق معنى الكلمات في الجملة ، وقواعد التأليف التي تنتظم بها هذه الكلمات ، وتكون بنيتها سطحية صريحة ، فـ (سيرل) استند في هذا التقسيم إلى البنية (الخبر ، والاستفهام ، والأمر) والوظيفة التواصلية (جملة خبرية ، وسؤال ، وأمر ، وطلب) ، " كلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية ، والوظيفة فعل كلام مباشر ، بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام غير مباشر " (١) .

هذا التقسيم الذي ميّز به (سيرل) بين الأفعال المباشرة ، والغير مباشرة ، يحسب له كونه يفصح عن التوجّه الصحيح لمسار النظرية كي تتفرّد عن باقي الجمل التي لاحظ (أوستين) خلط فيما بينها في المعايير ، فالمتكلم يمكنه أن ينجز فعله وأن يصرّح بقصده فيكون مطابقاً لنص الخطاب ، أو لا يصرّح وهنا " في حالة الأعمال اللغوية غير المباشرة يبلغ المتكلم إلى السامع معطيات أكثر مما يقوله فعلياً باعتماده على معلومات تمثّل خلفية مشتركة بينهما وهي معلومات لغوية وغير لغوية في آن معا " (٢) .

- مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية (٣) .

- ١- عدم التشابه في عدد من السمات مثل : السمة المعرفية ، الطالب / الأستاذ .
- ٢- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب ، إذ تنحصر اللقاءات في اللقاءات الرسمية .
- ٣- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب مما يؤثر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر .
- ٤- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه .
- ٥- تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة ، وإعادتها سيرتها الأولى .
- ٦- رغبة المرسل في الاستعلاء ، أو الارتفاع بمنزلته الذاتية ، وقد يتضح هذا في خطاب المظلوم الذي يطلب من القاضي ، أو الموظف أن يمنحه حقوقه .
- ٧- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل ، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه .

(١) - التداولية : ٩٢ .

(٢) - القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشر - آن ريبول ، ترجمة. مجموعة من الاساتذة والباحثين ، بإشراف عز الدين محجوب ، دار سيناترا ، تونس ، ٢٠١٠م : ٢٢٠ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية : ٣٢٨ .

- ٨- حصول تحدٍ واضح للمرسل أو لتعليماته ، أو تحدٍ ضد الانظمة والتعليمات العامة ، أو بالإساءة إليه على الرغم من سلطته .
- ٩- مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال التوجيهية بين الطبيب والمريض مثلاً عندما لا يلتفت إلى التراتب الاجتماعي بينهما .

تختلف مسوغات الاستراتيجية التوجيهية في القرآن الكريم :

ودليل ما نذهب إليه أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا الناس لعبادة الله الواحد الأحد ، والعمل بتعاليم الدين الإسلامي ، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم ، والعمل بحلاله ، وبما يأمر به ، وترك حرامه ، وما ينهى عنه ؛ لأن الله يريد لعباده الجنة ، ولا يريد لهم الهلاك ، ومن طبيعة التوجيه إذا كان سلطوي تكون لمنفعة المرسل أحياناً ، فيكون متلقيه ملزماً به ، أما إذا كانت المنفعة تعود على المرسل إليه فإن التوجيه سيكون ملزماً إذا كان تعويلاً على حاجته ، أو يكون إنجازاً استحباً^(١) ، ولكن في القرآن الكريم تختفي منفعة المرسل ، وتظهر السلطة الإلهية المطلقة التي أعطت للتوجيه أقصى غايات الوضوح ، والإسلام لم يكن لأمة محددة كباقي الديانات ، بل جاء للعالم أجمع ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبا : ٥٠) فكل ما نزل يعود لمنفعة العباد كافة ، فهو هداية لما فيه إصلاح نفوس العباد ، وتركيتها . من دون أن يكون أي منفعة للمرسل . فهو يخاطب العقل والقلب ، ويتحدث عن العقائد الصحيحة والباطلة ، عقيدة التوحيد ، وعقيدة الوثنية .

ويختار المرسل هذه الاستراتيجية ليحدث تأثيراً في سلوك المرسل إليه ، ويوجهه من خلال النصح والتحذير والإرشاد... وغير ذلك . كما أن القرآن الكريم جاء ليبين حياة الناس ويوجههم إلى ما ينفع كل البشر وليس المسلمين فقط .

ومن أهم الوسائل اللغوية في استراتيجية التوجيه ، (الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتحذير والإغراء ، وذكر العواقب ، والتوجيه المركب ، وألفاظ المعجم) كما أن للتعليم دوراً في كل هذه الوسائل كأداة بديلة عن الأدوات اللغوية ، وسنقتصر في هذه الدراسة على الطلبات المباشرة (الأمر ، والنهي ، والاستفهام) والتعليم والتحضيض والعرض .

(١) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

التوجيهيات الطلبية المباشرة .

١- الأمر : اختلف تعريف الأمر بين النحويين ، والبلاغيين ، والأصوليين ، الأمر في اصطلاح النحويين : " هو صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب ... وإنما سمى النحاة جميع ذلك أمراً : لأن استعمال هذه الصيغة في طلب الفعل على وجه الاستعلاء " (١) ، أما عند البلاغيين " والأظهر ان صيغته - من المقترنة باللام ، نحو ليحضر محمد ، وغيرها نحو : أكرم عمراً ، ورويد بكراً - موضوعة لطلب الفعل استعلاءً " (٢) . وعند الأصوليين " استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه " (٣) . ولكنهم اتفقوا على أن الأمر يصدر من جهة ، ويتوجه إلى جهة أخرى ، فتتميز الأولى بأنها أمرة وهذا يعني أن لها سلطة التوجيه ، والأخرى مأمورة أي دونه في السلطة " قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " (٤) على أن شرط الاستعلاء باقٍ ، فإن فُقد خرج الأمر إلى معانٍ توجيهية أخرى كالتمني والدعاء ... وغيرها وهذه غير إلزامية .

وللأمر عدة صيغ منها : (افعل) قوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (البقرة: ٥٨) ، وصيغة لتفعل نحو قوله تعالى : ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ (المتحنة: ١٠) ، وصيغة (اسم الفعل) نحو قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥) ، والمصدر النائب عن الفعل نحو قوله تعالى : ﴿وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣) .

ومن أمثلة الأمر في آيات المبني قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة : ٢١٥) ، أمر الله بني اسرائيل بالإحسان بالفعل ، والقول ، وعليه تعددت صيغ الأمر (وبالوالدين إحساناً ، وقولوا للناس حسناً ، وآتوا الزكاة) وهذا أوامر حقيقية حرفية إنجازية ، وهذا التوجيه مركب (أمر ونهي) ، وهذه الأصول هي ذاتها أمر الله بها المسلمين ، ولكن بني اسرائيل لا يقبلون بالإيمان إلا بعهود موثقة لقسوتهم . ولهذا جعل الإعراض صفة لازمة وثابتة ، فقال بالجملة الإسمية ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٥) .

الفعل اللفظي ← لا تعبدون، وبالوالدين إحساناً، وقولوا للناس حسناً، وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة المحتوى القضوي ← الإحسان لا يقتصر على الفعل ، فالكلمة الطيبة حسنة وربطها بعبادته .

المحتوى الإنجازي ← اخبار النبي بجوده بني اسرائيل بنعم الله .

المحتوى التأثيري ← تنبيه المسلمين بأن لا يندعوا بكلامهم لما فيه من خداع وتضليل .

(١) - شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تد يحیی بشر المصري ، الإدارة العامة للثقافة والنشر للجامعة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٩٦م ، القسم ٢ ، مج ١ ، ٩٥٣-٩٥٤ .
(٢) - الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ١١٦ .
(٣) - التبصرة في اصول الفقه ، الشيرازي ، تد . محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٠م : ١٧ .
(٤) - الطراز ، العلوي ، تد . عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٣ : ١٥٥ .
(٥) - ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، تد . عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٥٧ .

وورد في قوله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء : ٣٦).

نجد في النص القرآني فعل أمر إنجازي مباشر على وزن (افعل) ، و الأمر هو الله ، أمرنا بعبادته ثم جعل الإحسان إلى ما ذكر من الأصناف من الناس قرين الأمر بتوحيده سبحانه ، ليدل على أن العبادة لا بد أن نطبقها بالأفعال وبالعامل لإرضاء الله سبحانه ، فالسلطة تعطي للخطاب قوته الإنجازية ، والله - عز وجل - يخاطب المؤمنين في هذه الآية فـ " قدم الأمر بالعبادة على النهي عن الإشراك " (١) . وأنه لا توجد هنا منفعة تعود على المرسل ولن تعود ، فالمنفعة تعود على العباد ، فبعد أن تحدث سبحانه وتعالى في آيات سابقة في السورة نفسها عن التنظيم الأسري ، والاجتماعي ، وسع العلاقات لتشمل العلاقات الإنسانية ، فتمت أسرة صغيرة على المؤمن أن يهتم بها ، وكذلك أسرة كبيرة ، ثم ربط كل عمل إنساني بعبادته (٢) . وبعد أن ذكر عز وجل الإحسان إلى أصناف متعددة من الناس ورد المبني (ابن السبيل) وجعله آخر صنف من بينهم ؛ لأنه بدأ بالأقرب ثم تدرج إلى (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ، و(ابن السبيل) هي كنية للتمييز بين أنواع المسافرين فليس كل مسافر يستحق الإنفاق والإحسان إليه ، فخصه بالمبني ليعبر بها عن المسافر الذي لازم الطريق وانقطع عن أهله (٣) ، وجعله ممن يستحق الإحسان لغربته ، وحاجته . وجاء التوجيه هنا مركب من أمر ونهي .

والمخطط التالي يبين إنجازية الفعل

الفعل اللفظي ← (وَأَعْبُدُوا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا المصدر النائب عن فعل الأمر، والنهي)

المحتوى القضوي ← نصح الله المؤمنين بالإحسان ، وقرنه بعبادته وحذرهم من الرياء وأن تكون أعمالهم خالصة لله .

المحتوى الإنجازي ← عدم حصر العبادة بالواجبات فقط ، بل كل ما يقدمه المؤمن من عمل خير فهو عبادة لغرض خلق مجتمع متآلف متعاون متكافل اجتماعياً أعماله تعكس إيمانه .

المحتوى التأثيري ← الحث على ترك البخل ومراعاة الناس ، فالبخل والمراعي من المشركين

توجيه الأمر جاء للنصح والإرشاد وهذه القصيدة أعطته قوة إنجازية ، وتوجيه المؤمنين إلى كيفية حفظ روابط المجتمع الإنساني بعد أن بين كيفية الحفاظ على العائلة ، وكان العرب من عاداتهم حفظ الجار، وإكرام الضيف ، ولكنه هنا جعلها تقرباً له ، وليس لغرض آخر ، فالأغراض كلها تهاوت أمام رضا الله ، فلا منة لأحد على أحد . والتوجيه المركب من الأمر والنهي " يعضد أحدهما الآخر ويفسره ويحدده " (٤) . والسياق هنا لا يحتمل الخطاب المرن فجاء بصيغة الأمر المباشر لتوجيههم على أمور مهمة .

(١) - التحرير والتنوير ٥ : ٤٩

(٢) - ينظر : في ظلال القرآن ٢ : ٦٨٥ .

(٣) - ينظر : دلالة الكنية في القرآن الكريم : ١١٧ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٦٣ .

ورود في قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾ (الأعراف : ٣١) .

بدأ الخطاب بالنداء للتنبيه إلى ما فعله ابليس بآدم (يَا بَنِي آدَمَ) وللمبني هنا دلالات منها " شكر النعم الإلهية ، وبيان الاصطفاء الإلهي لآدم أبي البشر مرسلًا وخليفة في الأرض ، فأصل البشر نبي مرسل وفي هذا سمو ورفعة وتكريم " (١) ، فالمبني هنا يحمل تحذيراً للإشارة بأن كشف العورة من فتن الشيطان كما فتن نبي الله آدم .

رسم القرآن الكريم للبشرية منهجاً ربانياً ليعيش مع العباد في كل زمان ومكان ، كما أنه يصلح للمستجدات التي تطرأ على الإنسان ، والأمر يفيد المستقبل ، فالدعوة ماضية إلى كل الناس ما دامت الحياة ، في هذه الآية أوامر صريحة ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ لبني البشر لحثهم على منهج نهجه سبحانه لعباده ، وهو التزيين عند الذهاب إلى المسجد " والتزيين مسنون لا واجب " (٢) ، والمسجد هو أي مكان للعبادة .

القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذه الآية تفيد الحث على التجميل في الصلاة ؛ لأنها وقت تواصل بين العبد مع معبوده " التجميل عند الاجتماع للعبادة " (٣) (٤) ، وذكر الزركشي (في البرهان أن هذه الآية " جمعت أصول أحكام الشريعة كلها ، فجمعت الأمر ، والنهي ، والإباحة والتخيير " (٤) . والتوجيه هنا مركب من النداء والأمر والنهي ، وهو توجيه صريح .

الفعل اللفظي ← (النداء، (يَا بَنِي آدَمَ) ، وصيغة الأمر (خُذُوا)) والسياق .

المحتوى القضوي ← (الحث على المظهر الحسن في أماكن العبادة) .

المحتوى الإنجازي ← (حمد الله على نعمه ، ، فانه خلق اللباس والطعام والشراب للبشر لينتفعوا ويتنعموا بها ، ليكتمل للمؤمن جمال الإيمان والأفعال والمظهر) .

المحتوى التأثيري ← (الله يحب أن تظهر آثار نعمته على عباده).

(١) - دلالة الكنية في القرآن الكريم : ١٣٤ .

(٢) - روح المعاني ٨ : ١٠٩ .

(٣) - نظم الدرر ٧ : ٣٨٧ .

(٤) - ١٣ : ٢ .

(*) - اختلف المفسرون في معنى (الزينة) وأسباب نزولها (فالبعض ذكر أن الله تعالى اخبر الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت العتيق وكانوا من مشركي قريش ، بأن يرتدوا ملابسهم ولا يطوفون بهذه الهيئة لجملة من الآثار المذكورة في التفسير ، والبعض الآخر ذكر أن سبب النزول هو إن قريشاً كانوا إذا طافوا بالبيت حرمتم عليهم ثيابهم التي طافوا بها ، فإذا أرادوا الطواف طلبوا ثياباً من غيرهم ، والبعض يقول أن قريشاً كانوا يتركون الثياب يطرحونها عند البيت ويتعرون ، وقال البعض نزلت في حي من أهل اليمن أنهم كانوا إذا جاء أحدهم للطواف ليؤدي الحج والعمرة يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب ارتكبت وهو يرتديه معصية وذنب ، وقيل أنها نزلت في بني عامر ، وفي كل هذا جاءت بمعنى الثياب ، وقيل أنها نزلت في زجر المشركين عن الطواف بالكعبة عراة ولكن يؤخذ منها الحث على التجميل والتزيين عند الذهاب إلى المسجد ، أي أنها بمعنى التزيين الجميل عند الحضور إلى المسجد . (مجمع البيان ٤ : ١٨٤ ، والبحر المحيط ٤ : ٢٩) .

ورد فعل التوجيه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوتاً أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَمَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف: ٥٤) .

بعد أن تحدّثت الآيات السابقة من السورة نفسها عن تبشير عيسى بنوّة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتحدّثت عن التجارة التي تنجيهم من عذاب الله ، خاطب المؤمنين بنصر غير نصر الجهاد ، فهنا أمرهم بنصر دين الله بصيغة تدل على الوجوب (أفعل) " أن الأساسي في تأثير الأمر هو الحمل على سلوك معين مطلوب بقطع النظر عن الأثر الذهني الذي يكون لدى المخاطب " (١) .

بدأت الآية بالنداء للتنبيه والأمر (كونوا) بصيغته الصريحة ، حتّى لا يتعدد التأويل لدى المتلقي كما أنّ التشبيه الذي جاء به عزّ وجل بدعوة عيسى للحواريين أي " كونوا عندما يدعوكم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى نصر الله كحالة قول عيسى بن مريم للحواريين واستجابتهم له " (٢) . أمّا المحتوى القضوي (نصر دين الله) ويمثل قدرة المتكلّم على إنجاز الفعل ، فالله عزّ وجل أراد منهم عمل شيئاً ما " يوجهه لمصلحته بنفعه من جهة وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى " (٣) ، وندائهم بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدل على خير لهم ، وهذا ما أكدّه في نهاية الآية ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ وعليه فالله يريد منهم أن ينصروا دين الله حتى يكونوا هم الأعلون ، وسلطة المرسل المطلقة أعطت التكليف الإلزامي بالفعل " فالعلاقات التخاطبية إما علاقة تراتب واقعي أو علاقة اعتقاد ، والتراتب يطلب أن يكون المتكلّم في مرتبة أعلى من المخاطب حقيقة أو اعتباراً ، ليتحقّق الانصياع من لدن المخاطب الذي هو ضرب من التأثير ليسلك المخاطب سلوكاً معيناً من دون الحاجة لأن يكون مقتنعاً ذهنياً " (٤) .

الذين ناصروا نبي الله عيسى كانوا قلة ، ولكنّ الله نصرهم ورفعهم فأصبحوا ظاهرين ؛ لأنّ نصرتهم لم تكن لشخص عيسى بل لدينه ، فثباتهم استمر على الإيمان بوجود عيسى وبعده ؛ ولهذا جاء بصيغة الأمر الصريح لتحقّق قوتها الإنجازية بالتأثير في المتلقي .

ونبين من خلال المخطط انجازية الفعل :

الفعل اللفظي ← (النداء (كُونُوا) ثم أزال الإبهام بالتشبيه (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) .

المحتوى القضوي ← (حمل المؤمنين على نصر دين الله بوجود النبي وبعده) .

المحتوى الإنجازي ← (الحث على الصبر، وأن لا تغرهم الكثرة فقد يكون أنصار الحق قليلين المحتوى التأثيري ← (أن الانبياء دينهم واحد ، ولكل عمل جزاء) .

(١) - دائرة الأعمال اللغوية ، شكري المبخوت ، دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٩٢ .

(٢) - التحرير والتنوير ٢٨ : ١٩٩ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٢٢ .

(٤) - كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان لتوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ، عذراء سعيد عبد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠٢٠م : ٨٣ .

قال تعالى : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٥٩ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ (يوسف: ٥٨-٥٩) .

حين مكن الله ليوسف وجعل له مكانة عالية رفيعة وقدره بها على ما يريد ، ولما استخلصه الملك لنفسه وولاه المسؤولية على خزائن الأرض في مصر أصبح لنبي الله يوسف سلطة ومنزلة رفيعة عند الملك ، فحين دخلوا عليه إخوته لم يعرفوه ، لكنه بالمقابل عرفهم ، وقد جاءت التكنية بـ (إخوة يوسف) التي لم يأت بها القرآن الكريم إلا في هذا الموقف ، وكأنه قد عاد للتذكير ببداية قصة يوسف التي كانت على يدهم فذكرهم على لسان يعقوب بقوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف: ٥٥) وهذا أول تحذير من كيدهم ، وجاء في قوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف: ٥٥) ، وقابل الدكتور مصطفى رجوان بين هذه الآية وبين قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف: ٥٥) بقوله : " ونجد امتداد هذه الآية في آيات قادمة أبرزها ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ " (١) ، فكان اجتماعهم الأول كيداً ليوسف ، والآن اجتمعوا ليكون الكيد الإلهي (*) هو المنتصر ليوسف في قوله - عز وجل - : ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف: ٧٦) . وبسلطته أمرهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم فالأمر هنا حقيقي لتوفر السلطة ليوسف ، وهم أدنى منه رتبة ؛ لأنه تعامل معهم كغرباء ، فكان لا بد لهم من التنفيذ والالتزام بالاستجابة ، ثم لحملهم على الاستجابة استعمل أسلوب الترغيب بقوله : ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢) .

فأراد أن يبين لهم بأن الفائدة ستعود عليهم ليزيد كيلهم . وقد تلفظ يوسف بهذا الفعل مخاطباً إخوته بهدف تحقيق غرض إنجازي فاستعمل الترغيب ثم التهيب في قوله : ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾ فلا كيل لهم وهم في حالة قحط وجوع فلا بد لهم أن يستجيبوا له ؛ لأن المقدرات كلها بيده " قد يجمع المرسل بين أسلوبين متدافعين أي بين حث واغراء من جهة وتحذير من جهة أخرى ، فيعطي الخطاب قوة ، إذ إنه يفزع ذهن المرسل إليه " (٣)

وسنبين انجازية الفعل في المخطط الآتي :

الفعل اللفظي ← (اتنوني ، أوفي الكيل ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) .

(١) - في بلاغة الخطاب : ١٤٩ .

(٢) - ينظر : التحرير والتنوير ١٣ : ١٣ .

(*) - مثل ذلك الكيد المحكم حيث ارشدنا الأخوة الى الافتاء باسترقاق من وجد في رحله ، مثل ذلك الكيد كدنا لأجل يوسف أي دبرنا المقدمات لكي يحصل بها على غرضه ، وتلك المقدمات هي دس الصواع في رجالهم وما تلاه آل الامر الى تحقيق ما أراده من بقاء بنيامين معه (التفسير الوسيط ، لجنة من العلماء ، مطبعة المصحف الشريف ، ط١ ، ١٩٩٢ م ٢ : ٣٦٢) .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٦٥ .

المحتوى القضوي — (ليوهمهم بأنه لا يعرفهم ، ويجهل نسبهم) .
المحتوى الإنجازي — (إجبارهم على الإتيان ببنيامين ؛ لأن القحط سيهلكهم إن حصل العكس) .

المحتوى التأثيري — (الصبر والثقة بالله هما السبيل للنجاة ، والأمين سيحظى بثقة الناس) .
وقوله تعالى : ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب : ٥٠)

كان من عادات العرب إذا كان هناك شخص لديه مؤهلات جسمانية ، واجتماعية ، وفكرية تميزه عن غيره ، يتبنونه وينسبونه كولد لهم ، حتى إنهم يورثوه ، وتحرم عليه زوجة الأب وزوجة الابن ، وكان هذا شائعاً ، وبقيت هذه العادة حتى نزلت هذه الآية في زيد بن الحارثة الذي كان يسمونه (زيد بن محمد) لأنه كان مولى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فسماه الرسول بعدها بـ (زيد بن الحارثة) ، وقيل أيضاً : كان لأبي حذيفة غلام يسمونه (سالما) فأعتقه وأدعاه ، وبعد نزول الآية كانوا يسمونه (سالما مولى أبي حذيفة) ^(١) .

هذه الآية فيها تصحيح لأفكار كانت سائدة " التركيب الأمري فهو في جوهره نوع من التوجيه الذي يهدف إلى تصحيح موقف غير مرضٍ " ^(٢) ، وللتغيير لا بد من فعل مباشر يؤثر في الآخر ليوجه مسار أفكاره وينبذ ما كان عليه وهذا الخطاب شمل الرسول والمؤمنين وألزم عليهم الإتيان به " فصيغة فعل الأمر الأصلية (افعل) بيد أنه " مما لا ريب فيه أن صيغ (افعل) ونحوها من الصيغ الدالة على الأمر ظاهرة في الطلب والاقتضاء ، ذلك أن الفعل المطلوب لا بد وان يكون فعله راجحاً على تركه ، فإن كان ممتنع الترك ، كان واجبا ... " ^(٣) .

ونبين إنجازية الفعل من خلال المخطط .

الفعل اللفظي — (ادْعُوهُمْ ، والجملة الخبرية هو اقسط فهو تعليل للأمر لدفع الابهام) .
المحتوى القضوي — (أمرهم بترك ظاهرة ابتدعوها والامتثال لحكمه تحقيقاً للقسط) .
المحتوى الإنجازي — (شد وشائج الأرحام ، وعدم وقوع الظلم على الأبناء الحقيقيين) .
المحتوى التأثيري — (حفظ المجتمع من الوقوع في الحرام من خلال تحريم ما أحله الله لهم بالزواج منها ، وتحليل ما حرم الله عليهم ، فهذا الفعل آثاره سلبية على المجتمع الإسلامي) .

(١) - الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ، مدرسة الإمام علي (عليه السلام) ، إيران - قم ، ط ١ ، ١٣٨٤ هـ . ش ، ١٤٢٦ هـ ، ق ١٠ : ٣٢٣ .

(٢) - تعديل القوة الإنجازية : ١٥١

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٤٤ .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَسَلُّوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (المتحنة: ٥) .

هذا الخطاب موجّه للمؤمنين ، وهو توجيه مركب من نداء وأمر وخبر مثبت ونهي وشرط أراد الله منهم أن يختبروا صدق المهاجرات إن كانت هجرتهم طلباً للإسلام أو لأسباب أخرى - ذكرها المفسرون ولا مجال لذكرها ؛ لأنها لا تمس بحثنا - ويحلفن ما خرجن إلا لطلب الإسلام.

جاء الأمر على صيغة (افعل) (فَامْتَحِنُوهُنَّ ، وَءَاتُوهُنَّ) كونه صادر من جهة استعلاء " أن المرسل يوجّه بصيغة (افعل) ، في الخطاب ذلك المرسل إليه العيني أو الذهني مباشرة " (١) ، نزلت هذه الآية حين لم يكن لدى النبي أي حكم شرعي بهذا الخصوص - هجرة النساء - والهجرة واقعة ، أي أنّ الطرفين حاضران عينياً ، فلم يكن من المؤمنين إلا تنفيذ ما أمرهم الله به إلزاماً ، ووجوب هذا الامتحان لتحقيق العدالة من جهة ، وحفظ الإسلام من جهة أخرى . فقد تكون المرأة قد فرّرت لجرم ارتكبته ، وليس إيماناً بالدين الإسلامي ، هذا سيؤثر سلباً على المجتمع المسلم ، ويكون إيمانهم زيفاً . أمّا القوة الإنجازية في هذا الفعل فتكمن في حفظ حقوق المرأة من خلال احترام رغبتها إن كانت قد هاجرت محبةً للدين الإسلامي ، وترك أهلها من أجل عقيدتها . وأنه لا يمكن لمؤمنة أن تحل على كافر (٢) .

أمّا الفعل (وَءَاتُوهُنَّ) فاختلف الغرض من المؤمنين في هذا الخطاب فالتوجيه هنا كان لإرجاع صدقات النساء المهاجرات إلى أزواجهن الكفار بناء على ما جاء في معاهدة بين المشركين والرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فبذلك أصبح لزاماً عليهم إرجاعها (٣) . فأسلوب الأمر الحقيقي اتضح فيه التدبير الإلهي في نهج الأحكام الدنيوية ، والتي يعجز البشر عن الإتيان بهذا الحكم ، الذي لم يُظلم فيه حتى المشرك ، وذلك بقوله ﴿وَأَسْأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا﴾ ، أي إن لحقت امرأة منكم بالكفار فسلّوا ما أنفقتم لها من مهر ، ولهم أن يسألوا مهر من لحقت بكم من نسائهم . وجاء (وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا) بصيغة فعل المضارع المقترن بـ (لام الأمر) " إن صيغة الأمر ذات الصور المتعددة مثل افعل ، ولتفعل ، تستعمل حقيقة في الدلالة على الوجوب " (٤) . وأنّ لام الامر تجيء مع الغائب بكثرة وتستعمل مع المضارع لإفادة التوكيد (٥) .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٤٥ .

(٢) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٥٦٤ .

(٣) - روح المعاني ٢٨ : ٧٨ .

(٤) - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، السبكي ، تد عبد الحميد هداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م : ٢ : ٤٦٢ .

(٥) - ينظر : كتاب اللامات ، الزجاجي ، تد . مازن المبارك ، دار الفكر ، سورية - دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٥ م ، : ٩٢ .

ونمثل لإنجازية الأفعال في المخطط الآتي :

الفعل اللفظي ← (النداء ، فَاْمْتَحِنُوْهُنَّ ، وَءَاتُوْهُم ، وَسَلُّوْا ، وَلَيْسَلُّوْا)

المحتوى القضوي ← (الحث على أخذ التدابير اللازمة للحفاظ على الكيان الإسلامي وفرض هيئته ، ولا يحق للمؤمن التجاوز على حقوق المشركين إن كانت لديهم حقوق عند المؤمنين ، فالحقوق لا تسلب من الشخص لكفره . أما السؤال فغاياته حتى لا يقع الظلم وكلُّ يأخذ حقوقه بالكامل) .

المحتوى الإنجازي ← (خلق مجتمع تتساوى فيه الحقوق لكل افراده بغض النظر عن الدين والعرق والجنس)

المحتوى التأثيري ← أن للمرأة الحق في اختيار دينها بعيدا عن الضغط والإكراه من قبل الزوج والأهل ، وأن العدل يشمل المؤمن والكافر .

والتوجيه المركب في الآية من النداء والأمر ، والنهي ، والجملة الخبرية أعطى للخطاب قوة إنجازية حرفية .

الآية الكريمة تصدرها أمر فيه مشقة للنفس ؛ لأن دفع الأموال وهو مما يحبها الإنسان فيه مشقة للنفس ، لذلك ختمها عز وجل بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سند الحكم لنفسه ليدل على أنه خالٍ من كل نقص ، كما أن العدل مع العدو لا يفعله إلا حكيم ؛ لأن عدله يشمل جميع عباداه ، فتكون القوة الإنجازية للأفعال ؛ الترغيب جاء فيها بعدالة الحكم الإلهي ^(١) . وهذا ما جعله عز وجل يخفي أسماء من نزلت بهن الآية ؛ لأن ليس في تعيينه كبير فائدة ^(*) فمفاد الآية تحاكي حكماً سماوياً على المؤمنين أن يلتزموا به ، وأن يأخذوا الحيطة والحذر حفاظاً على هيبة دولتهم ، وأن لا يبغي المؤمن على الكافر ويعتدي على حقوقه .

(١) - ينظر : نظم الدرر ١٩ : ٥٢٠ .

(*) - قيل انها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ، وقيل انها نزلت في امية بنت بشر امرأة ابي حسان بن الدحاحة وقيل أنها نزلت في سعيدة امرأة صيفي (التعريف والإعلام : ١٢٩) .

٢- النهي .

هو أحد آليات التوجيه ، ويكون بخلاف الأمر الذي هو طلب الفعل فالنهي طلب الامتناع عن فعل شيء معين يتكون من فعل مضارع مسبوق بـ (لا) الناهية الجازمة ، ولكن كلاهما مفادهما طلب الترك " وهو طلب الكف عن الفعل ، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء ، والالزام " (١)، فإن لم يكن فيه استعلاء يخرج عن معناه الحقيقي في النهي إلى أغراض أخر تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، وهذا الطلب يسعى به المخاطب أن يحدث تغييراً في سلوك المخاطب وتوجيهه للابتعاد عن عمل ما ، أي إنه يؤثر على المخاطب وهذا التأثير جعل النهي من القوى الإنجازية.

وقد لا يخرج كثير من الخطاب القرآني عن الأمر والنهي ، لارتباط ذلك بأمر تشريعية تأتي للمنع والتحرير ، فهذان الفعلان الكلاميان المتمثلان في الأمر ، والنهي يحملان قوى إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده ، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه (٢) .

ومن أمثله ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَبْنَئِ سُرْعِيلَ أَدْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونِ ۖ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة: ٥٠-٥١).

هنا التوجيه تركيبي من نداء و أمر وشرط ، ونهي ، أمر الله بني اسرائيل أن يؤمنوا بالقرآن ؛ لأنه مصدقاً لما معهم من التوراة ، ثم نهاهم عن أن يكونوا أول من يكفر بالقرآن الكريم ، كما نهاهم أن يبيعوا آيات الله بخسيس من الثمن أي لا تفضلون الدنيا على الآخرة بكنتم ما جاء به كتابكم من ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكل ثمن يكون قليل مقابل آيات الله (٣) .

ونبين إنجازية الفعل بهذا المخطط

الفعل اللفظي ← (النداء ، أذكروا نِعْمَتِي ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ، وَلَا تَكُونُوا ، وَلَا تَشْتَرُوا).

المحتوى القضوي ← (إرشادهم إلى الابتعاد عن الطمع والمصالح ، والإيمان بما جاء به القرآن وتذكيرهم بالنعم التي من الله بها عليهم ، والوفاء بعهدي إليكم بالإيمان بي وبرسلي)

المحتوى الإنجازي ← (أن يعلم المسلمون إن ما جاء به القرآن الكريم هو ما جاءت به التوراة ، وإن من بني اسرائيل حرفوا ما جاء بكتابهم من أجل مصالحهم).

المحتوى التأثيري ← (تحذير المسلمين منهم لأنهم باعوا آخرتهم بدنياهم).

(١) - علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، : ٨٣ .

(٢) - ينظر : التداولية عند العرب : ١٥٠ .

(٣) - ينظر : تفسير الطبري ١ : ٦٠٤ - ٦٠٥ .

ومن أمثله جاء في قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنِي ۖ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا ۚ إِنَّهُ يَرَئِكُمْ ۖ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الاعراف: ٣٥) ، التوجيه هنا مركب من النداء ، والنهي ، يخاطب الله كل بني آدم ويحذّرهم من فتنة الشيطان ؛ لأنّه يوسوس لهم بما يمنعهم من دخول الجنة كما فتن أبويهم وأخرجهم منها فوضع السبب موضع المسبب ؛ لأنّ خروجهما كان بسبب إغوائه لهما ، وكذا نسبة النزاع إليه ، وعلل سبب النهي بأن ابليس وجنده يرونكم من حيث لا ترونهم ، والعدو الخفي أشد وأخوف ^(١). فالفعل التوجيهي هنا غرضه التحذير ، وقد شدد بالحدز حين قال : ﴿إِنَّهُ يَرَئَكُمْ ۖ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فاتباع الشيطان فيه تحويل وصرف من حالة إلى حالة فهو يحول المؤمن إلى كافر، والصالح إلى فساد ، كما حول حال آدم وحواء من سكن الجنة إلى الأرض .

وبالمخطط سنبيين إنجازية الفعل .

فالفعل اللفظي ← (النداء ، لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ).

المحتوى الإنجازي ← (أن يعتبر الإنسان ويتعظ من أخطاء غيره) .

المحتوى التأثيري ← (الإيمان بالله يفيك شر الفتن) .

ومن أمثلة النهي ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ (المائدة: ٥١-٥٢). التوجيه مركب من نداء ، وأمر ، ونهي ، نهى الله المؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى وجعل من يتودد إليهم ويستتصر بهم كافرين مثلهم ، ووصف من يناصرهم بأنهم في قلوبهم مرض ^(*) ؛ لأنهم في شك ونفاق ^(٢) ، وحصر النداء على المؤمنين الذين لا يخالفون ما ينزل على الرسول الأعظم ، " إذا سمعت الله يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فأوعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه " ^(٣) . والله لا ينهى عن شيء إلا وبه كراهة " وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهية " ^(٤) ، وكان شرط الإخلاص متحققاً ؛ لأنّ الله - عزّ وجل - كان له السلطة المطلقة على عباده المؤمنين فيأمرهم وينهاهم .

(١) - ينظر: روح المعاني ٨ : ١٠٤ ، و البرهان ٢ : ٢٥٩ .

(*) - هو عبد الله بن أبي وقد ألح على النبي (ص) في بني قينقاع حين حاربوا النبي فلما ظفر بهم وأراد قتلهم وكانوا حلفاء عبد الله جعل يناشد النبي فيهم ويلج عليه ويقول ثلثمائة دارع وأربعمائة حاسر قد منعوني من الأحمر والأسود تريد أن تحصدهم في غزاة واحدة ، إني امرؤ أخشى الدوائر (التعريف والإعلام : ٥١) .

(٢) - ينظر: مجمع البيان ٣ : ٢٩٣ .

(٣) - تفسير القرآن العظيم ، بن كثير ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م : ١٨٠ .

(٤) - الطراز ٣ : ١٥٧ .

وسنبين القوة الإنجازية للفعل من خلال المخطط .

الفعل اللفظي —————> (النداء ، لاتتخذوا).

المحتوى القضوي —————> (التحذير من مظاهرة اليهود والنصارى).

المحتوى الإنجازي —————> (هذه الآية فيها نهج واضح خطه الله للمؤمنين يحثهم على التوكل على الله والّا يكونوا منافقين في إيمانهم ، فإله خير ناصر وخير معين).

المحتوى التأثيري —————> (خاطب الله المؤمنين الذين يؤمنون بكل ما يقوله الله ، فلا يؤمن ببعض ويترك بعضاً ، فمقتضى الإيمان العمل بما دل عليه الخطاب) .

ومن أمثلته النهي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ ﴾ (الكهف: ٥٥).

يأمر الله نبيه بمصاحبة الذين يريدون وجه الله ؛ لأنّ بمصاحبتهم الفلاح وأن لا ينفك عن مصاحبتهم والصبر عليهم ، ووجهه بأن يغفل ويهمل الذين يغفلون عن ذكر الله (*) ، بعد أن طلب منه أشرف قریش بطرد فقراء المؤمنين وهم (بلال وصهيب وعمار وابن مسعود وخباب) فنزلت هذه الآية لتوجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للصبر مع هؤلاء الذين اخلصوا في عبادتهم لله لا طمعاً في جاه ولا مال ، إنما غايتهم رضا الله ، ونهى الرسول أن يصرف عينه إلى غيرهم ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ (١) ، والتوجيه مركب من الأمر والنهي ليعطي للنهي قوة إلزامية .

الفعل اللفظي —————> (واصبر نفسك ، ولا تعد عينك ، ولا تطع من أغفلنا).

المحتوى القضوي —————> (فيها نصح بصحبة الاخيار الذين يذكرون الله في اول الليل وآخره ، وعدم الالتفات إلى المظاهر التي تزيد التعلق بالدنيا ، ونهى عن طاعة من قلبه غافل عن ذكر الله).

المحتوى الإنجازي —————> (إن للبيئة تأثيراً كبيراً على سلوك الشخص ، فيكون الاقتداء بمن حوله لا شعورياً سلباً وإيجاباً)

المحتوى التأثيري —————> مباشرة أهل العلم تعمر القلوب بالإيمان فعلياً أن نحسن الاختيار لمن يرافقنا حياتنا ، والحذر من التكبر واحتقار الآخرين) .

ويأتي النهي أحياناً مؤكداً بنون التوكيد كما في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٠) .

(*) - قيل هو عبيدة بن حصن الفزاري حين قال انا أشرف مضر وأجلها (التعريف والإعلام : ١٠١).
(١) - ينظر : في ظلال القرآن ٤ : ٢٢٦٨ .

أوصى نبيي الله إبراهيم ويعقوب ابناهم^(*) بأن الله اختار لهم دين الإسلام ، فلا تموتن على خلاف حال الإسلام ، فنهيا أبناءهما أن يفرقا دين الإسلام أيام حياتهم ؛ لأن الإنسان يجهل متى تأتيه منيته ؛ لئلا تأتيهم المنية وهم على غير الدين الذي اجتبه لهم ربهم ، وقال لهم (الدين بالألف واللام ؛ لأنه معروف عند المخاطبين من ولدهما وبنيهما ^(١)) ، أي ان هناك معرفة سابقة بهذا الدين لدى الطرفين من المرسل - إبراهيم - والمرسل إليه " وذلك مؤشر تداولي على أن النهي هنا يعلو النهي في الخطاب السابق درجة ؛ لأن فيه تأكيداً ، والتأكيد كان نتيجة لمعرفة المرسل بالمرسل إليه وبمناصر السياق جيداً " ^(٢) .

وبدأت وصيتهما بـ (يا بُنَيَّ) والنداء بلفظ البنين " تلطف غريب وترجئة للقبول وتحريك لما يليهم من أمر الموافقة على دين الإسلام الذي ينبغي أن يتلطف في تحيله " ^(٣) ، وهذا التهذيب يدل على حرصهما على ابنائهم وشفقتهم عليهما لذا أخصّوهم بالخطاب ، والذي أعطى الخطاب قوته الإنجازية هو لفظ (الوصية ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) ؛ لأن الوصية كما ذكر الرازي (ت ٦٠٤هـ) في تفسيره " ولفظ الوصية أؤكد من الأمر ؛ لأن الوصية عند الخوف من الموت ، وفي ذلك يكون احتياط الإنسان لدينه أشد وأتم ... ، إنه عليه السلام ما مزج بهذه الوصية وصية أخرى ... ، أما قوله : «اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» فالمراد أنه تعالى استخلصه بأن أقام عليه الدلائل الظاهرة الجلية ودعاهم عليه ومنعهم من غيره " ^(٤) .

جاء النهي باللفظ نفسه في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝٣٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (ال عمران : ٣٠) ولكن القوة الإنجازية في هذه الآية للفعل أقل من الآية السابقة ، فالسياق العام هو الذي يحدد المعنى الاستعمالي للكلمة ، وهذا ما تهتم به التداولية ، فالنهي اقترن بـ (الوصية) " حينما يعدل المتكلم قوة منطوقه الإنجازية فإنه يدل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره مقتضيات السياق - وهما يرتبطان - في تقديرنا - بكفاءة المتكلم واداءه معا " ^(٥) واقترن أيضاً بـ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) ليعلل سبب النهي عن الموت وهم غير مسلمين . توفر شرط الإخلاص فالمخاطب هنا خاضع لسلطة المتكلم وهي سلطة (الأبوة ، والنبوة) فألزم المخاطب بترك ما نهي عنه " إن قرينة النهي قرينة مقالبة يدخلها المتكلم في حيز التداول والاستعمال ويخضعها لإرادته ويكون هدفه التأثير في المخاطب ولتحقق التأثير يشترط أن تكون العلاقة بين المتكلم والمخاطب علاقة سلطوية عليا ودنيا ، وهي قرينة مقامية " ^(٦) .

(*) - أما بنو إبراهيم فسمي منهم في القرآن اسماعيل واسحاق ، وسمي منهم الكليبي (مدن ، ومدين ، وبقشان ، ورمزان ، وأشباق ، وشوح ، ونافس ، وكيشان ، ولوط ، وأميم ، وقنطور) ، أما بنو يعقوب (يوسف ، بنيامين ، روبيل ، يهوذا ، شمعون ، ولاوي ، ودان ، ونفتالي ، وجاد ، وربالون ، ويشجر ، ودان) (التعريف والإعلام : ٢٦ هامش رقم ٣)

(١) - ينظر تفسير الطبري ٢ : ٥٨٤ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٥٠ .

(٣) - البحر المحيط ١ : ٥٧١ .

(٤) - تفسير مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م ، ٤ : ٨٠ .

(٥) - النص والخطاب والاتصال ، محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة - مصر ، د. ط ، ٢٠١٤م : ٢٣٣ .

(٦) - كتاب البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب : ٨٩ .

وسنبين إنجازية الفعل بالمخطط .

الفعل اللفظي ← (النداء ، ووصى ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ، فَلَا تَمُوتُنَّ (مؤكد بالنون)) .

المحتوى القضوي ← (إن الإسلام هو دين كل الأنبياء ، والله هو من اختاره على جميع الأديان . التحذير من الموت على غير الإسلام ديناً) .

المحتوى الإنجازي ← (يحذرنّا الله من الغفلة ، فعلينا أن نكون متيقنين دائماً لأمر ديننا وديننا ، فمن مات على حالة بُعث عليها) .

المحتوى التأثيري ← (علينا الاستعداد للموت الذي آت لا محالة) .

وتتمثل الآيات التي نزلت على الرسول الأكرم ، والمؤمنين بشرط الإخلاص فهم ينجزونها ، ويستجيبون للأوامر والنواهي ، ولهذا " ارتكز الخطاب الموجه إلى المؤمنين والمؤمنات على أسلوب الأمر والنهي ، بغرض النصح والإرشاد والتوجيه وكذا تعليم الأحكام الشرعية " (١) .

ورود المكنى والمبنى في الآيات زاد من القوة الإنجازية للأفعال كونها عملت على تخصيص فئة الخطاب ، وهذا ما يسهل على المتلقي فهم أغراض الخطاب ، فكنية (بني إسرائيل) تكون أحياناً للتحذير فيفهم المتلقي مقاصد الخطاب من الكنية ، و(بني آدم) يكون الخطاب خاص بالبشر ، والتحذير من خطيئة آدم ، و(ابن السبيل) فيها تعيين لفئة محددة تستحق الصدقة ، و(أخوة يوسف) ، وإن كانت الأحداث تخص نبي الله يوسف وأخوته ولكن فيها تحذير بأن الحقد والحسد يقود بالشخص إلى التمرد على أقرب الناس إليه حتى وإن كانوا أولاد نبي وأهل علم ودين ، أما الأعلام المبهمة التي تعمل على الخفاء لتقيد ذكر الأسماء فالعبرة تكون بنتائج الأعمال وليس بشخصها ، وعليه فالقوة الإنجازية للفعل تكون أقوى توجيهها ، وتأثيراً ، حين يكون العمل هو من يخلد الإنسان ، ويجعل منه إماماً مثلاً للخير ، أو مثلاً للشر . فالله يعلم ما نصنع فليس من شروط الإنجاز تعيين الأسماء ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء: ٦٦) .

(١) - الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول مقارنة تداولية ، شفيقة طوبال ، مجلة العمدة ، مج ٣ ، ع. ٢٠١٩ ، ٢ : ١٨٨ .

٣- الاستفهام .

الاستفهام هو أحد آليات التوجيه ؛ " لأنها توجه المرسل إليه على خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها ، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث ، بل والسيطرة على ذهن المرسل إليه ، وتسيير الخطاب تجاه ما يريد المرسل لا حسب ما يريد الآخرون " (١).

ويرتبط مفهوم الاستفهام باللغة حين الاستعمال ، وهذا محور الدراسات التداولية ؛ لأن مفهومه : طلب الفهم " والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحيانا بمفرد ، شخص أو شيء ، أو غيرهما ، وتتعلق أحيانا بنسبة ، أو بحكم من الأحكام ، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن ، أم على شك " (٢)، فالمخاطب قد يجهل شيئاً أو شخصاً ما فيستفهم عنه لتتكون لديه صورة ذهنية عنه فهو يطلب الفهم من الآخر ، وهنا يكون استفهاماً حقيقياً؛ لأن المخاطب يجهله ، " فالاستفهام فعل إنجازي من جهة المخاطب ، والغرض منه تحقيق ما في ذهن المرسل والمخاطب ، فيدل على طلب الفهم ، والمراد بالفهم ، إدراك الشيء ، بمعنى حصول صورته في الذهن " (٣).

وحين يكون الاستفهام عن شيء يعرفه المستفهم ولا يجهله ، فهنا يخرج عن معناه الحقيقي في طلب الفهم إلى المجازي ، فهو وسيلة لتعديل القوة الإنجازية للمنطوقات " إن القلب التركيبي الاستفهامي قد جعل وسيلة لإضافة قوة إلى قوة المنطوق الإنجازية ، في سياقات لا يكون السؤال عن محتوى القضية اثناءها هو وظيفة المنطوق الأولية " (٤). كما يعد من وسائل إضعاف القوة الإنجازية للمنطوقات عندما يكون للعرض أو للطلب أو للالتماس .

والله عز وجل " إنما يستفهمهم ليقرّروهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء ، فهذا أسلوب بدیع انفرد به خطاب القرآن ، وهو في كلام البشر مختلف " (٥)، فالله عز وجل منزه عن الطلب فالأسئلة التي يسألها غير حقيقية بل تنزاح لمعانٍ آخر .

حرص النحويون ، والبلاغيون ، والمفسرون على الوقوف على معرفة المعاني التي يحرص المتكلم على تحقيقها من خلال استعمال الاستفهام في غير معناه الحقيقي ، فذكر أبو عبيدة (ت: ٢١٠هـ) (٦) والمبرد (ت: ٢٨٥هـ) (٧) أن الاستفهام يخرج لتوبيخ السامع وتقريره أو زجره .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٥٢.

(٢) - في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٦م : ٢٦٤.

(٣) - شعر المتنبي في ضوء نظرية أفعال الكلام ، محمد إبراهيم هريس جواد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة ذي قار ، ٢٠١٦م : ١٠١.

(٤) - تعديل القوة الإنجازية : ١٥٠.

(٥) - البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٢٧.

(٦) - ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، تح. محمد فؤاد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ : ٣١.

(٧) - ينظر : المقتضب ، المبرد ، تح. محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ - ٢٩٢ : ٣.

ومن أمثلة الاستفهام الحقيقي الذي يراد به طلب الفهم هي :

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٥) وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ (البقرة: ٢١٦) فهذا الاستفهام يحتاج إلى جواب ؛ لأنهم يستفهمون عن شيء في حكم شرعي (الانفاق) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ هُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (ال عمران : ٤١) ، وقوله - عز وجل - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (الأعراف : ٨٧) ، وفي سورة الكهف قال تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ (الكهف : ٦٢) . قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴾ (طه: ٦٩) ، وقوله : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص : ٢٣) .

الاستفهام في الآيات حقيقي ؛ لأنه محكي عن البشر ، كما أنها غير حاصلة وقت الطلب ، وتوفرت فيه شروط محدّدة إذا تم استيفائها يكون الاستفهام حقيقياً توجيهياً ، وفعلاً إنجازياً مباشراً ، وهي (١) :

- عنصر الزمان : فيكون الاستفهام في المستقبل .
- عنصر الإمكان : أن يكون في إمكان المسؤول الإجابة عن استفهام السائل .
- عنصر الإرادة : أن يريد المستفهم حقيقة الاستفهام ، ويكون أمر المستفهم عنه يعنيه.

(١) - ينظر : قضايا النداولية في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، باديس لهويل ، مجلة رفوف ، جامعة احمد دراية أدرار- الجزائر ، ع.٩، ٢٠١٦م : ١٦٢ .

- دلالة التنغيم في التوجيه .

التنغيم : وهو " عبارة عن جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة ، من تعجب ، واستفهام ، وسخرية ، وتأکید ، و تحذير ، وغير ذلك " (١). تعددت وظائف التنغيم ومنها " الوظيفة النحوية : وفيها يقوم التنغيم بتصنيف الجمل إلى انماطها المختلفة ، من تقريرية ، واستفهامية ، وتعجبية ؛ لأن من المعلوم أن لكل جملة نمطا خاصا في التنغيم في نهايتها " (٢) ، فالتنغيم يقوم بتحديد ما يريده المتكلم من اساليب الإنشاء فهو يعمل على الجملة وليس على الكلمة .

واستوفينا في الفصل الأول الشروحات عن النغمة الهابطة والصاعدة والمستوية لذا سنكتفي هنا بالتمثيل للتنغيم لبعض الآيات ، وكيف أن الارتفاع والانخفاض في التنغيم له أثر في المتلقي ، كما أنه يزيل اللبس عن القصد في الجملة ، وتوجيه المعنى الصحيح الذي يسعى إليه المتكلم .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٣) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (يوسف : ٢١-٢٢) . الجملة الأولى ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ ﴾ تنغيمها استفهام والتقدير فما جزاء من سرق (٣) ، أما الثانية ﴿ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ فتتبع إثبات ، والأداة محذوفة في هذه الآية ولكن يمكن للسامع أن يستدل عليها من الظاهرة الصوتية .

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ

تنغيم منخفض ؛ لأن الاستفهام بغير هل والهمزة تنغيم منخفض ؛ لأن الجملة شرطية

وكذلك قوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان : ٤٤) فلولا التنغيم لظن السامع أنه تكريم له ، ولكن بسبب التنغيم خرج الأمر إلى السخرية فبدأ بمستوى صاعد (ذق) وانتهى بتنغيم هابط ؛ لأن المعنى للتعجب (٣) . فلولا التنغيم لا يمكننا الوقوف على مراد المتكلم وإبانة الغرض .

ذق إنك أنت العزيز الكريم

نغمة مرتفعة نغمة مرتفعة نغمة مرتفعة

انتهت الآية بنغمة منخفضة

(١) - علم الأصوات ، برنيل مالمبرج ، ترجمة. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب : ٢٠٩ .

(٢) - الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) - ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٩٨٩ ، و مجمع البيان : ٥ ، ٣٣٦ .

(٤) - ينظر : مقومات التنغيم ودلالاته ، عائشة خضر احمد البدراني ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، مج. ١٨ ، ع. ١١ ، ٢٠٢٠م : ١١٣ .

وفي قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٣٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ٣٤-٣٥) . أظهر التنعيم الاستفهام (*) حين سأل السحرة فرعون ليطلبوا منه أجراً (١) على الرغم من أن الأداة محذوفة " فالصيغة التنغيمية منحى تنغيمي خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي " (٢) .

قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

نغمة مرتفعة ؛ لأن الجملة استفهامية مبدوءة بهمزة تنعيم مستوٍ

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة : ٣٥) .

بدأت الآية بتنعيم مستوي ثم بعد أن انكر قولهم هبط التنعيم ،بقوله : ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ثم ليبين سخطه وغضبه ؛ لأن الآية الكريمة فيها دعاء عليهم ليكون زجراً وردعاً فاستدعى نغمة صاعدة في قوله : ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ، ليفهم المتلقي إنكار الله لقولهم وسخطه عليهم .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

تنعيم مستوٍ تنعيم منخفض تنعيم مرتفع

(*) - قرأ اهل الحجاز وحقق (إن لنا لأجراً)بهمزة واحدة على الخبر . وقرأ (انن بهمزتين محقتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص . وقرأ أبو عمرو "آءن" بهمزة ممدودة . وقرأ يعقوب غير زيد : بهمزة غير ممدودة. وقال ابو علي : الاستفهام أشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على أنهم لهم الأجر .

(١) - ينظر تفسير الطبري : ١٠ : ٣٥٤

(٢) - اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب ، د. ط ، ١٩٩٤م : ٢٢٦ .

- التحضيض والعرض .

هما طلب الشيء بلين وتأدّب، لكن الفرق بين العرض والتحضيض ، إنّ العرض هو طلب الشيء برفق ولين ومن أدواته (الا ، ولو) ، أما التحضيض فهو طلب الشيء فيه زيادة التأكيد والحث وأعزم من العرض ومن أدواته (هلا ، لولا ، ألا ، لوما) ^(١) ، يقول المرادي (٧٤٩هـ) : " التحضيض أشد توكيدا من العرض ، والفرق بينهما أنّك في العرض تعرض عليه شيئاً لينظر فيه وفي التحضيض تقول : الأولى بك أن تفعل فلا يفوتتك ؛ ولذلك يحسن قول العبد لسيّده ألا تعطيني ويقبح قول لولا تعطيني " ^(٢) ، ويرى أكثر النحويين أنّ (ألا) لا تتجرد من معنى الاستفهام ، فهي مركبة من همزة الاستفهام و(لا) النافية ، وليست أداة بسيطة ، وبعد تركيبها أفادت معنى جديداً وهو العرض والتحضيض ^(٣) .

فالعرض من التحضيض والعرض التوجيه لفعل شيء في المستقبل " بيد أنّ الدافع إلى ذلك التوجيه هو فعل سبق إن قام به المرسل إليه في الماضي ، ولكنّه من وجهة نظر المرسل عملاً يشوبه النقص ، أو قاصراً عن الدرجة المطلوبة والمتعارف عليها " ^(٤) .

والأدوات المهيمنة على آيات الدراسة ، هي (لولا ، ولو ، وإلا) قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِّىَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠) ، حين طلب بعض المشركين ^(٥) من الرسول أن ينزل معه ملك يعاونه ويشاهدونه بأعينهم ، فقالوا (لولا) وهنا بمعنى (هلا) أي هلا نزل عليه ملك من السماء ، أرادوا من هذا القول اظهار عجز النبي في حمل الرسالة التي لا تكون إلا على أيدي ملائكة ، فردّ الله عليهم لو انزلنا ملك وكفروا به ، وبرسولي لما أخرت عقوبتهم وعجلت لهم بها . ولولا هنا للتحضيض لا تحتاج إلى جواب ^(٦) ،

وفي قوله : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (الكهف: ٦٠) ، ذهب بعض المفسرين أنّه تحضيض وحثّ على قول ذلك إذا أعجبك شيء ، وهي بمعنى هلا ^(٧) ، وبعضهم قال أنّ (لولا) للتوبيخ ^(٨) ، ومنهم من جمع بين التحضيض والتوبيخ ^(٩) ، فهنا الرجل المؤمن يوجّه الآخر بأن هذه الجنة هي من مشيئة الله وليس لك يدأ فيها فلا يمكن نسب النعم إلا لله .

وقوله : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبِيِّينَ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٥١) كثرت أقاويل المشركين حول تكذيب القرآن الكريم والدعوة ، ومن جملة ما قالوه : فهلا نزل على رجل عظيم

(١) - ينظر : علم المعاني : ١٠٧-١٠٨ .

(٢) - الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي ، تدفخر الدين قباوة ، ومحمد نديم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢م : ٣٨٢-٣٨٣ .

(٣) - ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، قيس إسماعيل الأوسي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٠م : ٥٠٥ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٥٨ .

(٥) - القائلين هم : زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، وعبد بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف ، والعاص بن وائل (التعريف والإعلام ٥٣) .

(٥) - ينظر: الطبري ٩: ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٨ : ٣٢٧ ، والوسيط : ١٢٠٣ .

(٦) - ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١١٥٥ ، والكشاف ٣ : ٥٨٨ .

(٧) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ : ٢٨٠ ، والتحرير والتنوير ١٥ : ٣٢٣ .

(٨) - ينظر : الميزان ١٣ : ٣١١ ، وروح المعاني ١٥ : ٢٧٩ .

من مكة أو الطائف كوليد بن المغيرة من أهل مكة ، أو على حبيب بن عمير الثقفي من الطائف وذكر ابن عاشور أن (لولا) " أصله حرف تحضيض استعمل هنا في معنى إبطال كونه رسول على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الملازمة ؛ لأنّ التحضيض على تحصيل ما هو مقطوع بانتفاء حصوله يستلزم الجزم بانتفائه " (١) ، هذه الآية فيها توجيه إلى جهل وضلال هؤلاء الذين يقصرون العظمة بالجاه والمال ، فالعظمة تكون بالأخلاق والأمانة ... وغير ذلك ، ويريدون هؤلاء أن يتدبروا أمر الرسالة والله هو من قسم معيشتهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢) ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ذكر الألوسي أنّ " مقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته " (٢) ف (ألا) جاءت للعرض فالصفح مقابل مغفرة من الله ، وفيه توجيه على أن لا تمنع النفقة على مستحقيها لذنب فعلوه (*) ، فبالصفح والعفو عن المسيء ، سيغفر الله ذنبك .

وعليه اتفق مع الرأي القائل بأن الخطاب القرآني خطاب توجيهي ، حتّى في التضامن فهو يكون مدخلاً للتبليغ والتوجيه " يراوح الخطاب القرآني بين استعمال التوجيه والملاطفة في كثير من خطاباته ولا يتسلل إلى نفس المرسل إليه اتهام المرسل بالضعف ، وإنّما يكون على يقين أن الملاطفة فيها تهدئة وطمأنينة للنفس فلا يحاول التمرد على توجيهات المرسل بل يزداد خضوعاً وانقياداً ، فهذه الميزة تفتقد إليها الخطابات البشرية " (٣) ، والله قد كرّم الإنسان وفضّله على سائر مخلوقاته ومن هنا تتأتى الأهمية الشرعية للتوجيه في الخطاب القرآني كونه محور الحياة الأساس ، وانعكس توجيهه بصور مختلفة مستعملاً الأمر ، والنهي المباشر ، والتحذير (٤) .

(١) - التحرير والتنوير ٢٥ : ١٩٩ .

(٢) - روح المعاني ١٨ : ١٢٥ .

(*) - نزلت الآية في أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان ينفق على مسطح وهو ابن خالته فلما خاض في الإفك حلف أبو بكر ألا ينفق عليه فلما نزلت الآية كفر عن يمينه وعاد إلى الإنفاق عليه .

(٣) - تداولية أدب الخطاب واستراتيجياته في سورة غافر ، هاجر أحمد المومني ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك - الأردن ، ٢٠١٥ م : ١٤٦ .

(٤) - ينظر : التوجيه التربوي في الخطاب القرآني لبني إسرائيل ، صلاح الدين إبراهيم حماد ، مجلة جامعة الأقصى - فلسطين ، مج ١٢ ، ع. ٢ ، ٢٠١١ م : ١٣٥ .

الفصل الثالث

الاستراتيجية التلميحية

- الاستراتيجية التلميحية .

وهي أن يكون معنى الكلام مخالفاً للفظه " وتحتاج إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد " ^(١)، فلا يتوصل إلى المعنى المراد إلا من خلال الاستدلال وإعمال الفكر فـ " لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد " ^(٢) .

فصيغة الأفعال الكلامية غير المباشرة ، والاستلزام الحواري لا تدل على ما تدل عليه بالمعنى الحرفي " يختلف المقصود عن المعنى الحرفي كما يحدث في الاستعارة ، والتشبيه ، والكناية لقولنا : رأيت بحراً ، وأنا أريد من قول هذا مدح الرجل ووصفه بالجد والكرم " ^(٣) ، وأشار الجرجاني إلى هذا المعنى في الاتساع في القول الذي لا يتوصل إليه باللفظ وحده وأطلق عليه (في اللفظ يطلق ولمراد به غير ظاهره) " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ، وردفه فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه مثل قولهم : " وكثير رماد القدر " ^(٤) .

وتطوّرت الدراسات العربية القديمة إلى التلميح والاستلزام بمصطلحات مختلفة فكما تناولها الجرجاني في الكناية والمجاز ، تناولها السكاكي (ت٦٢٦هـ) في مفتاح العلوم بضوابط خروج بعض الأفعال اللغوية عن معناها إلى معان أخرى مثل الاستفهام ، والأمر ، والنهي متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل ، تولّد منها ما ناسب المقام ، فلو قلت : (هل تهجو إلا نفسك) امتنع الاستفهام وتولّد منه بمعونة القرينة الإنكار والتوبيخ ، وأشار إلى الكناية بمسميات منها التلويح والتعريض ^(٥) . وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) جعلها في باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) ^(٦) . أما ابن جني (ت٣٩٢هـ) فتناولها في الخصائص تحت عنوان (باب في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأولى ، ما لم يدع داع إلى الترك والتحول فذهب في قول الشاعر: " (أهل رأونا بسفح القف ذي الأكمل) ألا ترى دخول همزة الاستفهام على هل ولو كانت على ما فيها من الاستفهام لم تلاق همزته لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد فخرج الاستفهام إلى الخبر " ^(٧) .

وخروج الكلام عن غرضه لإفادة معنى آخر ، يشبه الأفعال الكلامية غير المباشرة الذي لا يفهم إلا من خلال السياق والمقام لتحقيق غرض تداولي ليس كل الكلام له معنى حرفي ، فبعضه لا يمكن إدراكه بصورة مباشرة فيخرج إلى معنى آخر هو المقصود ، وهذا ما حاول سيرل معالجته في مقالاته .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٦٩ .

(٢) - المصدر نفسه : ٣٧٠ .

(٣) - مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني سورة الكهف نموذجاً ، خلوفي قدور ، اطروحة دكتوراه ، جامعة وهران - الجزائر ، ٢٠١٥م : ٤١ .

(٤) - دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، تعليق . محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ٦٦ .

(٥) - ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي ، تعليق . نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٨٣م ، ط٢ ، ١٩٨٧م : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤١١ .

(٦) - تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تعليق . إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان : ١٧٠ .

(٧) - الخصائص ، ابن جني ، تد . محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، ٢ : ٤٦ .

استطاع (سيرل) أن يستفاد من أفكار (غرايس) في تطوير نظريته والتي كانت حول ضرورة تمييز معنى آخر للكلمة عن المعنى الطبيعي ؛ ليكون أكثر صلة إثناء عملية التواصل فقد وجد غرايس إنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، وقد يقصدون خلاف ما يقولون فتحتاج إلى التأويل لفهم معناها ، فسعى من خلال (مبدأ التعاون) أن يشير إلى التعاون بين المتخاطبين وذلك من خلال أربعة مبادئ فرعية هي ^(١) :

- مبدأ الكيف : عدم قول ما لا تعلم كذبه ، ولا تقل ما ليس لك عليه بيّنة لإثباته .

- مبدأ الكم : جعل المساهمة في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة ، أو نقصان .

- مبدأ النوع : التكلم بإيجاز ، واحتراز اللبس ، والإيجاز والتنظيم في الكلام .

- المناسبة : أن يتعلق الكلام بالمناسبة بالموضوع .

فمن خلال هذه المبادئ يتحقق التعاون بين المتكلم والمخاطب. أمّا إذا لم تتحقق هذه المبادئ في الحوار فيتولّد الاستلزام فيكون المعنى مضمّر بالانتقال إلى معنى آخر ، وبعد مرحلة الاستلزام الحوارية عند غرايس عالج (سيرل) أفعال الكلام غير المباشرة ، وأبرز مثال على ذلك المثال المشهور : " هل يمكنك أن تتأولني الملح ؟ " ظاهرها استفهام ، ولكنّها تشير إلى معنى آخر هو الطلب بطريقة مؤدّبة ، فلاحظ (سيرل) أن من أهم البواعث إلى استخدام الأفعال غير المباشرة هو التأدّب في الحديث . ولحل إشكالية كيف يمكن للمتكلّم أن يقول شيئاً يصوغه في عبارة خاصة ويريد كذلك شيئاً آخر ؟ وكيف يمكن لمستمع أن يفهم ما لا يصرّح به المتكلّم ؟ وكيف ينتقل من المعنى الصريح إلى المعنى المراد ، حاول (سيرل) أن يحلّ إشكالية أن تعني شيء آخر غير الذي تقوله فاستعان بمبدأ التعاون الحوارية عند (غرايس) بين المتكلم والسامع وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع ، ثم بما أسماه استراتيجية الاستنتاج عند السامع التي تمكّنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر ^(٢) .

ولعل بعض الأصول المتشابهة للنظريتين جعلت بينهما علاقة فـ " هناك علاقة وثيقة بين نظرية (غرايس) في الاستلزام الحوارية ، ونظرية (سيرل) في الفعل غير مباشر ؛ وذلك لأنّ حساب (غرايس) للاستلزام الحوارية وتعريف (سيرل) للفعل غير المباشر أعمال متشابهة جداً . علاوة على ذلك قد رأينا أن (سيرل) في حديثه عن تقدير إنجاز ، والحاجة للوصول إلى معنى الفعل غير المباشر ، يشير إلى مبادئ التعاون الحوارية " ^(٣) .

وعليه فإنّ ما بينهما من شبه يكون في انزياح المعنى إلى آخر مقصود بلفظ مختلف أي المعاني المتولّدة من الخطاب التي لا يدل عليها اللفظ ، فالفعل غير المباشر يدل عليه السياق أما الاستلزام الحوارية فهو معنى مضمّر يؤوله المتلقي حسب المقام ، ولكنّهما لا يتفقان من جهة المقدمات والمداخل النظرية ، فالمشترك بينهما هو الخطاب والمعنى ولكنّهما تتناولان الكلام من زاوية

(١) - ينظر : التداولية اليوم : ٥٥ .

(٢) - ينظر : الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : ٥٩ .

(٣) - الخطاب الحائد : ٢٩٥-٢٦٠ .

مختلفة ، وعليه تم تعريف الأفعال غير المباشرة بأنها " علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة " ^(١) .

وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر سمّاه البعض بالاستراتيجية التلميحية ، وهي : " التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي ، لينجز أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه ، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق " ^(٢) ، فلا يحدث الفهم للمتلقي إلا بعوامل مساعدة أهمها دور المتلقي في التأويل بناء على المعرفة اللغوية المشتركة بين طرفي الخطاب ، وكفايته المعرفية في الكشف عن مقاصد المتكلم والمعاني الكامنة وراء خطابه ^(٣) ، وأنّ المعارف المشتركة يمكن من خلالها الكشف عن المقاصد " وافترض (سيرل) أن المتكلم يتواصل في الأفعال الكلامية غير المباشرة مع المتلقي بناء على خلفيات تواصلية مشتركة لغوية وغير لغوية وانطلاقاً من القدرات العامة الاستدلالية للمستمع " ^(٤) ؛ لأنّ نظرية أفعال الكلام لا تنظر للكلمة ودلالاتها بل تتجاوزها إلى القصد والغاية . الفعل غير المباشر يُنجز حين يستعمل بخلاف ما وضع له كاستعمال الجملة الاستفهامية لإنجاز الطلب ، وعليه سيكون محور تطبيقنا للأفعال غير المباشرة وفق تقسيم (سيرل) وسنقتصر على الطلبات ، والآليات البلاغية (التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض) مثلما درسها البلاغيون والمفسرون والتي تكافأ ما قصده (سيرل) كونها تُعد أفعال غير مباشرة إذا لم تجر بحسب مقتضى الظاهر .

تمخضت بعض النظريات إلى مبادئ تمت بصلة لهذه الاستراتيجية منها :

١- نظرية روبن لاكوف : التي تنص على مبدأ التأدّب بأنّه " نظام من العلاقات الشخصية المصممة لتسهيل التفاعل من طريق التقليل من احتمالات الصراع والمواجهة الكامنة في كل تفاعل إنساني " ^(٥) ، وصاغت قاعدتين جعلتهما أساس هذا المبدأ هما : كن واضحاً (Be clear) . كن مؤدّباً (Be polite) ، فدعت إلى استعمال لغة التأدّب من خلال اختيار استراتيجية تظهر مبدأ التعامل الأخلاقي في الخطاب .

ومبدأ التأدّب عند لاكوف مكوّن من ثلاث قواعد كبرى :

أولاً : قاعدة التعفّف — لا تفرض نفسك على المخاطب ، أي لتبق متحفظاً .

ثانياً : قاعدة التخيير — لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه .

ثالثاً : قاعدة التودّد — لتظهر الود للمخاطب ، أي كن صديقاً ^(٦) .

(١) - التداولية : ٩٢ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٧٠ .

(٣) - ينظر : المصدر نفسه : ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٤) - سياق الحال في الفعل الكلامي ، سامية بن يامنة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة وهران ، ٢٠١١م : ٣٠٩ .

(٥) - الخطاب الحائذ : ٢٨٦ .

(٦) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢- مبدأ الوجه .

أو (مبدأ التواجه) بمعناه اللغوي " مقابلة الوجه للوجه " ، أو مبدأ (لتصن وجه غيرك) تقوم هذه النظرية حول مفهوم الوجه ، أو القيمة الاجتماعية للذات أو للآخر ، وتم تقسيم الوجه وفق هذا المبدأ إلى ^(١) :

– الوجه الدافع ————— وهو رغبة الإنسان في ألا يعترض الآخرون على أفعاله .

– الوجه الجالب ————— وهو رغبة كل واحد في أن تكون إرادته محترمة على الأقل من بعضهم الآخر .

والوجه الدافع (السلبي) يمثل الاستقلال في أفعاله ، أما الإيجابي فيحاول أن يكون محبوباً من الآخرين ، وأن يعترف الآخر بأفعاله. فمدار هذه النظرية حفظ ماء الوجه للمتكلم والمخاطب.

وقد أشار (براون ولفنسون) إلى بعض الأقوال التي تهدد الوجه تهديداً ذاتياً ، وهذه الأقوال تجعل المستمع لا يعارض المتكلم ، " وهو تهديد مرتبط بالمسافات الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب ، ومرتبطة أيضاً بالمنزلة التي يحتلها المخاطب " ^(٢) ، ومن الأفعال التي تهدد وجه المخاطب (الجالب) : الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ ، والأفعال التي تهدد الوجه للمخاطب (السلبي) فهي : الشكر ، أو الوعد ، أو قبول الشكر . أما الأفعال التي تهدد وجه المتلقي الإيجابي فهي : الذم والسخرية ، ووجهه السلبي والنقد فهي الأفعال الطلبية الأمر ، والنصح والتذكير ، والإنذار ، والتحذير ... ^(٣) . إن هذا التهديد قد يبعد المخاطب لا يقربه وانتبه (ليتش) لهذا التقصير فاقترح مبدأ التأدب الأقصى .

٣- مبدأ التأدب الأقصى .

نجاح عملية التواصل لدى (ليتش) يكون من خلال مبدأ التعاون الذي اقترحه (غرايس) ، ومبادئ أخرى منها حسن الخلق ، والتأدب من خلال ، قوله : " ومفهوم التواصل يؤدي إلى مقارنة لغوية للتداولية بواسطتها يحاول المتكلم أن ينجز مقاصده وأغراضه ضمن قيود وضوابط تملئها عليه قواعد ومبادئ طلب طريقة اصابة السلوك التواصل ونجاحه ، وعلى هذا فليس مبدأ التعاون وحده عند جرايس هو الذي يقوم بهذا الدور ، بل هناك مبادئ أخرى ، مثل حسن الأدب والتخلق ومبدأ السخرية ، وهذه كلها تلعب مثل هذا الدور " ^(٤) .

(١) - اللسان والميزان: ٢١٥.

(٢) - التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٦م : ١١١.

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١٠٥-١٠٤

(٤) - مبادئ التداولية ، جيوفري ليتش ، ترجمة عبد القادر فيني ، إفريقيا الشرق ، ٢٠١٣م : ٦.

فهنا إقرار منه بأهمية مبدأ التعاون وجعله ركيزة من ركائز العملية التخاطبية ، فاقترح (ليتتش) مبدأ التأدب " لإقالة عثرة مبدأ التعاون " ^(١) ، وجعله الدكتور طه عبد الرحمن " مكملاً لمبدأ التعاون " ^(٢) .

فالتأدب عند (ليتتش) مكملاً لمبدأ التعاون ؛ لأنّ للتأدب دوراً في تأسيس علاقات ، وليس فقط تنظيمها ، ويورد مبدأه في صورتين ^(٣) :

- الأولى إيجابية ، وهي : أكثر من الكلام المؤدب .

- والثانية سلبية : قلل من الكلام غير المؤدب .

فهاتين الصورتين جعلهما (ليتتش) أساس صاغ عليه مبدأ التأدب .

وقواعد فن التأدب لدى ليتتش تنفرع إلى :

١- قاعدة اللباقة ، وصورتاها هما :

- قلل تكلفة الغير .

- أكثر ربح الغير .

٢- قاعدة السخاء ، وصورتاها هما :

- قلل ربح الذات .

- أكثر خسارة الذات .

٣- قاعدة الاستحسان ، وصورتاها هما :

- قلل من ذم الغير .

- أكثر من مدح الغير .

٤- قاعدة التواضع ، وصورتاها هما :

- قلل من مدح الذات .

- أكثر من ذم الذات .

٥- قاعدة الموافقة ، وصورتاها هما :

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١١٠ .

(٢) - اللسان والميزان : ٢٤٦ .

(٣) - المصدر نفسه : ٢٤٦ .

- قَلَّ الاختلاف بين الذات والغير .

- أَكْثَر من موافقة الذات مع الغير .

٦- قاعدة التجانس ، وصورتاهما هنا :

- قَلَّ الاختلاف بين الذات وبين الغير .

- أَكْثَر من موافقة الذات مع الغير .

٧- قاعدة التجانس ، وصورتاهما هما :

- قَلَّ كراهية الذات للغير .

- أَكْثَر انسجام الذات مع الغير ^(١) .

ومحاولة (ليتش) في جعل الكلام المؤدب بين الذات والآخر سمة غالبية في التواصل بين الناس ، والتقليل من الكلام غير المؤدب ، لتأسيس علاقات اجتماعية حسنة ، ودفع الحرج عن المستمع ؛ لأنَّ التأدب يفرض على المستمع أحياناً الرد بالمثل ، وتعزيز العلاقة بما يكتب لها الاستمرار ؛ لذا يعمد المرسل أحياناً إلى التخاطب بتعابير غير مباشرة ؛ للتقليل من خسارة الغير لذا جعل (ليتش) قاعدة اللباقة قاعدة رئيسية ، فكلاً ابتعد أو قلل المتكلم من الأمر والنهي كان كلامه أكثر تأدباً ، فمن هنا يكون دور الكلام ضمن نطاق التأدب له دور في حفظ نسيج المجتمع " ومن شأنه أن يحول دون النزاع بين طرفي الخطاب ، كما يؤكد على حضور التعاون بينهما " ^(٢) ، فـ (ليتش) يسعى إلى ترقية العلاقات الاجتماعية لتسمو وترتفع في خطاباتها من خلال مبدأ التأدب .

٤- مبدأ التصديق

أضاف الدكتور طه عبد الرحمن للتداولية مبدأ آخر بعد أن وقف على جوانب القصور في المبادئ السابقة ، فكان (مبدأ التصديق) محاولة لسد ثغرات تلك المبادئ ، ودعا فيه إلى مطابقة القول للفعل ، وتصديق العمل للكلام فصاغ قاعدة هامة جعلها من ركيزة مبدأه (لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك) ^(٣) .

وينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين :

- احدهما : نقل القول ➡ الجانب التبليغي .

- والثاني : تطبيق القول ➡ الجانب التهذيبي .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ١١٢ .

(٢) - المصدر نفسه : ١١٣ .

(٣) - اللسان والميزان : ٢٤٩ .

وتتفرع عن هذا المبدأ قاعدتان ، هما ^(١):

- قاعدة التواصل : وهي قواعد وجدها في كتاب (أدب الدين والدنيا) للماوردي (ت ٤٥٠ هـ) .

- قاعدة التعامل : وهي (قاعدة القصد ، وقاعدة الصدق ، وقاعدة الاخلاص) .

حاول في هذا المبدأ ربط القول بالعمل مع تجاوز جوانب قصور النظريات السابقة ؛ لأنه استطاع من خلال مبدأه وصل " المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي إضافة إلى التركيز على مضمون القول ، والهدف منه والخروج عن الدلالة الظاهرة للقول " ^(٢) . ومما تميّزت به قاعدة الصدق ممارسته في مستوياته الثلاث : الصدق في الخبر ، والصدق في العمل ، ومطابقة القول للفعّل .

مسوغات استعمال الاستراتيجية التلميحية ^(٣) .

١- التأدّب في الخطاب ومن سماته محاولة تجنب الوقوع فيما يسمى بالمحرمات اللغوية ، مثل ذكر بعض اجزاء الجسد ، او استعمال بعض الأفعال التي يستقبح المرسل ذكرها .

٢- إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين ، وإضفاء التفوق عليها .

٣- رغبة المرسل ، أحيانا في التملص ، والتهرب من مسؤولية الخطاب بجعل الخطاب يحتمل لأكثر من تأويل .

٤- استجابة للخوف .

٥- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه ، أو إحراجة لإنجاز فعل غير راغب في إنجازه .

٦- الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات ، والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه .

(١) - اللسان والميزان : ٢٤٩ .

(٢) - نقد الحدائث الغربية عند طه عبد الرحمن ، مصطفى العادل ، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ، العددان ٨-٩ ، ٢٠٢٠م : ٢٧ .

(٣) - ينظر استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٣٧١-٣٧٣ .

- الطلبات غير المباشرة .

١- الأمر : الفعل هنا ليس من باب طلب إنجاز فعل غير حاصل ، وإنما يسمى أمراً ، من باب استعمال صيغة الأمر " فإذا كان الطلب من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الرشد لا يكون أمراً حقيقة ، وإن كان ممن هو الأدنى ، أو النظير لا يكون أمراً كذلك " ^(١) . ومن أمثلة خروج الأمر عن مقتضى الظاهر ما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة:٥٥) ، هنا تلميح للتأدب في الطلب ، فالدعاء الذي جاء به نبي الله عيسى دعاء متيقن بقدره الله ، فادب الدعاء والسؤال قد تضمن لك الإجابة . أما في قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان:٢٥) حين قال أبو جهل : ما في مكة أعزّ مني ولا أكرم نزلت هذه الآية بما زعمه وهو على معنى الاستخفاف والإهانة والتنقيص ^(٢) ، خرج الأمر لغرض التهكم فالعزيز الكريم يصب فوق رأسه العذاب فيتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي ومن ثم امتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام وبهذه الاستراتيجية التلميحية أنجز بها أكثر مما ينجز بها المعنى الحرفي ، فيها تلميح بأن عذابه كان ؛ بسبب ظلمه لنفسه في الدنيا وادعائه العزة .

وتتولد معاني الالتماس حين يكون الطلب بين نظيرين كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ﴾ (القصص : ٢٥) ، ويأتي للتكذيب كما في قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (ال عمران : ٣٤) ، و للتعظيم نحو قوله: ﴿ تَبَيَّنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّآ نَرْكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:٥٥) " لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله " ^(٣) . وقوله : ﴿ يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف : ٣١) وهنا التوجيه مركب من (أمر ونهي) وقوته الإنجازية في الأمر غير المباشر للإباحة ، أو يكون للأمر قوة إنجازية للتأمل والتدبر ^(٤) نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٦) .

٢- النهي : يخرج النهي إلى معاني أخرى نستدل عليها من السياق والقرائن ومنها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى

(١) - صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، محمود توفيق ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٣م : ١٢ .

(٢) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١٣٦ .

(٣) - روح المعاني ١٢ : ٢٤٠ .

(٤) - ينظر : التحرير والتنوير ٣ : ٣٦ .

الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٨﴾ ، القوة الإنجازية غير المباشرة في النهي الذي غرضه (التحذير) من أن تكون الأحقاد سبباً في الاعتداء على الحقوق ^(١) . أو تكون قوته الإنجازية (للتنصيح والإرشاد) كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ (المائدة: ٥٩) .

أو (للتوبيخ) نحو قوله تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠) ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٣٣) . ومن الآيات التي تضمنت قوة إنجازية (الالتماس) حين خاطب هارون أخاه موسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: ٦١) ، والتأدب من أهم مسوغات الاستراتيجية التلميحية وهو ما سلكه هارون في خطابه . والنداء أفاد التذكّر ، وقد تأتي قوته الإنجازية (للتهديد) كما في قوله تعالى : ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَتَّىٰ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٢٥) ، جاء النهي هنا مؤكداً للترك وعدم الفعل .

٣- الاستفهام .

يرد الاستفهام غير الحقيقي في القرآن وتُفهم أغراضه من خلال السياق الوارد فيه بكثرة في آيات المكتى والمبنى والأعلام المبهمة ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٦) ، فالفعل في هذه الآية إنجازي وقوته الإنجازية في استفهام غير مباشر في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لغرض (التعجب) فالله عز وجل يخاطب نبيّه وخصّ بذكر الأشراف والرؤساء من بني اسرائيل متعجبا مما طلبوه من نبيهم ثم استفهام استفهام شك ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ ^(٢) ، وقد يكون (للتقرير) كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٣٣) . وكثيرا ما يخرج الاستفهام (للتوبيخ) نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

(١) - الأمثل ٣: ٤٤٧

(٢) - ينظر : معالم التنزيل ، البغوي ، تح. محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ ، ١ : ٢٩٦ .

بَأْفَوْهِمْ يَضْلَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٨﴾ (التوبة: ٣٨) ، (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) تمثلت قوته الإنجازية في الاستفهام غير المباشر الذي غرضه الدعاء والتوبيخ واستنارة العقول للتذكير ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: ٥٠) . أما ما كان غرضه (السخرية) فنحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ٥٠) في هذه الآية يُطلع الله رسوله على المنافقين الذين يُظهرون إيمانهم ، فيسمعون كلامه ولا يلقون بالأل له فحين ينتهي الرسول ويخرج أولي العلم يسألونهم ماذا قال على جهة الاستهزاء (١) ، ويأتي الاستفهام لـ (الإنكار) كما في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ٥٣) .

كثيرة هي المعاني البلاغية التي غرضها الاستفهام غير المباشر والتي تعددت بتعدد المسائل والقضايا التي ترد فيه " وبما إن الاستفهام خطاب توجيهي فقد تعددت معانيه التداولية ، إذ يؤدي دورا مهما في عملية التوجيه وتبليغ المقاصد ، فهو ذو وجهة تبليغية توجيهية " (٢) . وقد جعل القرآن الكريم من الاستفهام ركيزة في خطاب أهل الكتاب وكفار قريش ؛ لأن الإنكار، والتوبيخ والتقرير ، والسخرية فيها قوة إنجازية ومعنى يناسبهم (٣) .

- الاستراتيجية التلميحية بالآليات البلاغية -

١- التشبيه : قد يلجأ المرسل أحيانا إلى استعمال آلية التشبيه للتلميح إلى قصده (٤) ، وهو من الآليات البلاغية التي تلعب دوراً رئيساً في أغراض التواصل ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿يَتَأَخْتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٥٥) ، لمّح قوم مريم إلى عفتها وطهارتها ، من خلال تشبيه عبادتها بزهد وورع وعفة هارون الذي كان رجلاً صالحاً في بني اسرائيل (٥) ، والقصد من هذه الكنية تبیین بأن عبادة مريم فاقت من أهل زمانها النساء ، والرجال فلم يقولوا أظهر النساء وأيضاً بهذا التلميح عدل قومها عن إحراجها مراعاة لمشاعرها وهو أحد مسوغات الاستراتيجية التلميحية. وما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَلَتْ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ (النحل: ٥٦) جاء التشبيه هنا بالأداة (ك) ولم يتم التصريح عن وجه الشبه وهذا هو مدار التلميح " يبقى التشبيه تلميحاً مهماً ، ما لم يصرح المرسل بوجه الشبه فإذا صرّح بوجه الشبه ، فإنه ينتفي التلميح إلى التصريح ، فيحيل استراتيجية الخطاب إلى الاستراتيجية المباشرة " (٦) ، في الآية الأولى كانت صورة الرجل الصالح قابضة في

(١) - الكشف ٥ : ٥٢٣ .

(٢) - تداولية أدب الخطاب واستراتيجياته في سورة غافر : ١٥٦ .

(٣) - ينظر الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول : ١٨٨ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٠٩ .

(٥) - نظم الدرر ١٢ : ١٩١ .

(٦) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤١٠ .

أذهان جميع المتلقين فاستدلوا به لعفته وهو القصد من الخطاب . أما الثانية فكان التشبيه للدلالة على الحق باتيان الفساد بعد الإصلاح طوعاً ، والمرأة معروفة لديهم آنذاك فضرب الله بها المثل ؛ لأنّ مخيلتهم ستستوعب معنى الآية ليكون لها تأثيرٌ ووقعٌ في النفس ؛ لأنه عز وجل نهاهم في الآية التي سبقتها عن نقض الإيمان بقوله : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ (النحل: ٥٥) ^(١) ، فالقصد غير المباشر في الخطاب فيه نهى عن النقض وتأکید ، ووجوب الوفاء . وفي قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٢) التشبيه هنا حملاً على معناه أي كونوا كما كان الحواريون ^(٢) ، والتشبيه في هذه الآية كما ذكره ابن عاشور " والتشبيه بدعوة عيسى بن مريم للحواريين وجواب الحواريين تشبيه تمثيل " ^(٣) . فالمعنى غير المباشر في الخطاب التذكير بأحوال المخلصين وهم اصحاب عيسى مع قلة عددهم ، ولكنهم صبروا وجاهدوا وثبتوا على دينهم . وقد شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (ابراهيم: ٢٥) ، جاء تشبيه الكلمة الطيبة كشجرة طيبة ووجه الشبه الثبات والطيب ، فالغرض من التشبيه فكما أن الشجرة الطيبة تعطي ثمرًا طيباً ، فكذلك الكلمة الطيبة لها وقعٌ وأثرٌ طيبٌ تأنس به النفس . بخلاف الكلمة الخبيثة التي شبهها عز وجل بالشجرة الخبيثة فقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (ابراهيم: ٢٦) .

٢- الاستعارة .

هي من الآليات التي يلجأ إليها المتكلم إذا أراد التلميح كوسيلة للتعبير عن الأفكار والتواصل " وقد يستعمل المرسل الاستعارة وهو يريد التلميح إلى سمة معينة ، لا تتبادر إلى الذهن مباشرة ، إذ يفهم المرسل إليه صفة أخرى ، هي الصفة التي اشتهر بها المستعار منه " ^(٤) . ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النساء: ٩١) " استعار الضرب للسعي في قتال الاعداء والسبيل لدينه " ^(٥) ، فالمعنى غير المباشر هو أن لا يكن اسراعكم في السير للجهاد ، يذهب عنكم ورعكم وتثبتكم في الامور وخاصة القتل ^(٦) .

(١) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ : ٤١٨ - ٤١٩ .

(٢) - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٩ : ٥٣٣ .

(٣) - التحرير والتنوير ٢٨ : ١٩٩ .

(٤) - استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤١٠ .

(٥) - البحر المحيط ٣ : ٣٥١ .

(٦) - ينظر : مفاتيح الغيب ١١ : ٣ .

وفي قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٣١).

استبدال لفظ (ريشاً) بدل (الثياب) " استعير من ريش الطائر ؛ لأنه لباسه وزينته " (١). والمعنى غير المباشر في الخطاب إن كل شيء لا يمكن حصوله إلا من عند الله وإن إنزال النعم متجدد باق ، وهذه صورة جديدة مبتكرة تتضمن تشبيه غير صريح " والمجاز أفضل الأساليب لتأكيد المعنى وتقويته وإظهاره في صور فنية بديعة تبهر النفوس وتترك أثرا قويا بها " (٢)؛ لأنها تعمل على إعمال عقل المتلقي ، وإدراكه ، وخياله .

وجاء في قوله تعالى : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٣) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٤) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء : ٣٤-٣٥-٣٦) ذكر ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أنه استعار (الاولدية) ؛ لأن فيها خفاء وغموض يشابه المعنى الذي يطلبه الشاعر بالفكرة والروية والتي هي فيها خفاء أيضاً ، وعليه استعار الاولدية بدل الطرق والمسالك ؛ لأنها أليق وأشبه (٣). وما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ٤) (الأم) لفظ مستعار يراد به الاصل " لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول " (٤) .

لا يمكن فهم غرض الخطاب في الاستعارة إلا بقراءة تفهم من فحوى الخطاب ، والاستعارة ذات طابع تلمحي فالقرينة هي السبيل ليفهم المتلقي المعنى المقصود أي أن تكون الصورة متشاركة من خلال معلومات مسبقة لدى المرسل والمرسل إليه " فعلى المرسل أن يدقق في اختيار الاستعارة كوسيلة للتعبير عن الأفكار والتواصل مع المرسل إليه ويختار صورة استعارية يعرفها المرسل إليه ويستعملها فذلك يدرك مقاصد المرسل ويشاركه في التجربة والإحساس " (٥)

٣- الكناية .

عرّفها ابن الأثير " تقتضي الميل مع المعنى ، وترك اللفظ جانباً ، وقد يتجاذبها كل من الحقيقة والمجاز ، بحيث يجوز حملها على الوجهين معا " (١). ونلمس من هذا التعريف اهتمام الكناية بالمعنى بعيداً عن اللفظ ، أو نُحمل على معناها الظاهري كما أن الثقافة اللغوية لها الأثر في بلوغ قصد المتكلم . وردت الكناية في قوله تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة : ١٩٧) ، تأتي الكناية حيناً في القرآن لتؤدي معاني مهذبة

- (١) - الكشف ٢ : ٤٣٥ .
- (٢) - ثلاثية الدوائر البلاغية دراسة اسلوبية لشعر علي محمود المهندس ، حنان بنت عايض ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة طيبة - السعودية ، ٢٠٠٩م : ١٦٦ .
- (٣) - المثل السائر ، ابن الأثير ، تعليق. أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة - مصر ، ط ٢ ، ٢ : ٩٦ .
- (٤) - معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ : ٢٧٦ .
- (٥) - الاستعارة عند أحمد عبد المعطي حجازي (دراسة على ضوء الاستراتيجية التلميحية ، مرضية فيروزبور ، ع. ١ ، ٢٠١٩م : ١٥٨ .
- (٦) - المثل السائر ٣ : ٤٩ - ٥١ .

مؤدبةً تتجنب ما ينبو عن الأذن سماعه ، ففي هذه الآية كنى عن مباشرة النساء بـ (الرفث) وهو من آداب القرآن وهذا تلميح يستوجب أن يتوجه العبد ، ويتعلق بالله في أيام الحج دون سواه. حين تولى الله تقسيم الصدقات حصر مستحقها ، ومنهم (ابن السبيل) قال تعالى : ﴿وَعَاتَى أَلْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: ٢١٤) ، اتفق المفسرون على أن الله جعل الصدقة مشروطة لـ (ابن السبيل) على أن يكون سفره في غير معصية الله ، والمجتاز في بلد ليس بلده ، فالمبنى جاء كناية عن حاله.

وفي سورة المسد : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ جاء المبنى هنا للتحقير ؛ لأنه دعاء من الله على أبي لهب لا من الرسول إذ الله عز وجل تكفل بالرد ، فالمكنى هنا بين حاله فهي كناية عن الجهنمي الملازم لها ، فالكنية هنا تحمل على معناها الأصلي (فأبو لهب) مستعمل في الشخص المعين لينقل منه إلى أنه جهنمي فهو كناية عن الصفة بالواسطة ^(١) . أما قوله عز وجل (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فهي كناية عن النميمة أو البخل ^(٢) ، فالله جعل من التلميح بحال أبي لهب وزوجه أشد من التصريح فكانت هذه الكناية أبلغ وأشد في تحقيرهما وبيان مصيرهما.

قال عز وجل : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٨) وتقليب الكفين كناية عن الندم . وجاء أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٥) ذكر المفسرون ^(٣) إن عضّ اليدين كناية عن الندم والحسرة وهو حال الكافرين يوم القيامة ، وإن كانت الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط إلا أنها تشمل كل من يكفر ، ويعاند إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

- التعريض .

ذكر العلوي (٧٤٥هـ) أن التعريض " خلاف التصريح ، وليس يفهم من جهة اللفظ ، ولكنه مدلول عليه بالقرينة " ^(٤) . وعليه فهو من الأساليب التي نفهم معناها بحسب السياق والقرينة دون اللفظ ومن أمثلته في القرآن قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالظَّالِمُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء: ٦١) ، هذا الخطاب موجه إلى بني اسرائيل وفيه تجريح واسقاط لهم ولكنهم يسمعون النذير الغاضب من

(١) - روح المعاني ٣٠ : ٢٦١ .

(٢) - الأمل ٢٠ : ٥٣٦ .

(٣) - ينظر البحر المحيط ٦ : ٤٥٤ ، و تفسير القرآن العظيم : ١٣٥٧ ، و الميزان ١٥ : ٢٠٣ .

(٤) - الطراز ١ : ١٩١ - ١٩٥ .

هذا التعريض لا يبعثون عنه حملاً ولا يملكون ^(١) ، وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ﴾ (المائدة: ١٧) هذا السؤال موجه من الله تعالى إلى نبي الله عيسى في يوم القيامة لإقامة الحجة على الذين اتخذوه وأمه إلهين من دونه ، وخرج الاستفهام هنا إلى الإنكار ، ولم يكن عيسى هو المقصود ولكنه انصرف بالسؤال إلى عيسى دون من قالوا : إن المسيح ابن الله أو أحد الأقانيم الثلاثة إعرافاً من الله عنهم ، إهانة لهم من جهة ، وتبرئة عيسى من جهة أخرى ^(٢) .

(١) - ينظر التعريض في القرآن الكريم ، إبراهيم محمد عبد الله الخولي ، دار البصائر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ١١٣ .
(٢) - المصدر نفسه : ١٨٧ .

الاستلزام الحواري (المخصص) .

يلجأ المتكلم أحياناً إلى التعبير عن قصده بالمعنى الحرفي ، أو يكون مضمرأً " يستنتج أو يفهم من التلفظ بالجملة " (١) . فالمعاني التي لا تدل عليها ألفاظها تكون غايتها ومقاصدها أوسع ، ويؤولها المتلقي بحسب ما يقتضي المقام " أن عملية التخاطب لا تقتصر على معانيها ودلالاتها على ما تدل عليه الصيغة الصورية ، وإنما تحمل معاني لا تعد ولا تحصى " (٢) ، والمعنى المستلزم مستمد من (مبدأ التعاون) عند (غرايس) حين يخرق المتكلم قواعد التخاطب التي وضعها .

ومن أمثله ما جاء في آيات المبني قوله تعالى : ﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ ٱلْقَنَاطِ إِلَىٰ مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَٱمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ ۚ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُۥ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء : ١٧١) .

سياق الآية يتحدث بأن الإسلام جاء ليصحح عقيدة أهل الكتاب ، والنصارى ، والمشركين ، من غلو ، وتثليث ، وأساطير ، وترهات الجاهلية ، ليقرر وحدانية الله للبشر أجمعين ، وينقذها من كل اختلال ، وكل انحراف (٣) ، وبعد أن نهاهم ، لم يكتف بقصر الألوهية له عز وجل ، بل أن له ما في السموات والأرض ، وأن يكون التوكل عليه لا على غيره في كل الأمور ، وهذا ما تدل عليه الآية بمعناها الحرفي أما المعنى المستلزم فهو كل كلمة حق تصنع من الآخر عدواً لك إذا ما خالفت أهواءه ، فلا تجعل للحق بدلاً ، وإن كثرت أهل الباطل فسيكفيك الله رب السموات والأرض الذي بيده كل شيء ، فخرق قاعدة الكم ليستلزم معانٍ لا يكشف عنها الخطاب الملفوظ .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١) .

يتحدث سياق الآية عن غنائم معركة بدر حين أراد بعض المسلمين (*) أن يستفهموا عن أمرها ، فجاء الجواب بأنها لله والرسول أي أن حكمها لله يجعلها حيث شاء ، والرسول يقسمها بأمر الله ، ولم تكتف الآية بذكر هذا الجواب وحسب بل أمرهم الله بالتقوى ، وإصلاح نفوسهم ، وأن يطيعوا الله ورسوله ويرضوا بحكمهما (٤) . هذا المعنى هو ما تدل عليه ألفاظ الآية الكريمة أما المعنى المستلزم الذي تدعو إليه الآية هو جهاد النفس وجعل الله الإيمان رهينة جهادها أكثر من جهاد المسلمين في الحروب ، لذا خرق قاعدة الكم ليكشف عن معانٍ مضمرة لا تدل عليها الألفاظ .

(١) - الخطاب الحائد : ٢٦٦ .

(٢) - في قضايا الخطاب والتداولية : ٢٨٥ .

(٣) - ينظر : في ظلال القرآن ٢ : ٨١٦ .

(*) - سمي من السائلين سعيد بن أبي وقاص (التعريف والإعلام : ٦٤ هامش : ١) .

(٤) - ينظر مجمع البيان ٥ : ٣١٣ - ٣١٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٧).

السؤال هنا كان عن كم النفقة (*) وجاء الجواب مخالفاً لقاعدة الكيف فالله عز وجل لم يحدد كم النفقة أو يشير إليها في هذه الآية ، وإنما جعلها رهينة بقدرة المنفق واستطاعته (١) ، هذا بالمعنى الحرفي أما المعنى المستلزم من الخطاب ففيه رفع الحرج عمّن لا يملك المال للإنفاق ؛ لتطيب النفوس وتشعر بالرضا ، فلا يهتم في النفقة الكم والنوع ، بل الغاية من الإنفاق قضاء حوائج المحتاجين ؛ ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متكافلاً مهما كانت تلك المساعدة ، فالله لم يفرضها إلا لمن زادت عن حاجته ، واستطاع الإنفاق .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : ١٧) .

هذا السؤال ليس موجهاً لعيسى وإنما لأتباعه ممن ادّعوا الوهية عيسى ، وبأنه ابن الله ، وإعراضاً عنهم خاطب الله نبيه عيسى بسؤال انكاري إهانة لهم (٢) . وهذا التعريض في خطاب النصراني يحمل معنى مستلزماً مفاده بأن النصراني وغيرهم ممن يجعل الله شريكاً هم ليسوا أهلاً حتى للشهادة فمن ضلّ عن الحق ليس له إلا التقرّب والتوبيخ فهم ليسوا أهل عدل " وهناك آيات لا يرتبط فيها اللفظ بقصد المرسل ربطاً دلاليّاً . بل يستلزم المرسل إليه القصد من خلال توظيف السياق فقط . ويحدث هذا عند استعمال ما يسمّى بالتعريض والتلوّيح " (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ قُلِ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (المائدة : ١٨) .

زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله واحباؤه ، وقولهم هذا ليس صحيحاً فردّ عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واثبت لهم العكس ، ونقض اقوالهم ، أما المعنى المستلزم من الخطاب فمفاده أن كل إنسان مصيره الرجوع الى الله ، وسيلقى جزاء أعماله ويحاسب على ذنوبه إلا أن يشاء الله أن يغفر له ، وأن البشر كلهم سواء عند الله . فكل ما قاله اليهود والنصارى بأفضليتهم على العالمين أنكره الله عليهم .

(*) - سمي من السائلين (معاذ بن جبل وقيل عمرو بن الجموح) (التعريف والإعلام : ٢٨ هامش ٤) .

(١) - ينظر البحر المحيط ٢ : ١٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم : ٢٧٤ .

(٢) - ينظر التحرير والتنوير ٧ : ١١٣ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٤١ .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (يوسف: ٥٦) .

هذه الرؤيا كانت سببا لخروج نبي الله يوسف من السجن ، وكان ملك مصر (*) خائفا منها فدعا أشراف قومه فقصها عليهم ، وطلب منهم أن يفتوه في رؤياه هذه فقالوا له اضغات أحلام ، ولما سمع الناجي من السجن الذي كان مع نبي الله يوسف ، تذكره فقال للملك أنا أدلكم على من يعبره (١) ، والمعنى المستلزم من الآية بأن أمر الله غالب ولو بعد حين وكان هذا التأخير بعد عجز أشراف الملك عن التفسير إنما هو إعجاز لنبي الله يوسف ، والملك انتهك مبدأ الطريقة ؛ لأن الرؤيا لا تحدث فزعا وقلقا .

(*) - الملك هو ريان ابن الوليد بن عمرو بن اراشة من العمالقة (التعريف والإعلام : ٨١) .
(١) - ينظر : البحر المحيط ٥ : ٣١١ .

استراتيجية الإقناع .

توطئة :

تتأسس استراتيجية الإقناع على معيار هدف الخطاب ، ومن الأهداف التي يسعى إليها المرسل إقناع المتلقي بما يراه المرسل ، وذلك بإحداث تغيير في موقفه الفكري والعاطفي ، وتُعد من أبرز الاستراتيجيات التي يُعتمد عليها في توصيل الهدف ، وتحقيق الأهداف النفعية على الرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت حقول الخطاب ^(١) .

ويُعد الحجاج الوسيلة الأبرز من وسائل الإقناع ، وعدّه بعض الباحثين الغاية المثلى " ولمّا كانت الغاية المثلى من كل تواصل إنساني هي الدعوة إلى الإقناع أو بالأحرى الاقتناع بقضية ما ، أو بفعل ما ... فإنه يتضح أن التواصل محاجة تهدف إلى عقد علاقات اجتماعية جيدة وممتينة بين أفراد العشيرة اللغوية " ^(٢) .

ومن باب تسمية الجزء بإسم الكل يُطلق على استراتيجية الإقناع أحياناً باستراتيجية الحجاج ^(٣) ، أو من باب جعل الحجاج والإقناع مترادفين ، وتعتقد الباحثة أنّ هذا خلط في التسميات ؛ لأن للاستراتيجية أهداف يطمح المرسل إلى تحقيقها ، فالهدف من الحجاج القبول والإقناع ، فبوساطة الحجاج يحدث الإقناع الفكري للمتلقي " فالحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها ، وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع " ^(٤) ، فالإقناع هو القصد الذي يسعى إليه المرسل في الحجاج ، ويدركه المتلقي ذهنياً ، أما ما يكون باللغة الطبيعية ويدركه بها فهو ليس باستراتيجية ، بل أسلوب يسعى إليه المتكلم لتحقيق أهدافه ، وليس كل نص إقناعياً حجاجياً فقد يتمكن المتكلم من إقناع المتلقي من دون أي خطاب حجاجي ، وذلك متوقف على طبيعة تلقي الخطاب ، فقد يقتنع ويسلم بالمقدمات ، وقد يكون رافضاً فيتكئ المتكلم على الخطاب الحجاجي لإقناعه ^(٥) .

و الاستراتيجية هي طريقة أو مسلك ، والمسالك والطرق تحتاج إلى وسائل للوصول للغاية ، ويعد الحجاج من أبرز وسائل الإقناع ، يقول فوكو : " تستعمل كلمة استراتيجية ... للتدليل على إختبار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة ، والمقصود بذلك العقلانية المستخدمة لبلوغ الهدف " ^(٦) ، فالحجاج يستعمله المخاطب ليعضد موقفه لغاية الإقناع بكل ما يستطيع من حقائق وتمثّلات ورموز لغوية وغير ذلك لتقوية حجته ؛ فهذا تناولته الدراسات التداولية ؛ لأنّه يهتم بأركان العملية التخاطبية .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٤٤-٤٤٥ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب في رواية وفاة الرجل الميت لـ " سعيد بو طاجين " ، نبهة بن جدية ، مذكرة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة قاصدي مرباح - الجزائر ، ٢٠١٧م : ٦٩ .

(٣) - ينظر : استراتيجيات الخطاب التداولي في ألفية ابن مالك مقارنة اجرائية ، أشواق النجار ، كنوز المعرفة ، عمان - الأردن ، ٢٠٢١م ، و

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٥٦ .

(٥) - ينظر مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته ، عباس حشاني ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة - الجزائر ، ع.٩ ، ٢٠١٣م : ٢٧ .

(٦) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٥٥ .

الفصل الرابع

استراتيجية الإقناع

فجعل الحجاج والإقناع مترادفين هذا من الخلط ؛ لأنه كما ذكرنا الحجاج وسيلة يستعملها ويوجهها المتكلم في الخطاب الحجاجي متى يشاء ليصل إلى هدفه ، أما الإقناع فهو غاية يتم الوصول إليها بوسائل أهمها الحجاج ، والاستراتيجية هي التي تولد الخطاب عند تعيينها من قبل المخاطب^(١) فكل استراتيجية تسهم في تشكيل الخطاب ذاته ، فتكون صيغة تشكيل الخطاب على وفق السؤال التالي ، كيف أستطيع إنتاج الخطاب عبر استراتيجية مناسبة لتحقيق الهدف منه ؟ وهنا تكون للكفاءة اللغوية والتداولية لدى المتكلم الدور في إنتاج الخطاب^(٢) ، وعليه فالخطاب يتشكل بحسب الاستراتيجية المختارة ، فاختيار الخطاب وشحن الذهن لإبداع صور واضحة هي مرحلة لاحقة من مراحل إنتاج الخطاب ، فاختيار الخطاب الحجاجي يأتي حين يختار المخاطب استراتيجية الإقناع " إذ يظل هدف الحجاج هو الإقناع " ^(٣) .

والحجاج يظهر في الخطاب من خلال كلمات معجمية ، وروابط ، و بناء تركيبى فهو يعبر عنه باللغة الطبيعية . إن كل طرفين يتقاسمان الحوار حجاجياً لهما غاية واحدة وهي (الإقناع) ويختلفان في إيراد الحجج " الحجاج عموماً ملازم للفضاء الخلفي ، سواء أكان خلاف ظاهراً أم باطناً ، ويلجأ إليه المرسل بعدة آلية مثلى لحل الخلافات وتوحيد وجهات النظر ، أو على الأقل تقرّيهما " ^(٤) .

واستنتج الباحث حمدي منصور جودي من دراسته للحجاج عند العرب القدماء والمحدثين بأن مفهوم الحجاج عند القدماء هو وسيلة وآلية من وسائل الجدل ، أما المحدثون فكانت مساعيهم حول جعل الحجاج مبحثاً مستقلاً يدخل في تأسيس الخطاب بجعله بعداً عاماً واستراتيجياً فيكون ورائه قصداً ومنفعة^(٥) ، أي جعله أحد معايير تأسيس الخطاب وعليه تكتسي الاستراتيجية اسمها من هدف الخطاب .

فالحجاج نشاط عقلي يعبر عنه باللغة الطبيعية ، ويسعى من خلاله المتكلم و بحسب كفاءته اللغوية ، والتداولية لإثبات صحة ما لديه من حقائق ليتمكن من إقناع الآخر .

ووفق ما ذكرناه لا يمكننا تركيب مصطلح الاستراتيجية على الحجاج لأسباب منها :

- إن تأسيس هذه الاستراتيجية يكون معياره هدف الخطاب وليس الوسيلة ، والهدف (الإقناع) .
- إن مفهوم الاستراتيجية هو (الطرق) فلو تركّب مع الحجاج لأصبح (طرق الحجاج) وهنا سننتقل إلى معنى آخر خالٍ من أي أثر تداولي ، بخلاف (طرق الإقناع) التي تنقلنا إلى (الحجاج) بوصفه وسيلة من وسائل الوصول إلى الغاية .
- عندما نقول (حجاج) فهو وصف للخطاب ، وعليه يكون الخطاب حجاجياً ، غايته الإقناع .

(١) - ينظر استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٦٣ .

(٢) - ينظر المصدر نفسه : ٦٦ .

(٣) - البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، د. محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٥ م : ١٦ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٦١ .

(٥) - بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بكرة ٢٠١٦ م : ٧٨ .

ويعود سبب هذا التلازم بينهما ؛ لأن " قضية الإقناع لا تتحدد في ذاتها ، وإنما هي رهان يؤسس قاعدة الحجاج " ^(١) فبما أن غاية الإقناع لا تتحدد في ذاتها تعلقت بوسيلة الحجاج لتتحقق .

- مسوغات استراتيجية الإقناع ^(٢) .

يلجأ المتكلم لاستعمال استراتيجية الإقناع ، ويرجحها من دون غيرها ، لعدد من المسوغات منها :

- ١- إن تأثيرها في المرسل إليه أقوى ، ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى .
- ٢- تمايزها من الاستراتيجيات المتاحة الأخرى ، مثل الاستراتيجيات الإكراهية لغرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه من دون حصول الاندفاع الداخلي أو الاقتناع الذاتي .
- ٣- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج ، فالحجاج شرط في ذلك ؛ لأن من شروط التداول اللغوي شرط الاقتناعية .
- ٤- الرغبة في تحصيل الإقناع ، إذ هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب .
- ٥- إبداع السلطة ، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه ، ولكنها سلطة مقبولة عند المرسل إليه إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه .
- ٦- شمولية استراتيجية الإقناع ، إذ تمارس على جميع الأصعدة ، فيمارسها الحاكم ، والطفل ، والفلاح ، والمرأة كل ذلك بوعي منهم .
- ٧- ما تحققه من نتائج تربوية ، إذ تستعمل كثيراً في الدعوة ، كما فعل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مثلاً عند إقناع الأعرابي الذي طلب الرخصة لارتكاب الزنا ، وكما فعل غيره من الأنبياء عند محاجة اقوامهم من أجل إقناعهم بالدخول في الدين ، وليس الأمر مقتصر على ميدان الدعوة ، وإن كان من أهمها ، بل يتجاوز إلى التربية في ميادين أخرى ، مثل المدرسة والبيت .

وكثير من حجاج القرآن الكريم مبني على حقائق ، وقوة المنطق ؛ لأنه لا يمكن تغيير الأفكار ومقارعة الحجج إلا بقوة المنطق ومخاطبة العقل ، وكل الحجج كانت غايتها محاوراة العقول التي بها تحدث البصيرة ، فالقرآن يدعو الخلق ليتفكروا في خلقهم ، ثم ليجادلوا ، فكل من حاول أن يجادل في الله ، جاءه الرد الحق من الله لتسقط حججه ، ويقارع حججهم الواهية . ويسوق من البراهين والأدلة ما تدركه الأبصار فمثلاً حين حاج النمرود إبراهيم وقال أنا أحيي وأميت ، أتى بحقيقة كونية يطالعها كل يوم بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

(١) - عندما نتواصل بغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د. ط ،

٢٠٠٦م : ٢٢

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٤٥-٤٤٧ .

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾
(البقرة : ٥٨) فسقط كل ما كان لدى النمرود ، وغيره من المعاندين ممن يجحدون بآيات الله ، إلى يومنا هذا .

والحجاج في القرآن الكريم يختلف عن بعض الخطابات التي تحاول إقناع المتلقي بحجج زائفة وباطلة غايتها نفعية ؛ لأنّ حجاج القرآن الكريم مستمر إلى نهاية البشرية ، وهو خالٍ من النفعية ، فالنفع يعود على العباد . ومن حجج القرآن تكون بما يدرك بالعقل ، ويُشاهد بالعين فما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الواقعة ٥٨-٥٩) فمن جعل من النطفة خلقاً جديداً ؟ فلا جواب غير أن الله هو من خلق الخلق . فالله يريد من الناس أن يتفكروا بما حولهم ، ويشغلوا عقولهم بمن أوجد هذا الخلق لتكون لديهم قناعة ، من غير قسر ولا إكراه ؛ لأنه حين يقتنعوا يسلموا أمرهم بأن هذا الخلق العظيم لأبد من ورائه خالق أعظم . فالقرآن يسعى إلى أن يحدث مع الإقناع تأثيراً وأثراً مستقبلياً على المتلقي .

ومن المشاهد الحسية في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴾ (النبأ: ٥) فدعاهم لينظروا من حولهم ويتفكروا ، من بسط الأرض ، فبسطها آية على القدرة المطلقة لله عزّ وجل ، ولا يفترض من العقل المتدبر إلا أن يستدل على وجود الله .

- أصول الإقناع بالحجاج .

- عند (أرسطو) : تركز البلاغة القديمة على الحجاج وتعد محاولات (أرسطو) مرحلة التأسيس لربط الخطابة بالإقناع عندما تصدى للسفسطائيين بعد أن كانت الخطابة بما فيها من حجاج وجدل لإثبات الحقوق ، جعلها السفسطائيين مهاراتهم الحجاجية للكسب المادي وتحقيق النجاحات . أرسطو جعل من الخطابة سبيلاً للإقناع ، ورأى إن إقناع الآخرين شفاهةً ، أو كتابةً يقوم على ثلاثة أركان: (أولهما : أخلاق القائل - المرسل - وأن يكون موضع ثقة ، ويسمى (حجة الإيتوس) ، والثاني : تصيير المستمع في حالة نفسية - المرسل إليه - وتسمى (حجة الباتوس) ، والركن الثالث هو القول - اللغة - (حجة اللوجوس) فأرسطو جعل من الإقناع من أهم وظائف الخطابة مبتعد عن جدلية افلاطون ^(١) ، لذا عرّف الخطابة " فالريطورية - أي الخطابة - قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة " ^(٢) . وعليه إن البلاغة الارسطية تجلت بطابعها التداولي التواصلية ؛ لأنها اهتمت بالمتلقي فصنّفت بحسب المخاطبين لا بحسب الموضوعات إلى (قضائية - استشارية - محفلية) ^(٣) .

- عند العرب القدماء .

تجسدت استراتيجيات الإقناع في العصر الجاهلي ، في المنجزات الخطابية كالوصايا والمفاخرات والمجادلات والمنافرات القبليّة وغيرها . ثم بعد ذلك ظهرت في القرآن الكريم ، وأقوال الرسول ، وخطاباته . وبعدها ظهرت في علوم أصول الفقه وعلم الكلام والعلوم اللغوية ، ومثّل الجاحظ الوجهة الأولى في تناول استراتيجيات الإقناع في كتابه البيان والتبيين إذ أعطى للبلاغة وظيفة إقناعية . كما يعد خطاب المناظرة في التراث خطاباً إقناعياً ؛ لأنه يعتمد النظر العقلي والاستدلال المنطقي ^(٤) ، فالحجاج عندهم مرادف للجدل.

- الإقناع بالحجاج في دراسات المعاصرين .

- عند الغرب : اشتهر بيرلمان* وتيتيكا في الحجاج ، واستعمل مصطلح (البلاغة الجديدة) ، وكانت غاية كتابهما (الوجيز في الحجاج البلاغة الجديدة) " إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل ...، وتخليصه من صرامة الاستدلال ، فالحجاج عندهما معقولة وحرية...، كما يكون الحجاج حواراً من أجل الوصول إلى الاقتناع " ^(٥) ، فكانت القراءة الجديدة للبلاغة الأرسطية ، والنهج العلمي الجديد عندهما تتماشى وروح العصر ؛ لأنّ البلاغة الأرسطية

(١) - ينظر تاريخ نظريات الحجاج ، فيليب بروتون ، وجيل جوتيه ، تر . محمد صالح ، مركز النشر العلمي ، السعودية ، ط١ ، ٢٠١١م : ٣٣-٢٧ ، و بلاغة الخطاب التعليمي والحجائي ، أيمن أبو مصطفى ، دار النابغة ، طنطا ، ط١ ، ٢٠٢٠م : ١٣١ ، والحجاج عند أرسطو ، هشام الريفي ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، اشراف حمادي صمو ، كلية الآداب ، جامعة منوبة - تونس : ١١٤-١١٨ .

(٢) - الخطابة ، أرسطو طاليس ، تح عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ودار القلم ، بيروت - لبنان : ٩ .

(٣) - ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين ، الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٢١٠ .

(٤) - ينظر استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية : ٤٤٧-٤٤٩ ، و الحجاج في كتاب " المثل السائر " لابن الاثير ، نعيمة يعمرانن ، مذكرة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة مولود معمري - الجزائر ، ٢٠١٢م : ١٧-١٤ .

(*) - شايبم بيرلمان اكاديمي بلجيكي (١٩١٢م ، ١٩٨٤م) استاذ بجامعة بروكسل ، مؤسس (البلاغة الجديدة) ومن مؤلفاته (البلاغة والفلسفة ١٩٥٢م ، وحقل الحجاج ١٩٦٩م ، و الامبراطورية البلاغية ١٩٧٧م ، (موقع مؤمنون لا حدود - مقالات للكاتب بيرلمان)

(٥) - الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج - البلاغة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا ، عبد الله صوله ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : ٢٩٨ .

تحصر البلاغة في الإقناع ، فأسس بيرلمان نظريته على أساس الإقناع بوصفه وظيفة أساسية للبلاغة بعد أن استقرت على الصور والمحسّنات البديعية . أما ديكر و وانسكومبر في كتاب (الحجاج في اللغة) فالحجاج عندهما في اللغة هو (علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب) فالحجاج عندهما في بنية اللغة فهما لم يفصلا بين الدلالة والتداولية في الخطاب ، والمعيّار الذي تحتكم إليه الحجج عندهما هو السّلم الحجاجي ^(١) ، فتقوم نظريتهما على أن كل قول بمختلف غاياته هو حجاجي .

وهذه الدراسات لم تنتظر للحجاج كآلية رئيسة للإقناع ، بل وصفته آلية دلالية في المقام الأول ، أما بيرلمان وزميلته فجعلتا من الحجاج آلية رئيسة للإقناع ، فتمثلت غاية الحجاج عندهما بـ " جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء ، أو يزيد في درجة ذلك الازدعان . فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الازدعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب ، أو هو جعل ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهينين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة " ^(٢) .

- عند العرب : اختلف مفهوم الحجاج في دراسة المحدثين ، بسبب اختلاف الحقول المعرفية التي تناولته ، وتشعب مجالات استعماله ، ونتناول من هذه الدراسات ما جاء به كل من (طه عبد الرحمن ، ومحمد العمري) ، امتازت نظرة طه عبد الرحمن للحجاج بمفاهيم فلسفية إذ وضع نظرية الحجاج في كتاب (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) ووصفه قائلاً : " إن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج " ^(٣) .

وهذه النظرة الفلسفية للحجاج جعلت مفاهيم الحجاج عنده تقوم على اعتبارات عدّة ، فعلى اعتباره آلية للإقناع قال فيه : " هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها " ^(٤) . ومن المفهوم نفسه جعل اعتبار الترادف بين الكلام والخطاب والحجاج أظهر طه عبد الرحمن على أنها مسميات مختلفة لمسمى واحد . وإنّ الحجاج يدل على علاقة مجازية ينبني على علاقتين (العلاقة الاستعارية ، وقياس التمثيل) ، وعلى الحجاج فعالية تداولية جدلية ؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي هدفه الإقناع ، وعده أيضاً فعالية استدلالية خطابية ^(٥) . أما محمد العمري فأطلق على الحجاج تسمية (الخطاب الإقناعي) في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) واعتمد فيه على دراسة التراث واستقصاء البلاغة العربية قديمها ، وحديثها وعلاقتها بالفكر الأرسطي ، واستقصى في هذا الكتاب البلاغة من حيث الأصول والامتدادات ، لإعادة قراءتها قراءة جديدة . وأظهر دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية لا سيما في زمن الاهتمامات الكلامية فغدت الوسيلة الحجاجية البلاغية اللغوية التي تقارع الفرضيات المضادة ^(٦) .

(١) - ينظر الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته ، باسم خيرى ، دار صفاء ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٩م : ٣٩-٣٤ .

(٢) - انواع الحجاج ومقوماته من حجاج ارسطو الى البلاغة الجديدة ، جميل حدادي ، مطبعة Rive- المغرب ، ط١ ، ٢٠٢٠م : ١٠ .

(٣) - اللسان أو الميزان : ٢١٣ .

(٤) - المصدر نفسه : ٢٢٦ .

(٥) - ينظر الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن مقارنة أبستمولوجيا ، محمد حمودي ، مجلة حوليات التراث ، الجزائر ، ع. ١٢ ، ٢٠١٢م : ١٢٩- ١٣٠ .

(٦) - ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة : ٢٦١- ٢٦٣ .

- آليات الإقناع .

الإقناع هو " عملية مركّبة تقوم على إحداث الإنفعال الواعي والموجه على المتلقي من أجل حمله على التأمل والتدبر في الرأي أو الفكرة ، والتالي دفعه إلى تغيير أو تعديل أو بناء معرفة يقينية جديدة ، بالاعتماد على الآليات والوسائل التي تسهم في ذلك " ^(١). أي المتكلم غير مقتّد بوسائل محدّدة ، كما أنه يسخر ما يشاء من المعارف التي تسهم في بلوغه القصد ، وللمتلقي المثل في الاقتناع بدون كره أو إكراه ، بل يسعى المتكلم إلى إقناعه بالتأمل والتدبر . وعليه فالتكلم حين يختار هذه الاستراتيجية لا بد أن تكون له الكفاءة العالية التي تمكّنه من التواصل ، واتقان التخطيط الجيد لتحقيق هدف الإقناع .

والوسائل التي يستعملها المرسل لابد أن تكون ذات فاعلية وتأثير ؛ لأنّ الرسالة وصياغتها تزيد من نجاح الإقناع والتأثير ، وتغيير السلوك ، ويعد الحجاج هو الوسيلة الأبرز التي يستعمل المتكلم اللغة الطبيعية فيها ، لإحداث الإقناع الذي يعد أثراً مستقبلياً يتحقق بعد التلفظ بالخطاب ^(٢) ، وعليه يعد تعريف طه عبد الرحمن للحجاج من أوضح التعريفات لتناوله إياه بشكل شامل ، فيقول " وحدّه أنّه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي ؛ لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي ، وهو أيضاً جدلي ؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنات الهرميّة الضيقة " ^(٣) .

وللحجاج تقنيات تعمل على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج ، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق تقسم على ^(٤) :

- الأدوات اللغوية : مثل ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي ، والتركيب الشرطي ، والأفعال اللغوية ، والحجاج بالتبادل ، والوصف ، وتحصيل الحاصل .

- الآليات البلاغية : مثل تقسيم الكل إلى أجزائه ، والاستعارة ، البديع ، التمثيل .

- الآليات شبه المنطقية : ويجسدها السلم الحجاجي ، بأدواته وآلياته اللغوية ، ويندرج في ضمنه كثير منها ، مثل الروابط الحجاجية : (لكن ، حتى ، فضلاً عن ، ليس كذا فحسب ، أدوات التوكيد) ودرجات التوكيد ، والإحصاءات ، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية ، مثل التعدية بأفعل التفضيل ، والقياس وصيغ المبالغة .

(١) - استراتيجيات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة طه نموذجاً) ، عبد الحليم بن عيسى ، مجلة أبحاث ، جامعة وهران - الجزائر ، ع. ٣ ، ٢٠١٦ م : ١٠٠ .

(٢) - ينظر استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٥٧ .

(٣) - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٠ م : ٦٥ .

(٤) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٧٧ .

أولاً - الأدوات اللغوية .

١- ألفاظ التعليل : تُعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الإقناعي ، وبناء حججه فيه ، فيستعملها المرسل لتسويغ فعله أو تعليله بناءً على سؤال متلفظ به أو مفترض ، ومن ألفاظ التعليل (اللام ، والمفعول لأجله ، ولأن ، وكى ، وكلمة السبب والوصل السببي) (١) .

- اللام :

ومنها (لام التعليل) التي وردت بمسميات مختلفة فعند البصريين سميت بـ (لام العاقبة) ، وعند الكوفيين بـ (لام الصيرورة) (٢) ، وسميت أيضاً بـ (لام المأل) (٣) ، أما الزركشي فقد فرق بينهما (٤) . وما يهمننا هو معناها في الحجاج وإقناع المخاطب ؛ لأنها تأتي لتعليل الحدث سواء أكانت لام التعليل أم لام كي الناصبة ، أو اللام الجارة ، أو اللام الناصبة للفعل المضارع (٥) .

قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ أَبِي عَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (المائدة: ٣٨-٣٩) ، اللام في (لَتَقْتُلَنِي) أي لأجل قتلي وفي (لَأَقْتُلَنَّكَ) للتعليل . و(إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) جملة تعليلية (٦) .

تمثل هذه القصة جانبي الخير والشر ، والحق والباطل وصراعهما الأزلي . فقابيل يصرّ على قتل أخيه ، والآخر يصرّ على عدم القتل ؛ لأنه من المتقين ويخاف الله ، أي أن قابيل ليس من المتقين ولا يخاف الله . إن أسلوب هابيل وحواره الحجاجي الذي يؤكد فيه " الحجج والعلل التي تدفع عنه القتل ، وتعيد الأخ إلى رشده ، إلى جانب التلطف في الخطاب ، وتذكيره بالله ، أما القاتل فلن يظهر موقفه اثناء ذلك ، بل يبدو أنه ظل يستمع لمقالة أخيه دون أن تؤثر في نفسه " (٧) . والغاية من حوار هابيل إقناع أخيه أن سبب قبول قربانه ، وعدم بسط يده لقتله هو خوفه من الله . فالآية هنا تهتم بالأحداث التي تمثل الطبيعة البشرية . وورود الكنية بدل الأسماء تدل على أن الصراع باقٍ في بني آدم وليس مختصاً بهابيل وقابيل ولا مختصاً بزمان دون غيره فما قدمته اللام بتأزر مع الكنية من الحجج والعلل تبيّن أن من يؤمن بالله ويتقّيه ، ستكون نتيجته رضا الله عنه وقبول أعماله . ووردت لام التعليل في مواضع عدّة وكان لها دور في إيراد الحجج وبيان العلل ، والربط بين السبب والنتيجة .

(١) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨٧ .

(٢) - كتاب اللامات : ١١٩

(٣) - الجنى الداني : ١٦٠

(٤) - البرهان في علوم القرآن ٤ : ٣٤٦ .

(٥) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٧٩ .

(٦) - إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، دار الإرشاد ، حمص - سورية ، ط٣ ، ١٩٩٢ م .

: ٤٥٢ . وينظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، المحلى والسيوطي ، تصحيح . علي محمد الضباع ، دار الجيل ، بيروت ، د . ط ، د . ت ١ : ٢٦٢ .

(٧) - الدرس اللغوي في سورة المائدة دراسة نصية لسانية ، نسيبة خميس جاسم ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، عمان - الأردن ، ٢٠١٥ م : ٣٠٦ .

ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ۖ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (ال عمران : ٦١-٦٢) . فاللام في (ليحكم) للتعليل ؛ لما حاجج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل الكتاب (*) بكتابهم (التوراة) فرّوا وأعرضوا " تعجب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وأنهم اذا عضتكم الحجة فروا إلى الضجة وأعرضوا عن المحجة " (١) . وأن سبب التولي والاعراض قولهم أن النار لن تمسهم ، فهم يعرفون الحق ولكنهم يعرضون عنه ، حفاظاً على مصالحهم الدنيوية .

(اللام) أظهرت إن سبب الدعوة هو لفصل الحق من الباطل بين أهل الكتاب والنبى محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) و كانت النتيجة إعراض اليهود وادّعوا أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة . وعليه فإيهام الأسماء فيه تقوية لحجاج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودحض لحجاجهم ؛ لأن الآية فيها تعجب من حالهم بعدم تفقههم لكتابهم .

ومن أمثلتها كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُومَ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۖ﴾ (التوبة: ٥٣) ، اللام في قوله : ﴿لَأُمِّرَ اللَّهُ﴾ (للتعليل) أي أن سبب التأخير لأجل أمر من الله ، إما يعذبهم ، وإما يتوب عليهم (٢) (*). وعليه فاللام أسهمت في تبرير فعل الانتظار إلى حكم الله فهو عليم حكيم . و في سورة لقمان في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان : ٥) . علّت أن يختار البعض حديث الباطل على حديث الحق استحباباً منهم ، ليصدّوا عن دين الله وطاعته ، فالنتيجة ليس لهم إلاّ عذاب نار جهنم . جاء إيهام الأسماء في الآيتين للتنبيه على ما هو أهم من تعيين الاشخاص ؛ وهو التنبيه على الغاية من الخطاب ، فعليه كان للإيهام دور في الإقناع من خلال ترك ذكر الأسماء ؛ وبيان أسباب ونتائج الحدث .

وقد تأتي اللام بمعنى (كي) كما جاء في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَيْفَ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ﴾ (البقرة: ٢٦) ، اللام في (لنجعلك) هنا بمعنى (كي) أي كي نجعلك

(*) - هما النعمان بن عمرو والحارث بن زيد (التعريف والإعلام : ٣٢).

(١) - روح المعاني ٣ : ١١٠ .

(٢) - ينظر : التحرير والتنوير ١١ : ٢٨ . و ذكر ابن عاشور هؤلاء نفر ثلاثة ، هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وثلاثتهم تخلفوا عن غزوة تبوك ، ولم يكن تخلفهم نفاقاً ولا كراهية ولكنهم شغلوا عند خروج الجيش وهم يحسبون أنهم يلحقونه وانقضت الأيام وأيسوا من اللحاق .

(٣) - ينظر : تفسير الطبري ٤ : ٦١٤ .

حجة على من جهل قدرتي ^(١) فربط الحجج المتوالية بـ (اللام) ليتيقن ويزول تعجبه من قدرة الله . وجاءت في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٥) ، فالقرآن نزل بلغة العرب ؛ لأنه نزل فيهم ؛ ولأن كل نبي يبعث بلغة قومه ، فالقرآن نزل عربياً ؛ لأن الرسالة نزلت في أرضهم ولقومهم وكل من حولها شرقاً وغرباً ، وقال (لتنذر) لتعلق الدعوة باليهود والنصارى فبعد أن كانت للأقربين توسعت للعرب ثم لجميع الناس ، فـ(اللام) في الآية ربطت مجيء الوحي بلغة العرب لاختيارهم نقطة انطلاق الدعوة الى العالمية ، لأنه لو نزل منذ البداية لجميع الناس لروعي فيه جميع لغات الأمم ^(٢) .

- كي

تفيد السببية ، وتأتي لبيان العلة ، وتستعمل لبيان الغرض الحقيقي ، ولذلك فـ (اللام) أوسع استعمالاً منها ؛ لأن (اللام) تستعمل لبيان الغرض الحقيقي وغير الحقيقي ^(٣) . وعند النحاة تكون حرف جر فتفيد ما تفيد (لام التعليل) ، ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (طه: ٥٠) ، وفي قوله : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (القصص: ٢٣) إن سبب قرة عين أم موسى هو رجوع موسى إليها ، وهذه الأسباب ونتائجها تحققت بوعده من الله لأم موسى بقوله : ﴿ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٥٠) وعلل بقوله : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بـ (لام كي) " معناه الاطمئنان لا مجرد العلم ، ولو قال (كي) تعلم أن وعد الله حق) لكان المعنى أنها تجهل أن وعد الله حق ، وأنه رده إليها لتعلم هذا الامر " ^(٤) . فيقتنع المتلقي بأن رجوع موسى هو آية ليتحقق ما وعده الله لأم موسى ، وإن لم تكن أم موسى امرأة مؤمنة بتحقيق وعد ربها لها لما قذفت ابنها في البحر ، والحجاج في هذه الآية لكل من لا يؤمن بتحقيق وعد ربه من المؤمنين ولو بعد حين .

ووردت (كي) في قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٥) ، هذه الآية تتحدث عن حكم الفاء والذي يختلف عن غيره من الغنائم ، فإله قد جعله كله لله والرسول واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وجعل الرسول المتصرف الوحيد به ، وهذا التشريع جاء لتنظيم المجتمع الإسلامي اجتماعياً ، واقتصادياً ^(٥) ، وعملت (كي) هنا على تعليل التشريع ،

(١) - ينظر : تفسير الطبري ٤ : ٦١٤ .

(٢) - ينظر : تفسير الميزان ١٨ : ١٨ ، والتحرير والتنوير ٢٥ : ٣٦ .

(٣) - ينظر : معاني النحو ٣ : ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٤) - المصدر نفسه ٣ : ٣٠٩ .

(٥) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٥٢٤ .

وكان سائلاً يسأل : لماذا اختصت هذه الآية بهؤلاء فقط ؟ فكان الجواب ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ أي ان هذا الحكم - النتيجة - لأمر شرعه الله فكان ما بعدها علة لما قبلها . فالآية بينت الأسباب ونتائجها ؛ لكل من يحاول أن يحتاج عن سبب الحكم . وقد تكون (كي) حرف نصب بنفسها ، وليست حرف تعليل ، بل (لام التعليل) ، تكون هي الجارة ، ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الاحزاب: ٥٠) ، ذهب فاضل السامرائي على " أنها تعليلية على كل حال سواء أفردت أم سبقت باللام ، يدل على ذلك أنها لا تستعمل إلا في مقام التعليل " (١) . إن سبب إحلال الأزواج التي ذُكرت في آية سابقة من نفس السورة ، ولَمَنْ وَهَبَتْ نفسها هو لرفع الإثم في النكاح .

- مِنْ

هي حرف جر يأتي لمعاني عديدة منها التعليل (٢) كما في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة: ٣١) (مِنْ) هنا للتعليل وكثرة دخولها على كلمة (أجل) أحدث فيها معنى التعليل ، وهو أقوى من التعليل بمجرد اللام لذلك أختير ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴾ ليدل على الواقعة التي كانت سبباً في القتل واطهار مثالبه (٢) ، والمبنى هنا بيّن أن أول من تبع سنة قابيل بالقتل هم أبناء يعقوب حين أرادوا قتل يوسف ، ثم قوم موسى حين أرادوا قتل هارون .

- المفعول لأجله .

وهو " مفعول قلبي يذكر ؛ علة لحدث شاركه في الزمان والفاعل " (٣) . وهو من ألفاظ التعليل ؛ لأنه يبين سبب حدوث الفعل ، والتعليل في المفعول لأجله على ضربين (٤) :

الأول : يكون علة يراد تحصيلها ، أي إن العلة ليست موجودة في إثناء الفعل وإنما هي غاية مراده ، نحو (ضربت ابني تأديباً) أي لأجل التأديب . فالتأديب علة حاملة على الضرب ، وهي ليست موجودة في إثناء الضرب .

الثاني : أن تكون علة موجودة وهي كانت السبب في دفع الفاعل إلى الفعل ، وهي حاصلة لا يراد تحصيلها ، نحو (قعد جينا) فالجبن كان سبباً في القعود .

(١) - معاني النحو ٣ : ٣٠٤ .

(٢) - ينظر : شرح الكافية ٢ : ٧٩٦ .

(٣) - ينظر : التحرير والتنوير ٦ : ١٧٥ .

(٣) - جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، تح: اسماعيل العقباوي ، شركة القدس ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م : ٣٤ .

(٤) - معاني النحو ٢ : ١٩٨ .

فالمفعول لأجله يوضح سبب الفعل ، وعلّة حصوله ، ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارِا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٨٥) ، (حسدًا) مفعول لأجله . فالعلّة من كره أهل الكتاب للمسلمين ، ولا يودون لهم الهداية هو (الحسد) وقد كشفه القرآن للمسلمين ليعرفوا ؛ أنه السبب الكامن وراء جهودهم لرد المسلمين إلى الكفر ، فإيراد العلّة من الفعل ، وكشف الحقيقة هو لإقناع المتلقي بأن الحسد يكون لأصحاب الفضل والنعمة ، والله قد منّ على المسلمين بدين الإسلام وهو دين الحق ، وبسيد الأنبياء ، فعلى المسلمين الحذر من مكائدهم بدون مجابهة وعداوة .

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٠٩) (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول لأجله وقد عمل على بيان سبب خروج هؤلاء الألوف ليسلموا من الموت ^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (غافر: ٣٤) ، ف (هُدًى وَذِكْرَى) " نصبا على أنهما مفعول لأجله أي لأجل الهدى والذكرى " ^(٢) ، فالله أورث التوراة لبني اسرائيل معللاً بأنه من أجل الهداية وتذكرة لأصحاب العقول السليمة .

يعمل المفعول لأجله في الحجاج على الرد على ما يثار في نفوس المتلقين من تساؤلات ، أو شكوك ، أو جهل سبب الفعل ، فإقناع السامع المتردد هو الغاية الرئيسة للخطاب الحجاجي ؛ لذا كانت الألفاظ لها دور في تقوية علّة حدوث الفعل فقال (حذر) ولم يقل (خوف) ؛ " لأن الحذر يدفع الضرر ، والخوف لا يدفعه " ^(٣) .

ثانياً - الأفعال اللغوية .

للأفعال اللغوية علاقة بالحجاج ذكر الشهري أن (فان إيميرن وجروتندروست) يرى أنّ الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج ، وإذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب . كما لها دور في دعم القصد الحجاجي ، وقد تتبعا دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنّفها سيرل ، إذ وجدا أنّ بعضها ذو دور حجاجي ، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور ^(٤) . فعند التلفظ بفعلٍ ما ننجز فعلاً ، ومتى ما أحدث تغييراً في المتلقي سيكون هذا التأثير هو النتيجة للفعل المنجز ، وعليه أصبح للفعل الكلامي صلة بالحجاج بسبب الإقناع والتأثير .

(١) - أنوار التنزيل ومعالم التأويل : ٢٠٨ .

(٢) - إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨ : ٥٠٠ .

(٣) - الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، تح . محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة : ٢٤٠ .

(٤) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨١ - ٤٨٢ .

يوظف للفعل الكلامي وظائف تداولية ومنها الوظيفة الحجاجية بحسب قصد المتكلم ، فالقصد هو الذي يوجه المتكلم إلى توظيف ما يلزم السياق والهدف " ان الفعل الحجاجي هو نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي ، وهذا الفعل يحقق عملاً ويحول واقعاً وله قصدية وسياق " (١). ويمثل كل من الاستفهام والنفي حجج بعينها لتأثيرهما في موقف الخصم ، فهما من الأفعال التي تنجز فعلاً وتحدث تأثيراً .

١- الاستفهام .

الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً ، إذ يعتمد المتكلم إلى إشراك المخاطب في الخطاب ، فيشغل ذهنه ويجبره على الإجابة " لا سبيل له إلا أن يقر بما يريده المحاجج " (٢). كما إن طلب الإقرار من المخاطب " يحقق تكثيراً دلالياً " (٣) ، وقد أطلق عليه الاستفهام الحجاجي " وهذا النمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله ، انطلاقاً من قيمته الحجاجية " (٤) ، وعليه فالفعل الكلامي له صلة بالحجاج من خلال فاعليته الإنجازية ، ووظيفته التأثيرية الإقناعية .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۖ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۖ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٢-١٧٣) . أخرج عز وجل ذرية آدم من ظهره وأخذ عليهم الميثاق وكلمهم وانطقهم وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فقال الله ، وملائكته : شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم ؛ كيلا تقولوا يوم القيامة اانا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلبه ، أو إنه دلهم بخلق على توحيده وأشهدهم بأنفسهم على ذلك ، أو عنى جماعة من ذرية آدم اكمل عقولهم وقررهم فأقرؤا (٥). أو تقولوا اقتدينا بأبائنا ؛ " لأن التقليد عند قيام الدليل ، والتمكّن من العلم به لا يصح عذرا ، والمقصود من أيراد هذا الكلام إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم ، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ، ومنعهم من التقليد ، وحملهم على النظر والاستدلال كما قال : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ " (٦) .

تشير الآية إلى أن كل بني آدم شهدوا أن لا إله إلا الله ، ولا يعبدون سواه ، وشهد عليهم الله وملائكته . فالحجاج هنا على كل من غفل عن هذا الميثاق ، فالتوحيد أصل في الإنسان ، ولهذا بعث الله رسله لتذكير من غفل عما فطره الله عليه - التوحيد - فالاستفهام في ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

(١) - الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الامامة والسياسة" لابن قتيبة ، ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة لحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م / ٢٠١٠م : ١٤٤ .

(٢) - الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ، د.عايد جدوع ، مؤسسة وارث ، النجف - العراق ، ١٤١٨م : ٢٤١ .

(٣) - بنية الحجاج وآلياتها في سورة النبأ ، أمير فاضل سعد العبدلي ، مجلة أنساق ، كلية الآداب والعلوم ، قطر ، مج. ١، ع. ١، ٢٠١٧م : ٢٢١ .

(٤) - اللغة والخطاب - أبو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠م : ٥٦-٥٧ .

(٥) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠ : ٥٥٩-٥٦٥ ، ومجمع البيان ٤ : ٢٨٩-٢٩٠ .

(٦) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٨١-٥٨٢ .

تقريري والقصد من ورائه إقرار كل فرد من أفراد بني آدم بربوبية الله والمربوبية له ^(١)، والاستفهام هنا هو حجاج بعينه ؛ لأنه يبعث المتلقي في البحث عن إجابة فيصبح ملزماً عليها ، فان أقرّوا بربوبية الله لزمهم بخلاف ما يدعون فيقوي المتكلم حجته ، وتُهدم حجج الخصم ، وعليه فلا بد لهم من التسليم فالله لا يريد جواباً بل يريدهم أن يُقرّوا ، ويعترفوا ؛ فالكنية هنا عملت على تعزيز النص بشمول كل بني آدم بالإقرار والاعتراف بالفطرة بربوبية الله ، والكنية مع الاستفهام عملاً على تقوية الحجاج وتعظيمه ، وإبطال حججهم فخطابهم «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غُفْلِينَ» ، فالآية هنا تصوّر لنا كيف يكون رد الله عزّ وجلّ على كل من يحاججه يوم القيامة فيبين العلة لقطع الأعذار فيحاججهم بعد أن أقرّوا وشهدوا بربوبيته .

كما أفادت الهمزة التقرير في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَأْنَتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (المائدة : ١٧) ، الاستفهام هنا هو حجة على من جعل عيسى وأمه إلهين ، لتُهدم حججهم فالله حين استفهم وطلب الإقرار من عيسى ليبرئه من إدعاء النصارى ويكون بالمقابل تكديماً لهم فألزمهم الحجة بشهادة نبيهم ، كما أنّ الكنية بـ (ابْن مَرْيَم) فيها تأكيد بمعجزة ولادة عيسى من جهة ، وبيان عبوديته وأمه من جهة أخرى ، فتظافرت كل من الكنية والاستفهام التقريري على تأكيد معجزة ولادة عيسى ، وعبوديتهما لله ؛ لأن الموقف موقف حساب وجزاء فالله يحاججهم ، ويطلب إقرار نبيهم ، لمجازاتهم . ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح : ٥) ، وقوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل : ٥) .

ومن أمثله بغير الهمزة في قوله تعالى : ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ (البقرة : ٢٤٦) وذكر أبو حيان أن (كم الاستفهامية) في هذه الآية معناها التقرير ^(٢) فيريد إقرارهم ليلزمهم الحجة ، فهم على دراية على إنّ دين محمد هو دين الحق ، ولكنهم ينكرونه . وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (البقرة : ٢٤٦) أفاد الاستفهام بـ (هل) التقرير " أراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن " ^(٣).

وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الانسان : ٥) فالاستفهام هنا تقريري معناه التحقيق ؛ فمعنى (هل) في الآية الكريمة (قد) ^(٤) ، فالاستفهام في هذه الآيات عن حقائق ثابتة لا يمكن إنكارها ، فأراد الله به " إلزام المخاطب بالحجة ، وانتزاع الاعتراف منه بما يريده المتكلم " ^(٥) ، فالله خلق الإنسان بإرادته وقدرته من العدم من لا شيء ؛ ولأن السورة فيها دعوة إلى التدبّر والتفكّر ، بدأها بتذكير الإنسان بمن الذي جعلك شيئاً مذكوراً ؟ فعليك أيها الإنسان أن تلجأ إلى الله ، وتبتغي رضاه ، لا تجحد بنعمته ، وأنت تعلم بضعفك ^(٦).

(١) - ينظر : التحرير والتنوير ٩ : ١٦٦ .

(٢) - ينظر : البحر المحيط ٢ : ١٣٦ .

(٣) - الكشف ١ : ٤٧١ .

(٤) - ينظر : أنوار التنزيل ومعالم التأويل ٣ : ٤٧٦ ، البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط١ ، ١٩٨٥ م ، ط٢ ، ١٩٨٩ م ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ط٤ ، ١٩٩٧ م ، ١٩٣ : ١٩٣ .

(٥) - البلاغة فنونها وأفنانها : ١٩٣ .

(٦) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٧٧٧ .

٢- النفي .

وهو " من الأساليب الخبرية ؛ لأنه ينفي فحوى الخبر المثبت ، ويكون مباشراً أو غير مباشر حسب السياق الذي يرد فيه وحسب قصد المتكلم " ^(١)، وعليه فللنفي وظيفة حجاجية يقصدها المرسل لإقناع المتلقي " فهو عامل حجاجي يحقق به المتلفظ وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ الى النتيجة " ^(٢) . ونقض الفكرة وإنكارها بأسلوب النفي يجعل للنتائج قوة تأثيرية ^(٣) .

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَلَّمَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ ^(٤) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة : ٥٠ - ٥٣) في السياق الذي يكون فيه الخطاب من وإلى بني اسرائيل يذكر الله النبي عيسى بلقبه وكنيته ، أو اسمه وكنيته ، أو لقبه واسمه وكنيته ، ليدحض كل حججه ويهدمها ، فهو بتكنيته يدل على عبودية عيسى ، ومعجزة ولادته .

في هذه الآية إشارة إلى حالتين دأب بنو اسرائيل على التعامل بهما مع الأنبياء ، وهما (الكذب ، والقتل) ؛ وذلك لأن الرسل جاءوا بما يخالف أهواء بني اسرائيل ، فجاء النفي ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ ليبين العلة من القتل وتكذيب الرسل ، هو أن الرسالة مخالفة لأهواء بني اسرائيل ، فالحجاج بالنفي جاء لنتيجة مفادها أن كل ما جاء به الرسل هو " كبح الأنفس عن كثير من هواها الموقع لها الفساد عاجلا والخسران أجلا ... " ^(٦) ، فما عادت ألقابهم واسماؤهم تُسقط عنهم جرائمهم فالعالم لا يفيد علمه إذا خالف كتب الله واتباع هوى نفسه . وأنهم ظنوا أن الله لن يعذبهم على قتلهم وتكذيبهم للرسل بقوله : ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ فجاء الحجاج بالنفي ليبين نتيجة تقنع المتلقي بأن الجزاء والبلاء سينزل على بني اسرائيل ، وأن اعتقادهم بأنهم أبناء الله ، هو من أقولهم ^(٧) .

ثم تكلم على الفئة التي جعلت من عيسى رباً لها ، فالمسيح يشهد على نفسه ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ بأنه هو وهم على سواء لربوبية الله الواحد الأحد ، وإن من يشرك بالله فهو من الظالمين لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان : ٢٣) .

(١) - حوارات القرآن الكريم مقارنة تداولية ، مسعودة مرسل ، دار أفكار ، سورية ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٩ م : ٦٨ .

(٢) - العوامل الحجاجية في آيات الأعراف والتقاليد ، عبد علي حسن ، ورشا حسين عبد ، المجلة الاكاديمية للغة العربية وآدابها ، مج. ١ ، ع. ٢ ، ٢٠١٩ م : ٦٥ .

(٣) - ينظر : الحجاج في كلام الامام الحسين : ٢٤٣ .

(٤) - التحرير والتنوير ٦ : ٢٤٧ .

(٥) - ينظر : تفسير الفخر الرازي ١٢ : ٦١ .

فحين جاءت الآية تتحدث عن الشرك قال ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ فالنفي بالحجاج أبعد وأسقط كل حججهم بوجود إله غير الله لا بدليل عقلي ولا برهان من علم ، ونفى أن يكون هناك من ينصرهم من شركاء ، أو آلهة ، فالظلم وقع علّة لشركهم بالله .

وجاء النفي بـ (لم) أيضاً في قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٧) .

سياق الآية يتحدث عن وفد من بني أسد (*) ، دخلوا الإسلام في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير بصيرة ، ومنّوا على رسول الله بإسلامهم ، فأراد الله أن يبين لهم حقيقة الإيمان ، فحاججهم بالنفي ليفتنعوا بأن الإيمان يستشعره العبد في قلبه ، فتكون أعماله مصداقاً لإيمانه ، فالإيمان تصديق القلب بالله ورسوله بدون شك ولا ارتياب (١) . فنفي عنهم الإيمان ، وأثبت لهم قول الإسلام . ثم جاء بعد ذلك النفي بـ (لما) في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فالله عالم بما في قلوبهم ، فأراد أن تتطابق أقوالهم لما في قلوبهم . ليكونوا على بينة بأنهم لم يصلوا لمستوى الإيمان بعد ، كي لا تكون لهم الحجة على الله ورسوله ، بعد تبليغهم . وكان الله يريد أن يبين أنه يقبل تسليمهم لله كخطوة أولى ، ولكنه جعل للمؤمنين مقامات أعلى ، فلا يمتنون على الله ورسوله بإسلامهم .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿ (القيامة : ٣٥-٣٦) .

سياق السورة يتحدث عن يوم القيامة وسوء عاقبة المكذبين لما جاء به الرسل ، فبعد ذكر أحوال يوم القيامة في آيات سابقة ، فارتبط قوله : ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ بقوله : ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾ (٢) . فكان الحجاج بالنفي هو نتيجة تكذيبه بكتاب الله ، ولم يصل له صلاة ، وتولى عن الحق ، فكانت عاقبته الخسران بسبب تكذيبه بقلبه ، ولم يؤد فرائض الصلاة ، مع تبختره في مشيته ، فعلة الهلاك جاءت بسبب تكذيبه الحق ، فتوظيف النفي زاد من قوة تأثيره في المتلقي بسوء عاقبة المكذبين .

٣- الوصف : وهو من الأدوات اللغوية التي تسهم في تحقيق الإقناع في الحجاج ، ودحض الحجج ، ويشمل الصفة وإسم الفاعل وإسم المفعول .

١- الصفة : يوظف المتكلم في خطابه الحجاجي الصفات لإقناع المتلقي " فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع " (٣) .

(*) - التعريف والإعلام : ١٦١ هامش : ١

(١) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٣٤٧ .

(٢) - ينظر : لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي : ٢٠٨ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨٨ .

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ال عمران: ٥)، وصف الله بعض الآيات بصفتين (مُحْكَمَاتٌ ، و هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) والبعض الآخر بأنّها (مُتَشَبِهَاتٌ) . والمحكم هو الذي لا يختلف في معناه فهو بَيِّن واضح ، ولا يحتاج إلى تأويل ، أمّا المتشابه فهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطّعة ، أو هو ما يحتمل عدة معانٍ . أعطى الله للمحكمات وصف بأنّهنّ (أُمُّ الْكِتَابِ) للرد على نصارى نجران (*)، وإلزامهم بالحجة والرد على شبههم ، فمن أوصاف القرآن الكريم بأنّ مشتمل على آيات محكمة وأخر متشابهة ترجع إلى المحكمات وتبيّن بها ، فالآيات المحكمة التي وصفها بـ (أُمُّ الْكِتَابِ) معناها عناية بالرجوع الذي فيه انتشاء واشتقاق وتبعّض ، فكل المتشابهات يرجع مدلولها وتنفرع على المحكمات ، ولازمه كون المحكمات مبيّنة للمتشابهات فهي فروع من الأصل (١) . فالآية الكريمة فيها حجاج مع أهل الكتاب من جهة ، وتحذير المسلمين من جهة أخرى ببيان حقيقة سعي النصارى إلى استغلالهم لبعض النصوص التي تحتمل التأويل لتنشيط مذاهبهم . واستعمل الله - عزّ وجل - وصف (أُمُّ الْكِتَابِ) لإقناع المرسل إليه بأنّ آيات القرآن منها الأصل التي ترد إليها بعض الآيات التي تكون غامضة المعنى ، فأصحاب القلوب الزائغة يتبعون ما تشابه لإثارة الشبهات ليسوّغوا ضلالهم وشركهم ، أما الراسخون في العلم فيردون متشابهه إلى محكمه .

فالوصف بالكنية في هذه الآية قطع على نصارى نجران الحجة ، ودحض حجّتهم بحجة أقوى فقال: (أُمُّ) " لأنهن الأصل الذي يرجع إليه ويُعتمد عليه ؛ لأن المحكم أصل للتشابه يقدح به فيظهر مكنونه ويستثير دفينه " (٢) ، ثم عضد الحجاج بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فهنا رد تأويل الآيات المتشابهات إلى الله والذين لا يحملون الآيات ما لا تحتمل بحسب اغراضهم ، فهم يعرفون الحق ؛ لأنهم ثابتون إيماناً ومعرفة بالله ، فقال الراسخون ؛ لأنهم " يعلمون تأويل ما نصبت لهم عليه الدلائل ، ونحيت لهم إليه المذاهب من للتشابه قائلين أمانا به " (٣) .

كما اتخذت الصفة مع اللقب حجة أسهمت في إقناع المتلقي ، وهدمت حججه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرٌ أَبْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يَوْمُكُونَ﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

(*) - ان نصارى نجران قالوا للرسول (صلى الله عليه وآله سلم) (ألست تقول عن المسيح : انه كلمة الله وروحه ؟ يريدون ان يتخذوا من هذا التعبير أداة لتنشيط معتقداتهم عن عيسى أنه ليس من البشر ، انما هو روح الله ، فيتركون الآيات القاطعة المحكمة التي تقر وحدانية الله المطلقة ... فنزلت فيهم هذه الآية التي تكشف استغلالهم النصوص المجازية المصورة ، وترك النصوص التجريدية القاطعة . (في ظلال القرآن : ٣٦٩).

(١) - ينظر : الميزان ٣ : ٥١-٥٠ .

(٢) - حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، الشريف الرضي ، شرح . كاشف الغطاء ، دار الأضواء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ م : ٢ .

(٣) - المصدر نفسه : ١٢ .

دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ (التوبة: ٢٠-٢١).

ذهب الطبطباي إلى التفريق بين البتوتين (بتوة عزير ، وبتوة المسيح) فالأولى هي تشريفية ؛ لأنه من الأخبار الذين أحسنوا إلى اليهود بجمعه التوراة ، فأطاعوه من غير شرط أو قيد ، أما بتوة عيسى فهي حقيقية بحسب قولهم . فجعل الله من الطاعة المطلقة للأخبار والرهبان عبادة ، وبعد أن جمع بين العبادتين ؛ قصر العبادة بكلا معنيها عليه تعالى ، لذا قال ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) . فوصفوا عزير بـ (ابن الله) ، والمسيح بـ (ابن الله) على من قرأ بمنع تنوين عزير^(٢) .

فجاء الوصف في الآية الثانية حجاجاً على ما قالوه ورداً على ما زعموه ، فوصف الأرباب بأنهم (مَنْ دُونِ اللَّهِ) ، ووصف المسيح بأنه (ابْنُ مَرْيَمَ) ، وذكره بلقبه ردّاً على قولهم وتأكيد على أنه يقصد (المسيح ابن مريم) ؛ لأنّ عيسى لم يتفرد بهذا اللقب ، فاليهود لقبوا الكثيرين بهذا اللقب " واستعمال الألقاب من الصفات التي يمكن ان تجسد علامة على درجة الحجاج " ^(٣) ، فجاء باللقب والوصف بالكنية ليلزمهم الحجة ويدحض حججهم ، كما أنه استعمل مع الأخبار والرهبان (أرباباً) ولم يقل (آلهة) ، واستعمل لعبادته (إلهاً) " فَإِنَّ إِلَهَهُ هُوَ المعبود الذي من حقه أن يعبد " ^(٤) .

قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٣﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ (التكوير: ١١-١٣) . المراد بالرسول (جبريل) ووصفه عزّ وجل بهذا الآيات بست صفات ^(٥) :

- رسول : يدل على رسالته والقائه الوحي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .
- كريم : أي ذي كرامة وعزة عند الله .
- ذي قوة : أي ذي قدرة وشدة بالغة .
- عند ذي العرش مكين : أي صاحب مكانة .
- مطاع : أي مطاع عند الله فهناك ملائكة يأمرهم فيطيعونه .
- أمين : أي لا يخون فيما أمر به يبلغ ما حمله من الوحي والرسالة من غير أي تصرف فيه .

(١) - ينظر : الميزان ٩ : ٢٥٢-٢٥٣ .

(٢) - ينظر : إعراب القرآن وبيانه ٨٩ : ٤ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨٧ .

(٤) - الميزان ٩ : ٢٥٣ .

(٥) - المصدر نفسه ٢٠ : ٢١٨ .

تصدرت السورة المباركة بـ (إذا) الشرطية التي عملت على ربط الأحداث وتجسيدها في جمل متعاضدة ، ثم أثبت الأحداث بالقسم لتأكيدا في ذهن المتلقي المسلم وغير المسلم ، وبعدها جاء بأوصاف خصّها بـ (جبريل ، و النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذه الوصف الذي مدح به (جبريل) هو الحجاج بذاته على من يكذب بالرسالات والرسل ويثير التساؤلات حول صفات من يبلغ الرسالة للنبي الأكرم .

وصف الله جبريل على نحو ما ذكرناه ، ثم وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ ليدل على أن كل ما ذكره من أحداث في بداية السورة ، هي مشاهد غيبية منذرة بآمارات القيامة ، وليثبت ويؤكد هذه الحقيقة ، بدأ بوصف من يقوم بتنزيل كلام الله فكأنه يلزمهم الحجة بهذا الوصف فيبين أنه اختار أفضل ملائكة لغرض التنزيل ، ويتصف بكل هذه الصفات ، أما صاحبكم فأنتم على علم بصدقه وأمانته وحسن خلقه ، فالمبلغ هو الأفضل من بين الملائكة وهو مؤتمن على الوحي والرسالة وذو مكانة سامية عند الله تعالى ، والمبلغ هو أفضل الخلق أجمعين ، وأعظمهم ، فلا هو مجنون ، ولا قوله من الشياطين ^(١) . فهذه الصفات هي براهين الإقناع الإلهي للمنكرين الجاحدين . ثم عضد حجاجه بقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٧) لدحض وهدم كل حججهم وزعمهم بأن القرآن قول شاعر أو كاهن ، أو مجنون فقصر القرآن على الذكر لمن شاء الاستقامة .

ومن الصفات في سورة قريش ﴿ لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾

قوله عز وجل: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ نعنا (لرب) ^(٢) وجاء به لتذكير قريش بنعمه عليهم ومنها بركة بيته الذي هم بسببه منعمون ؛ فلولاً وجوده لما شبعوا بسبب تجارتهم وما كسبوا بها ، وما عرفوا الأمن والأمان . فجاءت الصفة لتمثل أداة الفعل الحجاجي ، فهم بسبب بيت الله يعيشون عيشاً رغيداً . وجاءت التكنية (رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) كناية عن موصوف هو " الله جل جلاله " وجاءت للتبكييت فيهم في بيت الله وهو صاحبه ، هم إن عرفوا بيت الله وقدسوه فالأولى أن يقدسوا صاحبه (جل وعلا) " ^(٣) ، وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنه قال (رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) " أراد أن يخص قريشاً بالكلام ويدعوهم إلى عبادته فربط ذلك بالبيت الذي هم حوله وكان أمنهم واطعامهم بسببه " ^(٤)

فجاء الأمر بالعبادة مقترناً بالنعن ؛ لأنهم لا يمكنهم إنكار هذه الحقيقة فحاججهم بها ليعترفوا بفضلها وبحقه عليهم ، ليعبدوه معترفين غير جاحدين بهذا الحق " ولما كان النعت يأتي " لينتج مقتضى مهماً جداً من الناحية الحجاجية . وذلك لعدم قدرة الخصم على دحضه ورفضه " ^(٥) .

(١) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٨٤٢ .

(٢) - إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٠ : ٥٩١ .

(٣) - سورة قريش تحليلية تفسيرية ، بركاوي جليب ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، ع. ١٩ ، مجلد ١ ، ٢٠١٥ م : ٣٦ .

(٤) - على طريق التفسير البياني ، د.فاضل صالح السامرائي ، نشر جامعة الشارقة ، الامارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٢ م : ١٠٤ .

(٥) - الحجاج في القرآن ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م : ٣٠٩ .

٢- إسم الفاعل .

هو " صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدل على معنى وقع من الموصوف بها ، أو قام به على وجه الحدوث لا الثبوت : ككاتب ومجتهد " (١) . أمّا وظيفته الحجاجية " فيدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوع إصدار الحكم الذي يريد ، لتتبنى عليه النتيجة التي يرومها " (٢) . وإسم الفاعل يدل على الثبوت تارة ، والتجدد تارة " فدلالته على الحدوث أو الديمومة بحسب السياق تساهم في إبراز موقف المتكلم ، والأثر الذي يريد أن يخلفه عند المتلقي " (٣) .

ومن أمثله ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة : ١١٠-١١٣) .

جاء هذا الكلام في شأن الحواريين عندما طلبوا مائدة من السماء لا صنع للآدميين فيها لتختص بهم عمن تقدمهم من الأمم ، فقال لهم نبي الله عيسى اتقوا غضب الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فالمعجزة لا يطلبها إلا غير المؤمن ، فكان جوابهم أنهم طلبوها لينالوا البركة ، ولتزداد قلوبهم إيماناً ، ويكونوا شهوداً على صدق المعجزات فقالوا : ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، فدعا عيسى ربه بأن ينزل الله عليهم مائدة من السماء لتكون عائدة فضل منك علينا ، وآية تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك ، ثم قال وارزقنا أي ارزقنا الشكر عليها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . (٣)

وصف الحواريون شهادتهم بإسم الفاعل ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فالشهادة ليست صفة ثابتة بل إذا شاهدوا نزول المائدة ازداد يقينهم ، فإسم الفاعل أدى وظيفته الحجاجية بمحاولتهم إقناع عيسى بأن طلبهم للمائدة كي تكون شهادة على صدق نبوته ويكونوا هم الشاهدين عند الذين لم يروها من قومهم ، لذا نادوه بـ ﴿يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ليبينوا أنهم على يقين بأنه عبداً من عباد الله ، وأنه مبعوث مرسل ، وسؤالهم كان لزيادة العلم واليقين لما تترتب على المشاهدة من آثار في النفس غير السمع فيزدادوا إيماناً بالله وبنبوته .

و نبي الله عيسى فاستعمل في دعائه ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ هناك بعض الصفات تُطلق على الله ، وأطلقها عز وجل على عباده ومنها الرزاق كما في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ولكن هناك فرق بين رزق الله ورزق العباد فرزق الله يكون لكماله وعظمته ورحمته ، فالرازقين متعددين ، ولكن الله أفضلهم " وهو عروج من الخلق إلى الخالق ومن غير الله إلى الله ومن الأخس إلى الأشرف " (٥) ، فأراد عيسى بهذا

(١) - جامع الدروس العربية ١ : ١٦٠ .

(٢) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨٨ .

(٣) - حوارات القرآن الكريم مقارنة تداولية : ٩٧ .

(٤) - ينظر : نظم الدرر ٦ : ٣٥٧-٣٥٨ .

(٥) - تفسير الفخر الرازي ١٢ : ١٤٠ .

الدعاء أن يلزمهم الحجة ، فهو اعتراف منه بأنه عبد ، وإن الله ربّه ، وهو لا يقدر على شيء إلا بإذن الله ، فيشهد من سمعوا أن عيسى دعا ربه ، فنزلت المائدة ببركة دعائه لا بألوهيته كما يدّعي البعض .

ومن أمثلته أيضاً في سورة الكافرون ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۚ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾

نزلت هذه السورة بعد أن طلبت مجموعة من كفار قريش (*) من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعبدوا الله سنة مقابل أن يشاركهم رسول الله عبادة آلهتهم سنة أيضاً ، فإن وجدوا خيراً في دينه تبعوه ، وإن وجد هو خيراً في دينهم تبعهم ، فنزلت هذه السورة فيئسوا منه (١).

وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الكافرين ، لا جميعهم ؛ لأنّ منهم من آمن ، بـ (الكافرون) وهو وصف بليغ إذ نسبهم إلى الكفر ويعلم بأن ذلك يغضبهم ، ثم رد عليهم بما يطابق طلبهم (٢):

- فقولهم تعبد آلهتنا فقال: (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) أي في الحال والمستقبل أنا لا أعبد آلهتكم .
- وقولهم ونعبد إلهك فقال: (وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ) أي وأنتم لا تعبدون إلهي في المستقبل .
- وقولهم ثم نعبد آلهتنا ونعبد إلهك فقال: (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) نفي عن نفسه عبادة آلهتهم في الحال والاستقبال .
- وقولهم ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلهك فنجري على هذا سنة وسنة فقال: (وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ).

وصف الرسول لهم بـ (الكافرون) له وظيفته الحجاجية " لأن دلالتها العامة من الناحية الاخبارية تقوم على قسمين : قسم منطوق وهو معنى الكلمة ، أي " جاحد النعمة " ، وقسم مقتضى هو أنه أنعم عليه " إذ توجد نعمة هي الرسالة الإسلامية ، فهي تهمة من جهة المنطوق حقيقة ومن جهة المقتضى " (٣) ، فهذا الوصف فيه إقناع للمتلقي بأنهم لن يؤمنوا كما قالوا ، وأنهم على باطل ، وثابتون على كفرهم . وقال (وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ) نفي إسم الفاعل ليخبر بأنهم غير فاعلين ذلك في المستقبل ، فكان لإسم الفاعل وظيفة حجاجية ؛ لأن الرسول تحدّاهم في هذه الآية فهو يعلم ما يخفونه ، بإنباء من الله فباستعمال اسم الفاعل يقتنع المتلقي بأن الكفر ملازم لهم ، فماتوا وهم كفار ، وهذا من دلائل نبوته (٤).

ونفي إيمانه بما يعبدون مرة أخرى ، ولكن بإسم الفاعل وليس بالفعل (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ) ليدل على ثبات موقفه من دينهم ، فيريد إقناعهم بأن التفاوض معه عقيم فهو لن يعبد آلهتهم لا

(*) - وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف . (التعريف والإعلام : ١٨٨)

(١) - ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢ : ٣٣٣

(٢) - ينظر : المصدر نفسه ٢٢ : ٥٣٦ .

(٣) - تبادل الضمان في سورة الكافرون ، الاء طارق ، وعائشة خضر ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، ع.٤ ، مج ١٧ ، ٢٠١٠م : ٨٤ .

(٤) - ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ : ٥٨١ - ٥٨٢ .

في السابق ولا في الحال ولا المستقبل ، فدحض حججهم بأنه لا يوجد إله معبود سوى الله عز وجل ، وهو ثابت على عبادته .

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف : ٥) . سياق هذه الآية يتحدث عن دين الرسالة السماوية بأنه دين واحد ، في كل الأزمنة ، والأمكنة فجميع الآيات تدعوا إلى عبادة إله واحد أحد ، وإن سبب بعثة الرسل والأنبياء يكون حين تزيغ القلوب وتتحرف عن الحق ، كما زغت قلوب قوم موسى وانحرفوا عن رسالته فضلّوا ، ولم يعودوا أمناء على دين الله في الأرض ، فبعث الله نبيه عيسى وهو امتداد لرسالة نبي الله موسى وممهداً للرسالة الأخيرة (١) .

ورد إسم الفاعل في قوله : (مُصَدِّقًا ، وَمُبَشِّرًا) وهذا وصف أطلقه عيسى على نفسه ، هو حجاج على من يفرق بين الأديان فكل الرسل قد خُط لها منهج إلهي واحد ، وما دورهم إلا الدعوة لعبادة رب العالمين من جهة ، وورودها في القرآن يبين أن الاسلام يصدّق بكل الأديان السابقة من جهة أخرى ، وهنا يلزم اليهود الحجة ؛ لأنهم كفروا بدين عيسى . فالوظيفة الحجاجية لاسمي الفاعل بينت أن رسالته - والرسول يبلغ ما يؤمر به - تقوم على مسارين الأول التصديق بالتوراة ، والثاني التبشير ببعثة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) " ويعود معنى كلامه : " إني رسول الله إليكم مصدقا " الخ ، إلى أنني رسول من الله إليكم ادعوا إلى شريعة التوراة ومنهاجها - ولأجل لكم بعض الذي حرّم عليكم - وهي شريعة سيكملها الله ببعث نبي يأتي من بعدي اسمه احمد " (٢) ، فكان هذا الانتقاء لاسمي الفاعل هو ملخص لدعوة نبي الله عيسى ، " ومن مظاهر حجاجية الوصف انتقائيته وإيجازه " (٣) . فكان القصد من تناول أسمى الفاعل في خطابه إقناع بني اسرائيل بأن ما جاء به هو ليس منه بل هو مأمور من الله بالتبليغ ، وأنه بلغ رسالته على أكمل وجه فيلزم الحجة على كل من ينكر الدين الإسلامي . كما أن كنية (ابن مريم) تدل على معجزة ولادته ، ونداء عيسى بـ (يا بني اسرائيل) تدل على أنه خاطب كل بني اسرائيل وليس فقط من آمن به ، كما أنهم من سلالة النبوة ، فهم يعلمون بأن الأديان تتلاقى في نقطة واحدة وهي عبادة الله الواحد الأحد ، ويعلمون دور الرسول في التبليغ . وعليه فالكتبتان قد تعاضدتا مع اسمي الفاعل لتقوية الحجاج ، والوصول إلى نتيجة ثابتة واحدة ، إنه كما أنا بُعثتُ متمماً ومكملاً لنبوة موسى ، سيأتي من بعدي رسول فاتبعوه .

٣- اسم المفعول .

" وهو كل ما دل على الحدث ومفعوله " (٤) مثل إسم الفاعل إلا أنه يدل على من وقع عليه الفعل " وهو من الاوصاف الحجاجية المستعملة " (٥) لإقناع المخاطب .

(١) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٥٤٩

(٢) - الميزان ١٩ : ٢٥٢ .

(٣) - الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقارنة سردية تداولية ، د. عادل بن علي الغامدي ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٦ م : ٣٠٨

(٤) - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٤٥

(٥) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٨٨ .

ومن أمثله قوله تعالى : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٥-٦) .

سياق سورة الفاتحة يتحدث عن كل معاني القرآن الكريم ، فكل معنى وهدف في القرآن نجده في سورة الفاتحة ، لهذا اتصف الخطاب فيها بالشمولية ، بأنه لا يوجد إلا رب واحد هو رب العالمين ، وهو الرحمن الرحيم ، ثم بدأ بالتذكير بيوم القيامة ، وأنه مالك هذا اليوم الذي تكون فيه الناس ثلاثة اصناف (أنعم عليهم ، ومغضوب عليهم ، وضالين)^(١) .

عند التأمل لهذه الأصناف نجد أنها وردت بصيغ مختلفة فعبر عن (اصحاب الصراط المستقيم) بصيغة الماضي ، و(المغضوب عليهم) بإسم المفعول ، و(الضالين) بإسم الفاعل ، فما الغاية من هذا الاختلاف ؟ إن هذا الاختلاف مرده إلى الوظائف الحجاجية التي يريد الله منها إقناع المقابل بهدف الخطاب الذي سنورده .

للدكتور فاضل السامرائي لمسة بيانية في تحليل هذه الآية فيقول : قوله (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) فذكر إنه عز وجل جعل النعمة بالفعل الماضي ليتعين زمانه فيشمل المنعمين من الأنبياء والصديقين والشهداء الذين ثبت إنعام الله عليهم ، وأنه عز وجل لو قال (المنعم عليهم) لشملت كل منعم من صديق أو سلطان أو أمير كما أن هؤلاء تختلف مقدار نعمهم بحسب تباين مستوياتهم ، فقوله عز وجل : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه تعظيم وتكريم ما ليس في (المنعم عليهم) . أما في قوله : ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فبناه للمفعول ليوسع الغضب ، ويعممه عليهم ، ليشمل كل غاضب ولا يتخصص بغاضب معين ، فيكون غضب الله ، وغضب الغاضبين لله ، فجعل كل من المغضوب عليهم ، والضالين إسماء ، للدلالة على الثبوت ، فوصف الغضب عليهم ثابتاً لا يزول ، والضلال أيضاً ، فلم يعينه بزمن ليصبح ملازماً لهم إلى يوم القيامة^(٢) .

ويتبين مما ذكر أعلاه بأن الله أراد من إسمي الفاعل والمفعول حجة ليقنع المتلقي ، بأن كل ما جاء في القرآن ، لا يخرج عما جاء به الرسل والأنبياء منذ بدء الخلق ، والنعم لا تخص دين محمد فهي تشمل كل من سبقه ممن آمن بالله ورسله ، ألا إن الإسلام هو ما جعله الله دين كل البشر فمن انحرف وضل ، فهو من الأشقياء ، ومن شهد الإسلام وأمن به فقد اهتدى إلى صراط مستقيم .

ومن أمثلة إسم المفعول قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (ال عمران : ٤٥) .

يتحدث سياق هذه الآية عن الإرادة المطلقة لله في خلقه ، وكان من إرادته خلق عيسى بدون أب من مريم ، فأصبح عيسى وأمه آية ، والله قد اصطفى مريم ، وأعدّها لهذه المعجزة بإرادته

(١) - ينظر : في ظلال القرآن ١ : ٢٦ .

(٢) - ينظر : لمسات بيانية : ٥٩ - ٦٣ .

المطلقة في عباده بقوله الحق على لسانها: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران : ٥٦) ^(١).

فبعد ان بُشرت مريم بالمسيح ، فصل الله في أوصاف عيسى ، وقدراته ، وحاله في الدنيا والآخرة ومن هذه الأوصاف قوله: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فجاء وصف (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) إسم مفعول ، لبيان حاله في الدنيا والآخرة ، ووظيفته حجاجية تتمثل بكون كل ما قيل في عيسى ، وفتنة الناس به هو بريء منها ، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿عَانتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة : ٥٦). وعليه فالله في قوله (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) " يعلمنا أن للمغالي جزاءه ولكن المغالي فيه تنجيه رحمة الغفار ، إن الحق يعلمنا إن فتنة بعض الناس بعيسى ابن مريم عليه السلام لا تؤثر في مكانة عيسى عليه السلام عند الحق " ^(٢) . فالدلالة واضحة على أن عيسى ثابت على إيمانه بالله ، ولم يدعي الإلهية ، فلو كان كذلك لما وصفه الله بأنه من المقربين ، فإسم المفعول حجة للناس ولإقناعهم بأن يوم الحساب ستوفي كل نفس ما كسبت وما عملت .

ساهمت الكنية في تعضيد هذا الحجاج وإقناع المتلقي ، فهي وصفت عيسى بأنه عبد الله ورسوله ، أمّا أمّه فهي حاملة لهذه البشارة ، وهما لا ينمازا عن عباد الله إلا بالتسليم والإيمان المطلق لله ، وكل ما حدث في ولادة عيسى هو من الله وكلمة منه وأن عيسى إن كان قد أدعى الربوبية لحاسبه الله وما قرّبه منه .

ثالثا - الآليات البلاغية .

١ - تقسيم الكل إلى أجزائه .

قد يسعى المرسل إلى تقوية حجاجه من خلال ذكر حجّته كلّيا في أول الأمر ، ثم يعود إلى تجزئتها ، فهذا التفنيد وتعداد الأجزاء ما هو إلا للحفاظ على القوة الحجاجية لحجّته ، وكل جزء بمثابة دليل على دعواه ^(٣).

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الاسراء : ٧٠)

سياق الآية يتحدث عن تكريم الله لبني آدم عن غيره من المخلوقات ، ومن هذه المواهب التي أعطاه الله ذاتا للإنسان ، وهي ثلاثة أقسام :

(١) - ينظر : تفسير الشعراوي ، الشعراوي ، اخبار اليوم : ١٤٦٤

(٢) - المصدر نفسه : ١٤٦٦-١٤٦٧ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٩٤ .

﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ﴾ وهذا من تكريمهم بوسائل النقل للحركة ، وجعلها أول نعمة ليبيين سلطة الإنسان على أجزاء الكرة الأرضية وليس على جزء منها ، ومن تكريمهم أيضاً ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبِ﴾ إن الله عز وجل أعطى للإنسان رزقاً واسعاً مناسباً لعظمته وجعل الرزق الطيب قوتاً للإنسان خلافاً للحيوانات التي تأكل القش والأكل النيء ، ومن التكريم أيضاً ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فضل الله الإنسان بالعقل لمعرفة الله ، وليستدل بعقله على قدرة الله ، ويعرف الثواب والجزاء ، وهذا يشمل كل الاستعداد والقوة المعنوية ^(١) .

ذكر الله في الآية تكريم بني آدم ، ثم بدء يعدد أجزاء هذا التكريم ، فمنه تكريم جسدي ، ومنه روحي ، ولكي لا تكون للخلق حجة على الله وليدحض ويهدم كل الحجج التي قد يحاول الإنسان أن يحاجج بها ربه يوم الجزاء ، بقلة رزقه ، أو قلة حيلته ، أو عدم إدراكه وجود الله وسقوطه في الكفر والشرك والكثير من الحجج ، فيذكر الله النعم على كل بني آدم ، ليلزمهم الحجة بعبادته ، وانهم خلُقوا مكرمين ، وأنه أغناه بهذه المواهب وكفاه مؤنة غيره ، فلا يبيعوا جوهرهم الثمين بثمن بخس . فمقتضى هذا التكريم أن يعبد الإنسان الله ، ويشكر تكريمه وتفضيله على غيره من الخلق . والتقسيم مع الكنية بـ (بني آدم) جعل الحجاج أقوى تأثيراً ، فالتكريم شمل الجنسين من الذكر والأنثى ، وشمل المؤمنين والكافرين فالله يريد لجميع عباده العيش بكرامة في الحياة الدنيا .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۖ وَفَلَكَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرونَ ۖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۖ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة : ٥٧-٦٠) .

بعد إن ذكر الله أن الناس ثلاثة أصناف هم (أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشئمة ، والسابقون السابقون) عدد ما أعده للصنف الأخير من نعيم ، بما تدركه حواس المخاطبين ، وبدأ بنعيم القرب من ربهم ، ثم عدد مناعم الجنة التي أعدت لهم ، وكل ذلك النعيم هو مكافأة على عمل كان في دار العمل ^(٢) . تقوم هذه الآية على الحجج التي تزيد من إيمان الذين آمنوا ليتسابقوا للتقرب إلى الله ، فصور مشاهد أعدّها الله لـ (السابقون) ^(*) لتشويقهم وليسلكوا كل السبل ليصلوا إلى هذه المرتبة ، ففيها حث وتنافس على فعل الخير ، وهذه النعم متفرقة تدل على ما ينتعم به السابقون ، وكان في تجزئتها تقوية للحجاج " إن الغاية الأساسية من استعمال حجة التقسيم هي " البرهنة على وجود المجموع ، ومن ثم تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم ، من خلال التصريح بوجود أجزائه " ^(٣) .

(١) - ينظر : البحر المحيط ٥٩ ، و نظم الدرر ١١ : ٤٦٧ ، و الامثل ٧ : ٣٤٩ - ٣٥١ .

(٢) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٤٦٤ .

(*) - السابقون محمد وأمه ، وأول سابق إلى باب الجنة محمد (صلى الله عليه وسلم) (التعريف والإعلام ١٦٤)

(٣) - حجاجية الشروح البلاغية وابعادها التداولية ، فضيلة قوتال ، كنوز المعرفة ، عمان - الاردن ، ط١ ، ٢٠١٧ م ، : ١٧ .

٢- الاستعارة .

ذكرنا في الفصل السابق أثر الاستعارة في تفعيل التواصل بين المرسل والمتلقي بشكل غير مباشر ، أما في العملية الحجاجية فتهدف " إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي " ^(١) وذلك من خلال جعل المستعار منه والمستعار له شيء واحد " فالاستعارة تكثير لدلالة الكلمة في أصلها الوضعي ، إلا أن أي جزء من جزئيات هذا التكرير لابد أن يكون مرتبطاً أو متصلاً بالأصل الوضعي بأكثر من رابط " ^(٢) . كما أنها توجز المعنى " فالاستعارة تتجاوز مع الإيجاز وهي تجسر الهوة في المصطلحات الحرفية ، وتزود أحياناً بالجمل المختصرة الملزمة للموضوع " ^(٣) .

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (النساء : ٥٩) . هذه الآية جاءت بعد أن أرشد الله عباده المؤمنين - في الآيات السابقة - إلى كثير من الأحكام والتكاليف ، فتعجب من حال أهل الكتاب - وهم اليهود - بعد أن أوتوا حظاً من الكتاب لو تمسكوا به لاهتدوا ، ولكنهم استبدلوا الضلالة بالهدى ، فنجد الاستعارة في قوله : (يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ) " والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله : (اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) " ^(٤) ، فوظيفة الاستعارة هنا هي وظيفة حجاجية لإقناع المتلقي ، فبهذا المشهد صور الله لرسوله حال أهل الكتاب الذين بدلوا الأعلى بالأدنى ، فعبر عنه بالشراء " لأن الشراء إنما يكون في ما يحبه مشتريه " ^(٥) ، فنتيجة هؤلاء - أهل الكتاب - أنهم ضالين ومضلين ، وهنا الله عز وجل يلزم الحجة على المؤمنين بتحذيره لهم ومن مكائدهم . فأنهم يسعون إلى أن يضلوكم أيها المؤمنون كما ضلوا . فجاء الإبهام في أسماء أهل الكتاب ليعضد الحجاج من خلال تحقيرهم ، ودحض حجج اليهود وإن الله يطلع نبيه على كل أفعالهم ليحذرهُ .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة : ٩٣) . جاءت هنا الكنية (بني اسرائيل) ، وإبهام أسماء (الاثنى عشر نقيباً) . فالكنية لإعلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن الغدر ونقض العهد هو صفة عند اليهود وأسلافهم قديماً فإن نقضوا العهد معه فهذا من صفات أوائلهم ، فانه يحذر الرسول منهم ليلزمه الحجة ، وفيها أيضاً حجاجاً على اليهود الذين اخذ الله موثقتهم أن يخلصوا لله ولا يعبدوا غيره ، ولكنهم نقضوها وكان قد جعل شهوداً عليهم اثني عشر كفيلاً كفلوا عليهم بالوفاء ^(٦) . وأبهمت أسمائهم ؛ لأنه لا فائدة من تعيينهم ؛ لأن موضوع الآية حول

(١) - حوارات القرآن الكريم : ٢١٤ .

(٢) - مقومات عمود الشعر الاسلوبية في النظرية والتطبيق ، رحمن غرکان ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤م : ٢٢٩

(٣) - الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس ، الاهلية ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٩٩٧م : ١٣٥-١٣٦ .

(٤) - الكشف ١ : ٢٥٨

(٥) - الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣١٨

(٦) - ينظر : الامثل : ٥٩٥-٥٩٦

غدر اليهود حين أخذ الله منهم موثقا بالصلاة والزكاة والإيمان بالرسول مع توثيقه بالشهود إلا أنهم نقضوه . التعبير القرآني استعمل الاستعارة (قرضا) للتعبير عن عبادة مع الله ، وهي النفقة الطيبة في سبيل الله دون من أو رياء ، فالوظيفة الحجاجية للاستعارة في هذه الآية وفي آيات أخرى ورد فيها لفظ (القرض) منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة : ٢٤٥) وقوله : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد : ٢٥) وقوله : ﴿ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ٢٧) وقوله : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المزمل : ٢٥) هي لحمل المتلقي على الإذعان والإقناع للحكمة الإلهية ، وإفحام المتلقي بحجج عقلية يمكنه إدراكها ، وبأن كل ما ينفقه في سبيل الله سيعوده الله عليه ، وكانت الاستعارة بمثابة وعد من الله بالجزاء والثواب وبذلك تكون " الحجة الناجمة عن التشبيه والاستعارة تحديدا تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل درجة أعلى إقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسد مسده " (١)

٣- التمثيل .

هو ضرب من المجاز عند عبد القاهر الجرجاني ، إذ يقول " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من اقاصي الافئدة صباغة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا " (٢) ، ثم تحدث عن دوره في الحجاج قائلا : " وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر " (٣) وبحسب كلام الجرجاني فإن للتمثيل تأثيراً على المتلقي بما يحقق الإقناع لديه " فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر " (٤) . ويستعمل المتكلم التمثيل " للمرور إلى واقع جديد ، واقع يؤسسه ويفرضه لإثبات وجهة نظر أو تدعيم قول أو نفي آخر ، فهو استدلال يتأسس على تشابه علاقة بين بنى متشابهة من عوالم مختلفة ، إذ إنه استدراج للمخاطب لتوريطه في اثبات نتيجة مقررة سلفا ، ويكون ذلك باستثارة مخيلته " (٥) .

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٥٣) . سياق الآية يتحدث عن وقت الحج في أشهر معلومات من بين شهور السنة وهي (شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة) (٦) ، ثم أوجب الإحرام ، وعلى من أحرم بالحج أن يتجنب الجماع ، والمعاصي ، والمجادلة ، ثم بيّن إن الله سيجزيهم يوم القيامة ،

(١) - البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج ، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) : ٤٣ .

(٢) - اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، محمود محمد شاكر ، دار المنى ، جدة : ١١٥ .

(٣) - المرجع نفسه : ١١٥ .

(٤) - الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الاردن ، ط٢ ، ٢٠١١م : ٢٥٢ .

(٥) - الحجاج في قصص الأمثال القديمة : ١٩٨ .

(٦) - رجب حرّمته مضر لأنه شهر العمرة (التحرير والتنوير ٢ : ٢٣١) .

إذا انتهوا عن إتيان القبيح . ثم أمرهم بالتزود ، ولما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا ، أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى ^(١) ؛ ولأن هذه الأشهر كانت معلومة عند العرب لم يعينها بأسمائها .

هذه الصورة في قوله تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) هي تمثيل تمدنا بمعنى جديد من واقع محسوس إلى غير محسوس " وهنا تأتي وظيفة المجاز الذي يصور لنا ما لم نره من أشياء مادية أو معنوية ، في صورة تكون من إدراكنا وفهمنا " ^(٢) ، فزاد السفر يمكن لأي شخص يفهمه ، وجعله خير الزاد أي أنه يحذرنا مما يضرنا من الزاد " إن عمق هذه الصورة يتمثل في انتخاب (الزاد) أو (الطعام) وجعله (تمثيلاً) أو تجسيدا لـ (التقوى) تحمل دلالة عميقة كل العمق ، حين تضع في اعتبارك أن الزاد ما دام يمثل أهم حاجة حيوية تتوقف عليها استمرارية حياة الإنسان ، حينئذ فإن استحداث علاقة بينه وبين أهم سلوك عبادي مطلوب من الانسان ، فربط أهم حاجة بدنية بأهم حاجة عبادية " ^(٣) ، وعليه فللتمثيل وظيفة حاجية من خلال عقد الصلة بين الصورتين ليقنع المتلقي بأنه على سفر وانتقال من هذه الدنيا الفانية ، فكما تتأهب لسفرك بالزاد ، فهناك سفر تأهب له بالتقوى والعمل الصالح ، وختم الآية بـ (أولي الألباب) لتأكيد أمر التقوى ؛ لأن ما تحدث عنه لا تدركه إلا العقول السليمة .

ومن التمثيل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الانعام :

(٣٣).

سياق الآية يتحدث عن وصف حال المشركين ، ووصف حُسن حال المسلمين الذين اهتدوا إلى الإسلام وفارقوا الشرك ^(٤) ، فجمع بين صورتين وجاء بتمثيلين وقارن بينهما ونفى مساواتهما ^(٥) . وجاء التعبير القرآني بالتمثيل في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ ﴾ " فإن عبارة (جعلنا) تحول دلالة (النور) من كونه رمزاً إلى كونه تمثيلاً لأنها حددت بوضوح بأن النور هو عملية تجسيد شيء آخر " ^(٦) . وفي هذا المجاز التمثيلي حجاج للمؤمن والكافر ، فالمؤمن قد أنعم و من الله عليه بالهداية وجعل له نوراً في روحه ، وقلبه ، وعمله وحتى في ذريته ، فغاية الحجاج التشويق والحث على التدبر في آيات الله من خلال وصف المؤمن بهذا الوصف ، فهو غير الكافر الذي هو في ظلمات لا يبصر ولا يسمع فالظلام والكفر غطى قلبه وعقله ، فمثل للإسلام بالنور ، وللکفر بالظلمات " ويعود الفضل للتشبيه التمثيلي في تجسيد الفكرة باستعمال المعقولات الحسية التي تبرز مواضع المفاهيم مع بعضها بين الصورتين ، واعتمادا على موضوع أكثر شهرة واستعمالا ، يضمن الفهم والاقتناع لدى القارئ " ^(٦) .

(١) - ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٥٦ .

(٢) - الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية ، عطية سليمان أحمد ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٤م : ١٢٩ .

(٣) - دراسات فنية في صور القرآن ، د.محمود البستاني ، مؤسسة الطبع ، الاستانة الرضوية - مشهد ، ط ١ : ٤٦ .

(٤) - هو عمار بن ياسر وقيل في عمر بن الخطاب ، وقوله تعالى (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) هو أبو جهل (التعريف والإعلام : ٥٦) .

(٥) - التحرير والتنوير ٨ : ٤٣ .

(٥) - دراسات فنية في صور القرآن : ١٨٢ .

(٦) - حاجية الشروح البلاغية : ٣٨٧ .

وعليه فيكون للتمثيل دورٌ إقناعيٌّ من خلال الصورة التي يكوّنها في ذهن المتلقي ، والتي تسهم في إقناعه من خلال تصوّره الأحداث وفهمه للنتائج مع التأثير بهذه النتائج التي تلقّاها حين أدرك معنى الصورة ، فتسليط الضوء على العلاقة بين شيئين ، قد لا يفهمه المتلقي باللغة وحدها ، فيكون التوضيح للخطاب الحجاجي بالتمثيل لاستثارة فكره وخياله " ويدفع المتلقي إلى المشاركة في تخمين وجه الشبه بين العلاقتين " (١) .

٤- البديع .

تُعَدُّ المحسنات البديعية اشكالاً لغوية يستعملها المرسل لا لأجل الوظيفة الشكلية فحسب بل لها دورٌ حجاجيٌّ لا على سبيل زخرفة الخطاب ، وغايته الإقناع وبلوغه بالأثر مبلغه الأبعد ، فأساليب البيان مثل المقابلة ، والجناس والطباق وغيرها ، هي للإبلاغ والتبليغ (٢) ، ومن المحسنات البديعية التي سندرسها ونبيّن حجاجيتها ودورها في الإقناع هي (الجناس ، والطباق ، والمقابلة) .

١- الجناس .

هو " اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما " (٣) ، و يقوم على توليد معنى جديد يغيّر ما سبقه بتكرار اللفظ من دون المعنى ، والجناس لم يُستعمل في القرآن على أنّه محسن لفظي فحسب ، بل له وظيفة حجاجية وتأثيرية في إقناع المتلقي ، ومفاجئته بمعانٍ جديدة استحدثتها من الصورة السابقة نفسها " إن الجناس الجيد يثير إعجابنا من نواح عدة : ناحية التماثل في الصورة ، وناحية الجرس الموسيقي ، وناحية التآلف ، والتخالف بين ركنيه لفظاً ومعنى ، وناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الاصلي " (٤) .

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه: ٤٩) .

الموقف هنا موقف اعتذار من هارون لموسى ، فأراد هارون أن يقنع موسى الذي كان غاضباً فما كان منه إلا أن يشدّ انتباه موسى إليه ، وأن يسكن غضبه ، فخاطبه بالكنية (يَبْنَؤُمْ) ، وبما أن المحسنات البديعية هي الأقوى تأثيراً ، وإقناعاً ، قال : ﴿ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ هنا جناس قلب غايته إحداث إذعان المرسل إليه فجاء بها متجاوزة ومتجانسة ليستنبط منه موسى ، ويكتشف سبب عدم لحاقه به ، هو خشيته من انقسام بني إسرائيل حزبيين ، فكان الجناس أقوى وأشدّ تأثيراً على المتلقي ودوره الحجاجي يهدف " الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد " (٥) ، لأقناعه بأن حرصه على عدم التفرقة ، كان العلة بعدم لحاقه بموسى .

(١) - حجاجية الشروح البلاغية : ٣٨٦

(٢) - ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٩٧-٤٩٨ .

(٣) - الطراز ٣ : ١٨٥

(٤) - فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، مصر ، د. ط ، د. ت : ٣٠

(٥) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٤٩٨ .

أما الهدد فاستعمل الجنس أيضاً ليمتص غضب نبي الله سليمان ويشوّقه ، فجاء في قوله تعالى عن الهدد : ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل : ٣٥) فالجناس بين كلمتي (سبأ) ، و(نبأ) جناس ناقص جاء بهما متجاورتين لتكون خطابه

أقوى تأثيراً على نبي الله سليمان فتوافقهما في الصوت شكل بديعي امتزج مع الجنس ليكون ذا قيمة حجاجية لتحديث تغييراً في الرؤية ، فالجمع بينهما لوظيفة حجاجية تكمن في إقناع نبي الله سليمان بأن ما لديه - أي الهدد - هو أمر في غاية الأهمية وقوله : (نبأ) يدل على صدقه وأهميته " أن الكلمتين "سبأ" و"نبأ" على الرغم من تكوّنهما من مادتين مختلفتين ، إحدهما مملكة ، والأخرى خبر ، فإنهما يتشاكلان من حيث أبعادهما العميقة لكون الأولى مملكة عظيمة تنطوي على الكفر ، وكون الثانية تحمل الخبر الذي له شأن " (١) .

ومن أمثلة الجنس ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَيَلْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةٍ ۝ أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ ﴾ (الهمزة ٣-١) .

اختلف المفسرون في دلالة (الهمز ، واللمز) ولكنّها في المعنى لا تبتعد على أنّها نزلت للتوعّد بالعذاب للذين يعيبون الناس بالطعن والانتقاص والسخرية ، سواء في وجوههم أو في غيابهم ، أو بلسانهم أو بحركات أجسامهم ، وأصبحت عادتهم أن يعيبوا الناس ، فجاء الدعاء من الله عليهم بالهلاك ، ولم يستثن الله أحداً من هذا العذاب بل شمل كل من اعتاد على الطعن في أعراض الناس واغتيابهم (٢) ، وعليه يكون للجناس غير التام بين (همزة ، ولمزة) دوراً في جذب انتباه المتلقي ، ودوره حجاجي غايته إقناع المتلقي ليكون له تأثيراً بالغاً . فمن قصد الطعن بشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣) ، أو الناس عموماً فالجناس صوّر شدة العقاب لشدة الفعل ، فتجاور هاتان اللفظتان وما وقع بينهما من جناس أعطى صورة ذهنية أشار بها إلى قبح الفعل وحقارته ، وشدة عقابه ، وما كانت لتحضر هذه الصورة في الأذهان ويدركها المتلقي من غير المحسن البديعي ، فالله قد جعل المشهد حاضراً في العقول " يزلزل قلوب الاعداء ، ويثبت أرواح المؤمنين " (٤) ، وأن الجنس اكسب الكلام جرساً موسيقياً يلائم شدة الفعل والعقاب ، ليوّقع تأثيراً واقناعاً عميقاً ، ويعطي للخطاب قوة لإقناع المتلقي بشدة قبح الفعل ، ولولا الجنس لكان التأثير قليلاً غير مؤثر.

٢- الطباق .

هو من المحسنات البديعية يؤتى به لتوكيد المعنى وتقويته وهو " أن يؤتى بالشئ وضده في الكلام كقوله تعالى : ﴿ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ (التوبة : ٥٠) " (٥) ، وللطباق وظيفة حجاجية لإقناع المتلقي ؛ لأنّ المتكلم حين يستعمل في خطابه الحجاجي المحسن البديعي يبتغي منه تأثيراً بالغاً .

(١) - خصائص الأسلوب في سورة النمل ، أحمد بزيو ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الجزائر ، ٢٠٠٦م ٢٠٠٧م : ١٨١٧ .

(٢) - ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٩٧٢ .

(٣) - قيل انها نزلت في امية بن خلف الجمحي وكان يهزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعيبه (التعريف والإعلام : ١٨٥) .

(٤) - في ظلال القرآن ٦ : ٣٩٧٣ .

(٥) - الطراز ٢ : ١٩٧ .

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) .

يمدح الله في هذه الآية المنفقين (*) الذين ينفقون أموالهم في أي الأوقات بالليل أو النهار ، وفي جميع الأحوال من سرٍ وجهرٍ ، ولهم ثواب ما انفقوا يوم القيامة (١) . وقع الطباق بين (الليل ، والنهار) ، و (سرا ، وعلانية) ، و (لهم ، وعليهم) ، فإذا كانت المحسنات تكون لזخرفة الخطاب ، فما سبب كثرتها في سياق هذه الآية التي اختصت بالإنفاق ؟ جاء الطباق ليؤدي دوراً حجاجياً لإقناع المتلقي بعد إن يشد انتباهه إلى أهمية الأمر ، بأن الإنفاق هو من الأمور النافعة ، وله أثر على صاحبه في الدنيا والآخرة ، وكون الآية السابقة انتهت ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وهذا دافع لعمل الخير إذا كان لوجه الله ؛ لأنه عز وجل يعلم به ، فمتى تكون الحاجة وفي أي وقت ، ففي قضائها أجراً عند ربهم ، وعليه فالطباق والرباط بين جملة بـ (الواو) أعطى نتيجة مؤثرة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فالطباق هنا أوجز المعنى وأوضحه ، وقربه لذهن المتلقي ، فالتأثير يقع في النفس بعد ترسيخ المعنى في الذهن ، واستحسان صورته .

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ٥٤) .

سياق الآية يتحدث عن الاقتداء بأصحاب عيسى الذين كانوا مخلصين رغم قلة عددهم وضعفهم ، ولكن تحقق لهم ما وعدهم به ربهم فشاع دين المسيح وانتشر رغم قلة عددهم ، فالآية فيها أمر إلهي للمسلمين بنصرة دين الله الإسلام وجهاد المخالفين (٢) . وقع الطباق بين (أمنت) و(كفرت) ، وهذا الطباق له دور حجاجي مفاده استمالة المتلقي ليفهم أنه ليس هناك إلا طائفة واحدة هي المؤيدة بنصر من الله ، فمن اتخذ الإسلام ديناً فهم الأعلون فكان هذا حجاجاً لجميع المسلمين بأن لا يتهاونوا في نصرة دينهم ونبئهم ، فالحواريون قد رفعهم الله لنصرتهم نبينهم لإعلاء كلمة الله فاخلصوا في استنصاره ، فالنصرة هي للدين فما على المسلمين إلا نصرة دينهم في وجود النبي وعدمه . فالخطاب الحجاجي يشمل كل مسلم عليه نصرة دينه ونبئهم في كل زمان ومكان ، والنتيجة ستكون تأييد الله له .

٣- المقابلة : هي " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب " (٣) كل محسن بدعي يعطي صورة مختلفة عن الأخرى ، وهذا الصورة تبلغ من الاتقان ما يجعل المتلقي وكأنه يعيش المشهد حقيقة .

(*)- نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان (التعريف والإعلام : ٣٢ تابع للهامش ٢/) ، وقيل نزلت في علي بن ابي طالب (مجمع البيان : ٩ : ١٦٦)

(١)- مفاتيح الغيب : ٧ : ٨٩ .

(٢)- ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٨٧٠ .

(٣)- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع ، احمد الهاشمي ، تعليق . محمد رضوان ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط ١ ، ١٩٩٩م : ٢٨٦ .

ويدعوه إلى التأمل الذي بدوره يجعله يصل إلى إقناع وتأثر بنتيجة الخطاب ، وقيمه الفكرية ، فالبديع لا يقف حده عند الزخرف والشكل بل له دور في شد الانتباه لما يحمل الخطاب من معاني ووظيفة حاجية .

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَخَّلَ بِنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۖ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۖ ﴾ (الاسراء : ١٠٣-١٠٤)

أراد الله أن يبين للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه ليس أول رسول كذبه الناس ، فهذا دأب المعاندين مع كل الرسل ، فما بالك بموسى إذ آتياه تسع آيات كل واحدة تكفي للهداية إلى الحق وهي (العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والرجز ، وفلق البحر) فحين جاء موسى لفرعون لمحاورته قال له : ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۖ ﴾ ، فخطبه موسى بما فيه حث على التدبر والتأمل في هذه الآيات التي ما انزلها إلا رب السموات (١) ، بل هذه حجج وادلة على صدق ما جئتك به يستدل بها اولو البصائر فقابل رده برد فرعون قائلا : ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۖ ﴾ وهذه المقابلة (٢) لها أثر حاجي في شد الأذهان ، بأن قوة فرعون ستتلاشى وتهلك بقوة الله المطلقة . فرعون وصف موسى بالساحر عناداً وتجبراً وإنكاراً للحقيقة التي علم بأنها تفوق قدرة البشر ، أما موسى فوصف ما سيؤول اليه حال فرعون ومن تبعه ، فهو بهذه المقابلة بين الصورتين أراد تحريك الأذهان إلى نتيجة ما سيكون عليه حالهم - أي فرعون ومن تبعه - فاكتفى بالمقابلة ليحدث اقناعاً وتأثيراً عميقاً في نفوسهم .

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا ۖ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَكُتِّبَتْهَا فِيهِ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴾ (الفرقان : ١٣-١٤) .

سياق الآية يتحدث عن تكذيب الكفار لرسالة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فبلغ الله عز وجل رسوله أن يرد عليهم قولاً مقابلاً لقولهم فقال له : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴾ ، فحاجبهم عز وجل هنا بعلمه الذي أحاط بكل شيء ، ودعاهم إلى تدبر آياته فهو غفور رحيم (٣) . فالمقابلة بين القولين جعلت من قولهم مبنياً على باطل ، ودعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الحق ، فحُضِّتْ حججهم وهُدِمَتْ بهذه المقابلة في المعنى ، والتي كانت غايتها التأثير في المتلقي واستمالته وحثه على التدبر في آيات الله قبل أن يتهمة باطلا " فالمقابلة في هذه الآيات أتت في سياق الجدل القرآني حول مصداقية القرآن ، وقد ساهمت في عملية الإقناع التي يسعى إليها القرآن بالرد على المنكرين وبسط الأدلة المناسبة

(١) - ينظر تيسير الكريم الرحمن : ٤٦٨

(٢) - ينظر صفوة التفاسير : ١٨٠

(٣) - ينظر تيسير الكريم الرحمن : ٥٧٨

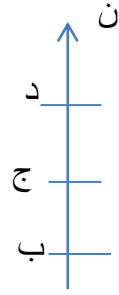
أمامهم فبقوله تعالى : ﴿ فَذَجَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا ﴾ وقوله : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ دليلان واضحا من غير تعقيد كلامي أو جدل عقلي ، وهما أقرب إلى البدهة منها إلى العقل ؛ لأن الخطاب موجه إلى كل منافذ النفس كل تأخذ نصيبها من الإقناع والتأثير " (١) .

وبعد أن وقفنا على أهمية البديع في الحجاج ، ووظيفته الحجاجية في الخطاب ، فعليه يكون للمحسن البديعي دوره الرئيس في السياق هو شد انتباه المتلقي ، فالصورة التي يصورها المحسن البديعي تعمل على تحريك الأذهان ، وتوجيه الفكر ، واستمالة النفوس ، فيكون المتلقي مدركاً أن ما بعد هذا الزخرف خطاب آخر ، من خلال الربط بين الأفكار ، فتنتقله من عالم اللفظ والمعنى إلى عالم التأويل ، وتحصيل النتائج التي بدورها تعمل على الإقناع والتأثير كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (البقرة: ١٧٥) .

وقد يكون البديع هو منفذ لتصوّر ما هو غير ماثل أمام أعيننا ، فمن خلاله نلج إلى عالم آخر ، تدركه العقول ، فنحن لم نر الله ولا الجنة ، ولا النار ، ولا الملائكة ... الخ ، فهذه أمور غيبية لا نكاد نعلمها ولا نراها ، فجاء التعبير القرآني بصور بلاغية وبديعية ليعطينا تصوّراً عمّا هو خارج تصوّراتنا وإدراكنا بصور من واقعنا وبلغة مفهومة ، صور تحاكي العقل لترشده . ويدخل الإيجاز من ضمن أغراض البديع ، وعليه فكل ما ذكرناه من أغراض البديع يعد وظيفة حجاجية يسلكها المرسل لإقناع المرسل إليه ، فنقل المتلقي من صورة إلى أخرى ، ومن غاية إلى أخرى وبايجاز هدفه التأثير العميق في نفسه .

(١) - المقابلة في القرآن الكريم ، بن عيسى باطاهر ، دار عمار ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ٢٢٧ .

رابعاً : آليات الإقناع شبه المنطقية .



- (السلم الحجاجي)

هو " علاقة ترتيبية للحجج يمكن ان نرمز لها كالتالي :

ن = النتيجة ، أما "ب" و "ج" و "د" : حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن" (١) ، تتفاضل الحجج في السلم بحسب قوتها ، فيبدأ المحاجج بالأضعف وينتهي بالأقوى ، مع بقاء تعلقها الواحدة بالأخرى بالأقوال نفسها " كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى ، كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى" (٢) وهما شرطان يجب استيفائهما للعلاقات الترتيبية في السلم الحجاجي . وهذا التدرج يسهم في تشكيل الرؤية ليدركها المتلقي بوعي .

- أدوات السلم الحجاجي (٣) :

أ- الأدوات اللغوية : وتتمثل في الروابط الحجاجية ، والعوامل الحجاجية ، والسمات الدلالية ، ودرجات التوكيد .

ب - الصيغ الصرفية (افعل التفضيل ، صيغ المبالغة) .

ج - المفهوم : الموافقة ، المخالفة .

د - حجة الدليل .

وسنقتصر على العوامل والروابط الحجاجية ؛ لأنها حاضرة في آيات بحثنا بكثرة .

- الروابط الحجاجية : و تتمثل في (الواو - بل ، حتى ، لأن ، لاسيما ، بما ان ، إذا ، اللام ، كي ، لكن) ، تعمل هذه الروابط على الربط بين الحجج ، مما يؤدي إلى إقناع المخاطب بالنتيجة التي جاءت منسجمة بفضل الترابط .

- العوامل الحجاجية : وتتمثل في الأدوات (ربّما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، ما ... الا ، وجل ادوات القصر . والفرق بين الروابط والعوامل الحجاجية هو أن الاولى تربط بين الحجة والنتيجة ، أو بين مجموع الحجج ، أما الثانية فتقوم بتقييد الامكانات الحجاجية بالقول وحصرها (٤) .

(١) - اللغة والحجاج : ٢٠

(٢) - في اصول الحوار وتجديد علم الكلام : ١٠٥ .

(٣) - استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : ٥٠٨ .

(٤) - ينظر : اللغة والحجاج : ٢٧ .

أولاً : الروابط الحجاجية .

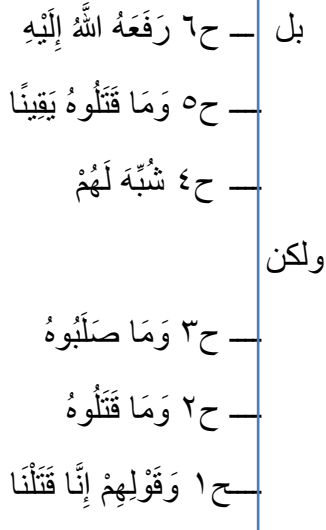
- الرابط الحجاجي (لكن) : وهو " رابط حجاجي يربط بين أجزاء الكلام ، ضمن الروابط المدرجة للحجج " (١) . ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء: ١٥٧) .

بعد إن ذكر الله قول اليهود بقتل المسيح استدركها بـ (لكن) ليناقض قولهم بحجة أقوى من حججهم ، فالحجج متعارضة بين ما تقدم الرابط الحجاجي (لكن) وما تتلوه ، فالحجة (شبه لهم) (ح ٤) تناقض حججهم (ح ١ و ٢ و ٣) ، فالحجة الأقوى التي تلت (لكن) نتيجتها أنهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه وهي مضادة لقولهم .

- الرابط الحجاجي (بل) : وهو من الروابط المدرجة للحجج ويعمل على الربط " بين الحجج والنتائج والنتيجة المضادة "لا-ن" ستصبح نتيجة القول برمته ؛ لأن الحجة التي ترد بعد الرابط "بل" أقوى من الحجة التي ترد قبله " (٢) .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٨) ، بعد إن جاءت في الآية السابقة نتيجة مضادة ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ﴾ وهي «شُبِّهَ لَهُمْ» ، فجاء بالرابط الحجاجي "بل" ليقوم علاقة بين حجتين متساوئتين ، وربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متعارضتين ، فكانت الحجة بعد (بل) أشد تأثيراً وأقوى . كما أنها أبطلت قولهم بقتل المسيح ، واثبات العكس .

(ن) أنهم كاذبون في خبر قتلهم المسيح وصلبه ، وأنه حي رفعه الله إليه



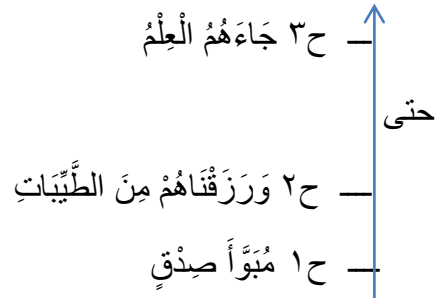
(١) - استراتيجيات الخطاب التداولي في ألفية ابن مالك : ١٩٠ .
(٢) - اللغة والحجاج : ٦٣ .

- الرابط الحجاجي (حتى) : رابط حجاجي يربط بين الحجج " فالحجة التي تدرجها الأداة "حتى" هي أقوى الحجج ، وهي آخر حجة يمكن تصوّرها أو يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة " (١).

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ٥٠) .

أنزل الله بني اسرائيل منزلاً صالحاً ، ورزقهم من اللذائذ ، فهنا لم يكن لديهم إختلاف ، وقع الإختلاف بعد إن علموا بصدق نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إن القول هنا يخدم نتيجة واحدة (حتى) لها توجه حجاجي واحد ، وكل الحجج الي تقدمتها أو التالية لها تصب في نتيجة واحدة ، والحجج بعد (حتى) هي الأقوى ، وكل الحجج مفادها أن بنو اسرائيل فسقوا ، فالرابط "حتى" حقق غاية إقناعية ، فحجة (الاختلاف) نتيجة (جاءهم العلم) نبوة محمد .

(ن) توبيخهم على اتباع الباطل وهم عالمون بصدق نبوة محمد لأنه مكتوب في التوراة



فالحجة بعد الرابط الحجاجي (حتى) كانت الأقوى في تثبيت النتيجة ، أمّا قبلها فهي حجج مساندة لما بعدها ، فجاء ما بعدها غاية لما قبلها ، فالله قد أنعم على بني اسرائيل وبقوا في تلك النعم حتى اختلفوا فيما بينهم ، فكان هذا الاختلاف سبباً في سلب النعم وسلبهم أوطانهم ، وهذه الحجج مهدت للوصول إلى النتيجة.

ثانيا : العوامل الحجاجية .

وهي " مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل وتوجّه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة ، أو بين مجموعة حجج ، ولكنها تقوم بحصر وتقييد إمكانات الاستراتيجية الحجاجية التي تكون لقول ما " (٢). وحصر الألفاظ وتحديد أسلوب يلجأ إليه المحاجج لإزالة الغموض عن المتلقي ، وبهذا تكون فاعليتها أقوى وأشد تأثيراً وإقناعاً . " اذن فاختيار المتكلم الملفوظ وقد دخلت عليه العوامل الحجاجية أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن تلك العوامل وذلك أن النتيجة التي يريد إيصال المخاطب

(١) - اللغة والحجاج : ٧٣

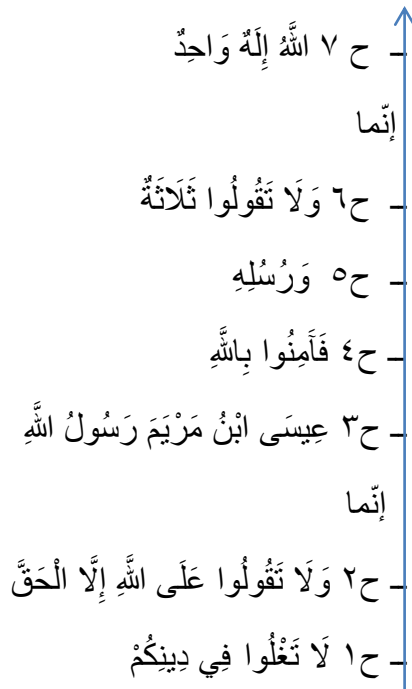
(٢) - استراتيجيات الخطاب التداولي في ألفية ابن مالك : ١٧٧

إليها مضمونة الوصول " (وسنقتصر في بحثنا على (أدوات النفي ، والقصر) ؛ لأنها الأكثر حضوراً في آيات بحثنا .

١ - العوامل الحجاجية عن طريق أدوات القصر .

أ - الرابط الحجاجي (إنمّا): تعد أهم أداة من أدوات القصر ، ولها الأثر في ترتيب الحجج في السلم الحجاجي ، وتكون الحجة التي تليها هي الأقوى بين الحجج ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء: ١٦١) . نجد إن القصر في قوله ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ " قصر المسيح على ثلاث صفات : صفة الرسالة ، وكونه كلمة الله القيت إلى مريم ، وكونه روحاً من عند الله والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوهم في هذه الصفات غلوا أخرجها عن كونها " (١) ، والمحاج حين يلجأ لهذا الأسلوب غايته تصحيح وتوجيه أفكار المتلقي ، فجاء القرآن موضحاً من هو عيسى ، وكيف ولد ، ثم قصر الإلهية له وحده سبحانه ، فالنتيجة أن الله وحده لا شريك له ، وعيسى عبده ورسوله ، فالقصر بـ (إنمّا) ربط الحجة بالنتيجة ، فجميع الخلق ومنهم عيسى وأمه عباد الله ولا إله إلا إله واحد ، فالقصر الأول جاء لبيان تكليف عيسى بالرسالة ونفي ربوبيته ، والحصص الثاني بأنه لا يوجد إلا إله واحد ، سبحانه أن يتخذ صاحبةً أو ولداً ، فقصر الرسالة على المسيح وقصر الإلهية عليه سبحانه وتعالى .

(ن) عيسى وأمه عبادان من عباد الله وقولهم عيسى ابن الله هو قول بلا علم ، فلا إله إلا الله وحده ، والخلق كلهم عباد .

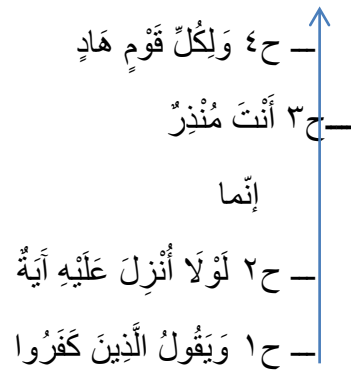


(١) - ينظر: تفسير الطبري ٧: ٧٠١

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْهَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٥) .

تعمل (إنما) على حصر الإمكانيات وتقييدها وتوجيه المخاطب إلى النتيجة التي يراد منها إقناع المتلقي ، و وردت (إنما) في هذه الآية عاملاً حاجبياً ، فحصر وقيد وظيفة الرسول بالإنذار " فقصر النبي - صلى الله عليه وسلم - على صفة الإنذار وهو قصر إضافي ، أي أنت منذر لا موجد خوارق عادة " ^(١) ، أضافت (إنما) نمطاً حاجبياً من خلال حصر النتيجة وهي وظيفة النبي بالإنذار ولم يذكر بأنه مبشر ؛ لأنه قصر حاله في إنذار المشركين ، كما أفاد القصر إقناع المتلقي بأن النبي لم يبعث لتلبية رغبات الناس . أما في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ^(*) هو إخبار من الله بأن الأنبياء والرسل بُعثوا للهداية من أولهم حتى آخرهم ، يهدون الناس بأن لا إله إلا الله ، وكل نبي له آيات حجة على صدق دعوته ، والإسلام كانت معجزته القرآن الكريم ولولاه لما بقي الإسلام ، ولما عرف الناس الحق . لذا بدأت سورة الرعد بقوله تعالى: ﴿ الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد: ٥) ، فهذه الآية بيّنت أن كتاب الله هو الحق ، وهو لكل الناس وليس لقوم زمان محمد فقط ، ولو أنزل الله معجزة غير القرآن لما استمر الإسلام إلى يومنا هذا ، فهو كتاب جاء ليثبت دين الحق بكلماته ، فدين محمد باقٍ ما دام أهل العقول يتدبرون آيات الله .

(ن) تؤكد هذه الآية بشرية كل الأنبياء والرسل وقصر دورهم على هداية الناس إلى طريق الحق ، كما بينت جهل الكفار وكذبهم فلو نزلت آية كما أرادوا لكفروا بها .



ب - القصر بالنفي والاستثناء (لا...إلا) .

ويشمل قوله تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٥٠) هذه الآية من مظاهر عظمة الله ومضاء أحكامه ونفاذ أمره ، فلا عظمة أمام عظمتة

(١) - التحرير والتنوير ١٣ : ٩٥ .

(*) - قيل ال- (هاد) هو الإمام علي (عليه السلام) (التعريف والأعلام : ٨٣) .

ولا كبرياء . كما تحققت فيها آثار قدرة الله على الظواهر الكونية ، وعلى النفس والفطرة ... (١) . وتجلت عظمته في إنقاذ بني إسرائيل بفلق البحر على يد نبي الله موسى ، فكان الحق والباطل على جانبي البحر ، فجانب مؤمن بالله ، وجانب عدو له ، فكان البحر سبباً لخلاص المؤمنين وسبباً لهلاك المعاندين ، وحين استشعر فرعون قرب نهايته تجرد من تكبره وجبروته وأسلم لله ، فقصر الربوبية على ربّ بني إسرائيل وهذا إقرار منه بأنهم على حق ، فأخذت (إنمّا) طابعاً حجاجياً وحددت الوجهة للقول ، فوظفه فرعون لحصر وتقييد إيمانه وتحديد النتيجة وتأكيدا لتحقيق غايته بالإقناع ، والتأثير على الآخر .

ج - القصر بالنفي والاستثناء (ما ... إلا) .

ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥)

ذكر الطبري أنّ هذه الآية فيها خبر من الله تعالى ذكره "احتجاجاً لنبيه محمد على فرق النصرى في قولهم في المسيح تكذيب من قال ان المسيح هو الله ومن قال هو ابن الله" (٢) ، بعد ان ذكر في الآية السابقة ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (المائدة: ٥٤) ، بعد هذه الحجج في الآيات السابقة نفى الحكم ثم قصره عليه ؛ ليؤكد بأن المسيح ليس إله وأنه بشر فحصر النتيجة التي يريدها وحصر إمكانية الملفوظ لتصحيح ظنونهم بإلهية عيسى وأمه فقال إنها (صديقة) " أي بليغة الصدق في نفسها والتصديق لما ينبغي أن يصدق ، فرتبتها تلي رتبة الانبياء ... فأعظم صفات عيسى الرسالة ، وأكمل صفات أمه الصديقة " (٣) . وحاجتهما إلى الطعام هي دليلاً على نفي إلهيتهما.

د - القصر بالنفي والاستثناء (إن ... إلا) .

ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِزِي أَبْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة: ٥٣) .

هذه الآية ، توبيخ لمن كذب بالرسول واتهمهم بالسحر ، وغالى آخرون وقالوا عنهم آلهة ، لذا جاءت الآية مبدوءة بكنية (عيسى أبْنُ مَرْيَمَ) ردا على النصرى . هذا المشهد من مشاهد يوم

(١) - ينظر في ظلال القرآن ٣: ١٧٤٦ ، و نظم الدرر ٩: ١٨٣ .

(٢) - تفسير الطبري ٨: ٥٨٢ .

(٣) - نظم الدرر ٦: ٢٥٥ .

القيامة فبدأ الله يعدد النعم التي أنعم بها على نبي الله عيسى وأمه ، وهذا التعدد كان غايته أن تصدّقوا دعوته وتؤمنوا بها ، ولم آت بها لتغلوا وتجعلوا منه إله ، ولا لتكذبوه وتقولوا ساحراً ، فكل هذه النعم بيّنت و حجج على صدق دعوة عيسى ولكن قابلوها بالنفي والنكران ، فحسروا النتيجة بأنّه ما جاء به هو السحر واضح . كما إن الآية حجة على أنّهم لم يقتلوا عيسى ، وحجة على أنّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اطلعه الله على اسرار الغيوب .

هـ - النفي والاستثناء (لم...إلا) .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَّا ذَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) .

اختبر طالوت بني اسرائيل حين خرجوا لقتال جالوت وجنوده ، وكان الهدف منه إختبار قوة إرادة جيشه ، فقوة الإرادة تفوق قوة السلاح والعدد ، فحين بلغ العطش الرجال ، قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ (*) ولكم ثلاث خيارات فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، ثم استثنى ﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ ، فشرب الكثير منهم وخرج من جيش طالوت وبقي القليل من الجيش مع طالوت ، وهؤلاء القليل المؤمنون هم من كتب الله لهم النصر (١) ، فطالوت حصر الإمكانيات والوجهة التي يريدونها والمقاصد بالنفي والاستثناء الذي جعل الجملة ذات طابع حاجي محدد النتيجة لتكون لها تأثير على المتلقي ، أنّه من لم يشرب ومن اغترف غرفة بيده فهو مني ، والغرض منه اختبار إيمانهم " فالاستثناء له علاقة وثيقة بأحوال المخاطب النفسية والاجتماعية ، فيعمل على تقرير المعنى في ذهن المتلقي وتثبيتته والدعوة إليه ضمن نظام لغوي خاص ، بالاعتماد على الأسلوب ، والأداة المستعملة ، والتقديم والتأخير بحسب السياق " (٢)

٢- العوامل الحاجية عن طريق النفي .

تُعد أدوات النفي في العربي : (لا، ولن ، ولم ، وما ، وليس) عوامل حاجية إذ تقوم بوظيفة توجيه الرسالة ، والمتلقي في أن معاً إلى نتيجة واحدة ، يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحاجية المتمثلة في شد انتباه المتلقي ، وتوجيهه عبر الملفوظ إلى النتيجة ، ويعد النفي " توجيه على توجيه لذلك بمجرد إدماج عامل النفي لتحديد النتيجة (ن) بسرعة ولا يجد المتقبل حرجاً أو كدّاً ذهنياً في إدراك المفهوم ، بل إنّ عامل النفي كمفهوم علاوة على وظيفته التوجيهية في الخطاب الحاجي فإن له قيمة وهي على حد عبارة ديكر " أنّه ضروري لوصف البنية الدلالة العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي " " (٣) .

(*) - هو نهر بين الأردن وفلسطين ، وقيل نهر فلسطين (التعريف والإعلام : ٣٠ هامش : ٣) .

(١) - ينظر في ظلال القرآن ١ : ٢٦٢ .

(٢) - الحاج في القرآن الكريم السور القصار مثالا ، مروة خضير ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ، ٢٠١٩م : ٥٤ .

(٣) - العوامل الحاجية في اللغة العربية ، عز الدين ناجح ، مكتبة علاء الدين ، ط١ ، صفاقس - تونس ، ٢٠١١م : ٥٠-٥١ .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمَ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٥٠)

هذا القول من نبي الله صالح إلى قومه ثمود (*) يدعوهم إلى عبادة الله ، وهو يدل على أنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى غير الله وهي الأصنام ، فاراد نبي الله صالح من النفي توجيه قومه إلى عبادة إله واحد أحد يستحق العباد (١) . والنفي بـ (ما) أضفى طابعاً حاجياً في توجيه المتلقي بأنه لا يوجد إلا إله واحد ، فهو الذي خلقكم من الأرض وعمركم فيها.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ٥٥-٥٦) ، نفى الله أن يكون المال دافعاً للبلاء والهلاك ، فأبو لهب كان من اغنياء قريش وسادتهم ، ولكن الجاه والمال لم يشفعا له ، وكرر النفي للتأكيد وتثبيت المعنى ، فالنفي هنا أبطل كل حجج أبي لهب " قال ابن عباس (وما كسب) يعني ولده ، يروي إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني افتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي ، فأنزل الله ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (٢) ، فجاء الرد بأن لا المال ولا الولد سيدفع عنه عذاب الله " النفي رد على اثبات فعلي " (٣) ، فأتى بالنفي ليقطع الطريق أمام تصورات واعتقادات أبي لهب وغيره " أن النفي انكارا يتعقب قولاً سبق ادعائه أو اثباته ، فهو دائماً فعل ارتجاعي أوثق بالرد ، وليس فعلاً ابتدائياً " (٤) . فأضاف النفي طابعاً حاجياً لتوجيه المتلقي إلى نتيجة مفادها أن أبي لهب لن يؤمن وسيموت هو وزوجه على الكفر ، ويعد هذا الوعيد الإلهي معجزاً ، وتصديقا لنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن عوامل النفي (لا) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ (النساء: ٣٠-٣١) . بعد إن أمر الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجرة ؛ فراراً بدينه هو ومن تبعه ممن لهم القدرة والطاقة على تحمّل مشقة الطريق بين مكة والمدينة ، ويمكنهم أن يهتدوا إلى الطريق ، استثنى عز وجل ممن لا طاقة لهم على التحمّل ولا يعرفون الطريق (٥) ، فالنفي في جملة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ نفت قدرتهم ، و﴿لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ نفت معرفتهم الطريق ، أخذ النفي طابعاً حاجياً ؛ كونها نفت الكلام وربطته بكلام آخر لتعليل وتأكيد النفي ، وهذا لإقناع المتلقي بأن ترك الهجرة في غاية الخطر (٥).

(*) - (ثمود هو ابن عبيد بن عوص ابن عاد بن ارم بن سام بن نوح) . (وصالح هو ابن عبيد بن جاثر) (التعريف والاعلام : ٧٧).

(١) - ينظر : مجمع البيان ٥ : ٢٢٤ .

(٢) - تفسير القرآن العظيم : ٢٠٤٥ .

(٣) - الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) : ١٣٢ .

(٤) - بلاغة الإقناع في المناظرة ، عادل عبد اللطيف ، منشورات ضفاف ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٣ م : ٢٢٧ .

(٥) - قال ابن عباس : كنت انا وامى وابي ممن عنى بهذه الآية (التعريف والإعلام : ٤٣) .

(٥) - ينظر : البحر المحيط ٣ : ٣٥٠ .

النفي بـ (لن) جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٥٠﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٥١﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٢﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ٥٣﴾ (المائدة: ٥٠-٥٣) .

أمر الله بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة ، فقال لهم نبي الله موسى ادخلوا الأرض المقدسة (*) ، و كان جوابهم ﴿وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ وردوا أيضاً ﴿إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا﴾ فجوابهم الأول نفوا دخولهم إلى الأرض حتى يخرج العمالقة منها ، والثاني أكدوا امتناعهم بثلاثة مؤكدات (إِنَّ ، وَلَنْ ، وَأَبَدًا) ، كان الجوابان من الحجج التي أبطل فيها قوم موسى دخولهم هذه الأرض ، فالنفي بـ (لن) عمل على توجيه المخاطب نحو نتيجة مفادها امتناعهم المؤكد على دخول الأرض .

وجاء النفي بـ (لم) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦٠ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٦١ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٦٢﴾ (الفجر: ٦٠-٦٢) .

يخاطب الله نبيه ، وكل متبصر في الحكمة من ذكر نهاية الأرقام السابقة ، ليكون لها الأثر على الأجيال المتعاقبة ، فجاء الخطاب بصيغة الاستفهام أشد إثارة ، وحديثه عن مدينة قال عنها الله ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ سواء في عمرانها ، أو قوة القوم ، وبطشهم ، وفسادهم^(١) .

فحين وصفهم الله في القرآن الكريم نفى أن يكون لهم مثل في بسطة الجسم ، والقوة ، والبطش في البلاد - سواء في زمانهم أو في بلاد الدنيا - ، فجاء بالنفي ؛ لإقناع المتلقي بقوتهم وبطشهم ، فالعامل الحجاجي (لم) اكسب الملفوظ قوة تأثيرية ، وحجاجية لتوجيه المتلقي إلى نتيجة مفادها قوة هؤلاء القوم ؛ لأن الغرض منه هو العبرة ، ولكن رغم قوتهم ما استطاعوا أن يؤذوا نبي الله (هود) وعجزوا عن ذلك ، ومن قولهم ما حكاه القرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ٧٠﴾ ، فرد سبحانه و تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ٧١ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ٧٠) فالنفي قد حصر النتيجة التي أظهرت قوتهم الجسدية دون الإيمان بالله وكانت نهاية قوة الجسد أن أهلكهم الله بريح صرصر ،

(*) هي (بيت المقدس وما حولها) ، أما الرجلان فهما (يوشع بن نون ، وكوكب بن يوقنا) (التعريف : ٤٩) .
(١)- ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٩٠٣ .

وَنَجَّى نَبِيَهُ ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾
(البقرة : ١٦٥) .

يعتمد المحاجج إلى توظيف الروابط ، والعوامل الحجاجية في خطابه لغايات مقصودة ، فالروابط حين تعمل على ترتيب الحجج ، وبيان الأقوى منها يسهل على المتلقي معرفة النتيجة ، وكذلك العوامل التي تحصر الملفوظ وتقيده للوصول إلى نتيجة محدّدة يسهل على المتلقي فهمها من دون أي كدّ ذهني ، والقرآن الكريم غايته الرئيسة الإقناع للتوجيه إلى الوجهة السليمة فتوظيفها في الآيات يسهم في تماسك النص القرآني ، وانسجامة حجاجياً للوصول إلى النتيجة التي يهدف القرآن الكريم إيصالها إلى المتلقي .

الخلاصة

..... الخاتمة

١١- إيهام الأعلام قد يزيد من الأثر الإقناعي ؛ لأنه حين يخفي الفاعل ، يكون التأكيد على الحدث وهذا بدوره يعمل على جعل المتلقي يهتم بالمقاصد من وراء الخطاب منصرفاً عن قام بالفعل.

١٢- قد ترد الكنية على إنها هي الحجاج بعينه ، فحين يستعمل القرآن كنية (ابن مريم) فهو يبطل اقوالهم بأنّ المسيح إله ، وأحياناً يستعمل كنية (بني اسرائيل) ليبطل اقوالهم بأنّ (بني إسرائيل) أبناء الله ؛لأنّ هـنا ينسبهم لأبيهم يعقوب (إسرائيل) .

..... الخاتمة

وقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية :

١- تحققت استراتيجيات الخطاب في آيات المكنى والمبنى والأعلام المبهمة ، وتعاضدت كل من الكنية والأعلام المبهمة في السياق القرآني في تحقيقها وتحقيق الغايات التي ينشدها المرسل من الاستراتيجية .

٢- لم تأت الكنية للتضامن والتودد فحسب ، بل ساهمت في بيان المقاصد في جميع الاستراتيجيات .

٣- لم ترد الاستراتيجية التضامنية في القرآن إلا بالآيات التي نقلها القرآن محكية على لسان البشر ، - أي حوار بين شخصين - ؛ لأن غاية الاستراتيجية التضامنية التودد والتقرب لمصلحة ، وهذا ما يكون بين البشر وليس بين الله وعباده .

٤- استعمل الأنبياء الاستراتيجية التضامنية قاصدين في خطاباتهم مع أقوامهم كنوع من التأدب في الدعوة ليكسبوا ودهم ويقربوا منهم ثم يصححوا عقائدهم وتوجيههم توجيهاً ربانياً ، وقد تآزرت مع غيرها من الاستراتيجيات لإحداث التقرب ثم التوجيه أو الإقناع .

٥- تعد الاستراتيجية التوجيهية والإقناعية هي الأكثر تفاعلاً في العملية التواصلية ؛ لأن غايتها التأثير ، والتأثير بدوره سيحدث تغييراً في سلوك المتلقي وقوله .

٦- هناك فروق واضحة بين الاستراتيجيات والوسائل ، فكل لها حدودها واستعمالاتها ، والحجاج وسيلة وليس استراتيجية ؛ لأنه يتجسد باللغة على خلاف الاستراتيجية التي هي غاية ذهنية تعمل الوسائل على تحقيقها .

٧- أكثر الاستراتيجيات تداخلاً مع غيرها هي الاستراتيجية التوجيهية ، إذ تتآزر مع بقية الاستراتيجيات لتحقيق غايات الخطاب القرآني .

٨- من أهم مسوغات استعمال الاستراتيجية التلميحية في الخطاب القرآني هو التأدب ، و التأكيد الدلالي حين يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى فيكون التلميح أولى من التصريح لجعل المتلقي أكثر اهتماماً بالبحث عن المعنى ليدرك مقاصد الخطاب .

٩- تحمل الأفعال الكلامية غير المباشرة معاني أشد وقعا في النفس من المعنى الصريح رغبة ورهبة ؛ لأنها تجعل المتلقي متدبراً متأملاً أمام حقائق كان غافلاً عنها مثل (أنى يؤفكون) فالناس تعصي الله وتكفر به ، ولا مصير لها إلا الرجوع له .

١٠- المحسنات البديعية من الفنون التي تآزر الدور الحجاجي وتقويه من خلال شد انتباه المتلقي من دون أن يفقد وظيفته البلاغية على عكس الإشارات التي تفقد وظيفتها النحوية لتنتقل إلى الوظيفة الحجاجية ، والمحسنات من الأساليب التي تجعل الحجاج ناجحاً ، لأنها تُعد حجاجاً فيها إثارة للمتلقي ، يختلف عن الحجاج المألوف ؛ وذلك لزج المتلقي في فضاءات متعددة ، قد تقطع الحجج وتفندّها .

الملاحق

ملحق للآيات

آيات الفصل الأول	موضوعها
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْقُشُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٠) .	المكّنَى (ابْنُ أُمِّ) .
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢) .	المبْنَى (ابْنُ مَرْيَمَ) و(بَنِي إِسْرَءِيلَ)
﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (هود: ٥٤)	العلم المبهم (بنات لوط) اسم الواحدة رَيْثًا والأخرى رعوثًا .
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ٥٥ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (سورة غافر: ٥٥-٥٦)	العلم المبهم (رَجُلٌ مُؤْمِنٌ) واسمه شمعان .
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٦)	المبْنَى (بَنِي إِسْرَءِيلَ)
﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٦ أَنْ أَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٥٧ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ٥٨ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ٦٠ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا	المبْنَى (بَنِي إِسْرَءِيلَ)

	خِفْتُكُمْ قَوَّهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦﴾ الشعراء : (١٦-١٧)
العلم المبهم (ابن نوح) واسمه كنعان	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَلَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿١٨﴾﴾ (هود : ١٦-١٧).
العلم المبهم (فَابِعُثُوا أَحَدَكُمْ) واسمه تملیخا	وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ (الكهف: ١٩-٢٠).
العلم المبهم (فتى موسى)واسمه يوشع بن نون	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿٢١﴾﴾ (الكهف: ٢١).
العلم المبهم في قوله تعالى : (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وهما (جبرائيل مولى الحضرمي ، وعداسا غلام عتبية)	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الفرقان : ٢٢-٢٣).
العلم المبهم هو (العفريت) واسمه كودن، و الذي (عنده علم الكتاب) واسمه أصف بن برخيا.	﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أُمِيبٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ (النمل : ٢٤-٢٦).
المكْنَى (أَخَا عَادِ)	﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (الاحقاف : ٢٧-٢٩).
العلم المبهم (مُنَادِيًا) قيل القرآن ، وقيل نبي الله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) .	﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٣٠﴾﴾ (ال عمران : ٣٠).
	﴿وَإِذَا تُثْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ

العلم المبهم في (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا) وهو النضر بن الحارث	هَذَا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ (الأنفال : ٣٠-٣١)
الاعلام المبهمة هم (السحرة) واسماؤهم (عاذور ، و ساتور ، وحطط ، والمصفي)	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٧٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ (الأعراف: ٧٧- ٨١)
العلم المبهم في (مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا) وهما(الشام ومصر) ، أما المبنى (بني إسرائيل) .	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّلَ لَكُمْ رَيْكُ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾(الاعراف: ٣٣)
العلم المبهم (الملك) واسمه هُذُلُ بْنُ بُدَد .	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف : ٦٨)
العلم المبهم في (أَضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قيل هما ابليس وقابيل .	: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (فصلت: ٣٥)
المبنى (أَبْنِى مَرْيَمَ)	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ (البقرة : ٧٧-٧٨) .
المبنى (أَبْنِى مَرْيَمَ)	﴿ وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف : ٥٧) .
العلم المبهم (الروم) الروم هم بنو روم بن عيصوم وقد قيل روم بن عامين بن سمالحين بن علقما بن عيصوا بن اسحاق .	﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴾ (الروم ١-٥) .
العلم المبهم (ابن لقمان) ابن لقمان اسمه (تاران) ، ولقمان هو ابن عنقا ابن ثيرون وكان من نوبيا من أهل أيلة .	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان : ١٣)
	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ

العلم المبهم (ابن إبراهيم) وهو (اسماعيل) .	فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٦﴾ (الصفات : ٥٦)
المكْنَى (أم موسى) ، والعلم المبهم (أخته) واسمها مريم بنت عمران وقيل اسمها كلثوم .	﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (القصص : ٥٦-٥٨) .
المكْنَى (أخوة يوسف)	﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (يوسف: ٥٩-٦٠)
العلم المبهم القائل وهو أبي بن خلف الجمحي ، وقيل العاص بن وائل ، وقيل: أبو جهل .	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَدَسَّى خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس : ٧٨)
المبْنَى (أبناء الله) ، والعلم المبهم في القائل قالها من اليهود نعمان أحي ، وبحري بن عمر ، وشاش بن عدي .	: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة : ٦٨)
العلم المبهم (الملك) واسمه الريان ابن الوليد بن عمرو بن اراشة من العمالقة .	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ (يوسف : ٦٣)
آيات الفصل الثاني	
المبْنَى (بَنِي إِسْرَءِيلَ)	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (البقرة : ٨٣) ﴾
المبْنَى (أَبْنِ السَّبِيلِ)	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء : ٣٦) .
المبْنَى (بَيْنِي عَادَمَ)	بَيْنِي عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف : ٣١)
المبْنَى (أَبْنُ مَرْيَمَ) و (بَنِي إِسْرَءِيلَ)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف : ١٤) .
	أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ

العلم المبهم في قوله تعالى : (ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ) ويقصد به زيد بن حارثة .	فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ (الأحزاب : ٥)
العلم المبهم في (اسماء المؤمنات المهاجرات) قيل إنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وقيل إنها نزلت في أمية بنت بشر امرأة أبي حسان بن الدحاحة وقيل إنها نزلت في سعيدة امرأة صيفي .	: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الممتحنة : ٥) .
المبنى (بني إسرائيل)	﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّي فَأَرْهَبُونِ ﴿٥﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ذِمَّتًا قَلِيلًا وَإِنَّي فَأَتَّقُونِ﴾ (البقرة : ٥٥-٥٦) .
المبنى (بيني آدم)	﴿يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الاعراف : ٧) .
العلم المبهم (الذين في قلوبهم مرض) هو عبد الله بن أبي.	﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوهُ عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِينِ
العلم المبهم في (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) هو عيينة بن حصن الفزاري حين قال انا أشرف مضر وأجلها .	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (الكهف : ٨٨) .
أما بنو إبراهيم فسمي منهم في القرآن اسماعيل وإسحاق ، وسمى منهم الكلبي (مدن ، ومدنين ، وبقشان ، ورمزان ، وأشباق ، وشوح ، وناقس ، وكيشان ، ولوط ، وأميم ، وقنطور) ، أما بنو يعقوب (يوسف ، بنيامين ، روبيل ، يهوذا ، شمعون ، ولاوي ، ودان ، ونفثالي ، وجاد ، وربالون ، ويشجر ، ودان) .	: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنْ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٢)
العلم المبهم في (إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب) هم عمرو بن شاس وأوس بن قبطي وجبار بن صخر .	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿٥٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

	حَقُّ ثِقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (ال عمران : ١٥٠)
المبنى (ابن السبيل)	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا لَدَيْنِ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلُ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢١٥)
العلم المبهم في (يسألونك) السائل هو معاذ بن جبل .	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ (البقرة : ٢١٥)
العلم المبهم هو (النهر) واسمه نهر قرقمق بحلب .	: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (ال عمران : ٤٤)
العلم المبهم في (يسألونك) والسائل هو ممل بن ابي قشير ، وشمويل بن زيد .	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ (الأعراف : ١٧٧)
العلم المبهم (السامري) واسمه موسى بن المظفر .	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسَيْرِي ﴾ (طه : ٦٥)
العلم المبهم (امرأتين) هما هماليا وصفوريا ابنتا شعيب وقيل ابن اخي شعيب .	وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص : ٢٣)
العلم المبهم هو أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان : ٢٥)
العلم المبهم هم (السحرة) وسبق ذكرهم في آية سابقة .	﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف : ١١٣-١١٤)
المبنى (ابن الله) .	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ أِبْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أِبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَلَمْ نَكُنْ أَلَمْ نَقُولُ﴾ (التوبة : ٣٤)
العلم المبهم في (وقالوا) القائلين هم : زمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، وعبد بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف ، والعاص بن وائل .	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٥)
العلم المبهم (اسم الرجلين) وهما اسم الخير منهما تملیخا والآخر موطس .	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (الكهف : ٦٥)
العلم المبهم (على رجل ، القريتين) القريتان : مكة والطائف ، والرجلان هما : الوليد بن المغيرة من مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، وقيل عمير بن عبد ياليل الثقفي .	﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف : ٢١)
العلم المبهم في (اولوا الفضل) هو أبو بكر الصديق .	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور : ٢٢)
آيات الفصل الثالث	
المبنى (ابن مريم) .	﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة : ١١٥).
المبنى (لبنی إسرائیل).	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (ال عمران : ٩٣) .

العلم المبهم (الفتيان اللذان مع نبي الله يوسف في السجن) اسم احدهما سرهم والآخر سرهم ، وقال الطبري الذي يعصر خمرًا هو بتو .	﴿ نَبَّأْنَا بِتَاوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٢١).
العلم المبهم (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أئني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام ﴾ (البقرة: ٢٥٩).	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).
نزلت في يهود خيبر	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٩).
المبنى (بني آدم) .	﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَىكُم يَبْنَى عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (يس: ٦٠).
العلم المبهم (فَتَيْنَكُم) هما أمتان لعبد الله بن ابي بن سلول اسم الواحدة معاذة ، والأخرى مسيكة .	﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣).
المبنى (ابن أم) ، و (بني اسرائيل) .	﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (طه: ٥٩).
العلم المبهم (ملكة سبا) وهي بلقيس بنت هداد ابن شرجيل .	﴿ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٢٥).
المبنى (بني إِسْرَءِيل) .	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أْبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢١٥).
المبنى (بني آدم) .	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي عَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف : ٣٦) .
المبنى (ابن الله) .	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُنَّ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٠) .
العلم المبهم (الإنسان) يريد أمية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره .	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: ٦) .
العلم المبهم (أوتوا الْعِلْمَ) قيل هو عبد الله بن مسعود .	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ عَائِنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ٥٣) .
العلم المبهم هو مالك ابن الصيف ويقال فيه مالك بن الصيّب كان قد قال والله ما أخذ علينا عهدا في كتابنا أن	﴿ أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٠) .

نؤمن بمحمد ولا ميثاق فنزلت الآية .	
المكنى (أخت هرون) .	﴿ يَتَّخِذْ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴾ (مريم: ٢٨) .
العلم المبهم هي المرأة واسمها ربيعة بنت سعد بن زيد بن مناة بن تميم ويقال هي من قريش وكانت تغزل ثم تنقض غزلها فضربت العرب بها المثل في الحمق ونقض ما أحكم من العقود وأبرم من العهود .	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ (النحل: ٩٤) .
المبنى (ابن مريم) و (بنى إسرائيل) .	﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٢) .
العلم المبهم (شجرة طيبة) هي النخلة .	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (ابراهيم: ٦٥) .
العلم المبهم (كشجرة خبيثة) هي الحنظلة وقيل الكشوث : وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض .	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (ابراهيم: ٦٥) .
العلم المبهم (لمن ألقى إليكم السلام) هو مرداس بن نهيك الغطفاني قتله أسامة بن زيد في سرية بعد أن حيا المسلمين بتحية الإسلام فعاتبه النبي على قتله وقال أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فقال إنما قالها متعوذاً فقال له النبي هلا شققت عن قلبه حتى تعلم هل قالها متعوذاً أم لا !!	﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النساء: ٦٤) .
المبنى (بنى عاد) .	﴿ يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تَكُمُ وَرَيْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣١) .
العلم المبهم (الشعراء) قيل إنه عنى بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك كانوا يذبون عن عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويذكرون الله تعالى في أشعارهم ويمدحون النبي .	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٣٥-٣٦-٣٧) .
الأشهر هي (شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، وقيل ذو الحجة .	﴿ الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧) .
المبنى (ابن السبيل) .	﴿ وَءَاتَى الْوَالِدَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٧٧) .
المكنى (أبي لهب) .	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ ﴾
العلم المبهم (الظالم) وهو عقبة بن ابي معيط .	﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٥) .
العلم المبهم هو كعب بن الأشرف النضيري من بني النضير قال لقريش أنتم أهدى من محمد سيلا ، وقيل هم	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحُبُوبِ وَالظَّالِمِينَ وَلَٰكِن لَّا يَذَّكَّرُونَ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ

عَامِنُوا سَبِيلًا ﴿النساء: ٥٩﴾ .	حيي بن أخطب والربيع وسلام ابنا أبي الحقيق ورجوح وأبو عمار قالوا ذلك لقريش حين سألوهم أنحن أهدى أم محمد فنزلت هذه الآية .
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امَّخِذُونِي وَأَتَمِّ إِلَهُيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (المائدة : ١٣٦) .	المبني (ابن مريم) .
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء : ١٦٦) .	المبني (ابن مريم)
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الانفال : ١٠٤) .	العلم المبهم في السائلين ومنهم سعيد بن أبي وقاص .
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَقُّ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٥) .	العلم المبهم في السائلين ومنهم (معاذ بن جبل وقيل عمرو بن الجموح) .
آيات الفصل الرابع	
﴿وَأُتِلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٣٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة : ٢٧ - ٢٨) .	المبني (ابن آدم) ، وهما مبهمان (قابيل و هابيل) .
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (ال عمران : ٢٣ - ٢٤) .	العلم المبهم في (إلى الذين أوتوا نصيبا) هما النعمان بن عمرو والحارث بن زيد .
﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوجَ الْأَمْرِ لِلَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٦) .	هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وثلاثتهم تخلفوا عن غزوة تبوك ، ولم يكن تخلفهم نفاقا ولا كراهية ولكنهم شغلوا عند خروج الجيش وهم يحسبون أنهم يلحقونه وانقضت الأيام وأيسوا من اللحاق .
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧) .	المكني (أُمُّ الْقُرَى) .
﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً	المكني (ابن السبيل) .

	بَيْنَ الْأَغْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْنَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُم عَنْهُ فَأْتُواهُوَ وَأَتُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٠﴾ (الحشر:٥٠).
العلم المبهم (أَمْرًا مُؤْمِنَةً) قيل هي أم شريك الأنصارية اسمها (غزية) وقيل (غزيلة) ، وقيل : هي ليلي بنت حكيم ، وقيل : ميمونة بنت الحرث ، وقيل : أم شريك العامرية .	: ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّحْيِ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الاحزاب:٥٠).
المبني (بنِي إِسْرَءِيلَ) .	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:٣٢) .
العلم المبهم (مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ) هو حبي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب .	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٥٧) .
العلم المبهم (خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) هم من بني اسرائيل كانوا على عهد حزقيال النبي خرجوا فراراً من الطاعون .	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلُ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:٦٢) .
المبني (بنِي إِسْرَءِيلَ) .	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (غافر: ٥١-٥٢) .
المبني (بنِي عَادَمَ) .	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ٧٢-٧٣) .
المبني (بنِي إِسْرَءِيلَ)	﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (البقرة:٥٠) .
المبني (بنِي إِسْرَءِيلَ) ، و(ابْنُ مَرْيَمَ) .	: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٠ - ٧٤) .

العلم المبهم (الْأَعْرَابُ) وفد من بني أسد .	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فُلَ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات : ١٤) .
نزلت في أبي جهل بن هشام بن المغيرة .	﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿ ٢٣ ﴾ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿ ٢٤ ﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿ (القيامة : ٢٣-٢٤) .
المكنى (أُمُّ الْكِتَابِ) .	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ال عمران: ٧) .
العلم المبهم (الرسول) والمراد به جبريل .	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ ٥ ﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ ٦ ﴾ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ ﴿ ٧ ﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ (التكوير: ٥-٧) .
هم بنو فهر بن مالك بن النضر وأن دليلهم في الجاهلية كان يسمى قريشاً ، وقيل أول من سماهم بهذا الاسم قصي بن كلاب .	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿ ١ ﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الِشْتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿ ٢ ﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿ ٣ ﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ .
الكافرون هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف .	﴿ قُلْ يَتَّيْهَا الْكَافِرُونَ ﴿ ١ ﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ ٢ ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ ٣ ﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿ ٤ ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ ٥ ﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .
المبنى (أَبْنُ مَرْيَمَ) ، و (بَنِي إِسْرَءِيلَ) .	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِيْلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الصف : ٥) .
العلم المبهم في (المغضوب عليهم ، والضالين) وهم اليهود والنصارى .	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ١ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة : ١-٥) .
المبنى (أَبْنُ مَرْيَمَ) .	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (ال عمران : ٤٥) .
المبنى (بَنِي ءَادَمَ)	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَنَاءِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الاسراء

	٧٠ : .
العلم المبهم في (السِّبْقُونَ) السابقون محمد وأمه ، وأول سابق إلى باب الجنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).	﴿ وَالسِّبْقُونَ السِّبْقُونَ ٧٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ٧١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٧٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ٧٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٧٤ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ٧٥ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ٧٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّهُمْ خُذُّونَ ٧٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ٧٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ٧٩ وَفَكَهَتْهُمْ مِمَّا يَتَخَفَرُونَ ٨٠ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٨١ وَخُورٍ عَيْنٍ ٨٢ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ٨٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ٨٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ (الواقعة : ٧٠-٨٥).
وهو رفاعه بن زيد بن التابوت .	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (النساء : ٥٤) .
المبني (بني إسرائيل). والعلم المبهم (أنتي عشر نقيبا) وهم (شموع ، وشوقط ، وكالب ، وبورك ، ويوشع ، ويعلى ، وكرابيل ، وكدي ، وعمابيل ، وستور ، ويحيى ، وآل) .	: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة : ٣٢).
العلم المبهم (أو من كان ميثا فأحييته) ، هو عمار بن ياسر وقيل في عمر بن الخطاب ، وقوله تعالى (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) هو أبو جهل .	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الانعام : ١٢٢).
العلم المبهم (سبا) اسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل إنه أول من سبى فسمي سبا وقيل إنه أول من نتوج من ملوك اليمن .	﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي يَاقِينَ ﴾ (النمل : ٢٢).
قيل إنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي وكان يهزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).	﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةً ١٠١ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ١٠٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ١٠٣ ﴾ (الهمزة ١٠١-١٠٣) .
قيل أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان، وقيل نزلت في علي بن ابي طالب(عليه السلام).	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧٤) .
المبني (أبن مريم) ، و(بني إسرائيل) .	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَعَامَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٢٥) .

--	--

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١- الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي ، نادية رمضان النجار ، مؤسسة حورس الدولية ، ط١ ، ٢٠١٣ م .
- ٢- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق . محمد ابو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد ، المملكة العربية السعودية .
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الأمدي (٦٣١هـ) ، تعليق . عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٧هـ ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت .
- ٤- الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تعليق محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، الجبيل - السعودية ، ط٢ ، ٢٠٠٠ م .
- ٥- الأذكار من كلام سيد الأبرار (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، محيي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦هـ) ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة - الرياض ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ٦- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس اسماعيل الأوسي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
- ٧- استراتيجيات الخطاب التداولي في ألفية ابن مالك مقارنة إجرائية ، أشواق النجار ، كنوز المعرفة ، عمان - الاردن ، ط١ ، ٢٠٢١ م .
- ٨- استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقارنة تداولية ، د. باسم خيرى خضير ، مؤسسة علوم نهج البلاغة - العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة ، ط١ ، ٢٠١٧ م .
- ٩- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
- ١٠- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ١١- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية ، عطية سليمان أحمد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٤ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ١٢- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، تحقيق . محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة .
- ١٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين درويش ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ط٣، ١٩٩٢م .
- ١٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١، ٢٠١١م .
- ١٥- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام علي (عليه السلام) ، إيران - قم ، ط ١، ١٣٨٤ هـ . ش ١٤٢٦ هـ ، ق .
- ١٦- الانسجام الصوتي في خطب بهج البلاغة ، ظافر عبيس ، دار المنهجية ، عمان - الأردن ، ط١، ٢٠١٦م .
- ١٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(٦٨٥هـ) البيضاوي ، تحقيق . محمد صبحي و محمود أحمد ، دار الرشيد ، دمشق - بيروت ، ط١، ٢٠٠٠م .
- ١٨- أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى البلاغة الجديدة ، جميل حداوي ، مطبعة Rive- المغرب ، ط١، ٢٠٢٠م
- ١٩- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمّادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب منوبة ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية - تونس .
- ٢٠- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب الفزويني(٧٣٩هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١، ٢٠٠٢م .
- ٢١- البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي الغرناطي(٧٥٤هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٣، ١٩٩٣م .
- ٢٢- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ) ، تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د. ط ، د.ت .
- ٢٣- بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عادل عبد اللطيف ، منشورات ضفاف ، بيروت - لبنان ، ط١، ٢٠١٣م .
- ٢٤- البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، د. محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٥م .

.....المصادر والمراجع.....

- ٢٥- بلاغة الخطاب التعليمي والحجاجي في القرآن الكريم والحديث الشريف ، أيمن أبو مصطفى ، تقديم ، د. أبو بكر العزاوي ، دار النابغة ، طنطا ، ط١ ، ٢٠٢٠ م .
- ٢٦- البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط١ ، ١٩٨٥ م ، ط٢ ، ١٩٨٩ م ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ط٤ ، ١٩٩٧ م .
- ٢٧- البيان في شرح اللمع لابن جني ، الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي(ت٥٣٩هـ) ، تحقيق علاء الدين حمويّة ، دار عمار ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٨- تاريخ نظريات الحجاج ، فيليب بروتون ، وجيل جوتييه ، ترجمة محمد صالح ، مركز النشر العلمي ، السعودية ، ط١ ، ٢٠١١ م .
- ٢٩- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) ، تعليق . إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٣٠- التبصرة في أصول الفقه ، أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي الشيرازي(ت٤٧٦هـ) ، تحقيق . محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٠ م .
- ٣١- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، د. ط ، ١٩٨٤ م .
- ٣٢- تحفة المودود بأحكام المولود ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق عثمان بن جمعة ، دار عالم الفوائد ، د. ط ، د. ت .
- ٣٣- تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، السرد ، التنبير)، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧ م .
- ٣٤- التخمير ، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي(ت٦١٧هـ) ، تحقيق. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
- ٣٥- التداولية ، جورج يول ، ترجمة قصي العتابي ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- ٣٦- التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٦ م .
- ٣٧- التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- ٣٨- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة سيف الدين دغفوس ، ومحمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- ٣٩- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر حباشة ، دار الحوار ، سورية - اللاذقية ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ٤٠- التعريض في القرآن الكريم ، إبراهيم محمد عبد الله الخولي ، دار البصائر ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤م .
- ٤١- التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) ، تحقيق عبدأ.مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٩٨٧م .
- ٤٢ - التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة .
- ٤٣- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، مراجعة . أحمد عمر هاشم ، أخبار اليوم .
- ٤٤- تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م .
- ٤٥- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ط١، ٢٠٠٠م .
- ٤٦- تفسير مبهمات القرآن ،أبو عبد الله محمد بن علي البنسي (ت٧٨٢هـ) ، تحقيق. حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٩٩٠م .
- ٤٧- تهذيب اللغة ، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى(ت٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، الدار المصرية ، القاهرة .
- ٤٨- التوقيف على مهمات التعريف ، عبد الرؤوف محمد بن تاج العرافين بن علي المناوي الشافعي(١٠٣١هـ)، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م .
- ٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط١، ٢٠٠٢م .
- ٥٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي(ت٤٢٩هـ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ط، د. ت .
- ٥١- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م .
- ٥٢- جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، تحقيق. اسماعيل العقباوي ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٧م .
- ٥٣- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي(٧٤٩هـ) ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٩٩٢م .

.....المصادر والمراجع.....

- ٥٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، تعليق محمد رضوان ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط١ ، ١٩٩٩ م .
- ٥٥- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، المحلى (ت٨٦٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) ، تصحيح علي محمد الضباع ، دار الجيل ، بيروت ، د. ط ، د. ت .
- ٥٦- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم الأمين ، الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- ٥٧- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، ط٢ ، ٢٠١١ م .
- ٥٨- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م .
- ٥٩- الحجاج في قصص الأمثال القديمة مقارنة سردية تداولية ، د. عادل بن علي الغامدي ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٦ م .
- ٦٠- الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ، د. عايد جدوع حنون ، مؤسسة وارث الأنبياء ، النجف - العراق ، ط١ ، ٢٠١٧ م .
- ٦١- الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته ، د. باسم خيرى خضير ، دار صفاء ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٩ م .
- ٦٢- حجاجية الشروح البلاغية وابعادها التداولية ، د. فضيلة قوتال ، كنوز المعرفة ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠١٧ م .
- ٦٣- حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، محمد بن الحسين الشريف الرضي ، مؤسسة كاشف الغطاء ، دار الأضواء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ م .
- ٦٤- حوارات القرآن الكريم مقارنة تداولية ، مسعودة مرسلتي ، دار أفكار ، سورية - دمشق ، ط١ ، ٢٠١٩ م .
- ٦٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ، تحقيق . عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧ م .
- ٦٦- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق . محمد علي النجار ، المكتبة العلمية .
- ٦٧- الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٦ م .
- ٦٨- الخطاب الحائد في العربية ، د. جاسم خيرى الحلفي ، دار كنوز ، ط١ ، عمان ، ٢٠٢٠ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ٦٩- الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم ، د.عبد الرحمن الحاج صالح ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- ٧١- الخطاب والسلطة ، توين فان دايك ، ترجمة غيداء العلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م .
- ٧٢- الخطاب والنص " المفهوم .العلاقة . السلطة " ، د.عبد الواسع الحميري ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١٤م .
- ٧٣- الخطابة ، ارسطو طاليس ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ودار القلم ، بيروت - لبنان .
- ٧٤- دائرة الأعمال اللغوية ، شكري المبخوت ، دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ٧٥- دراسات فنية في صور القرآن ، محمود البستاني ، مؤسسة الطبع ، الاستانة الرضوية - مشهد ، ط١ ، ١٤٢١ق.١٣٧٩ش .
- ٧٦- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، تعليق . محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- ٧٦- دلالة الزمن في العربية ، عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
- ٧٧- ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، حسين الأعلمي ، مؤسسة النور ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- ٧٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي(ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د. ط ، د. ت .
- ٧٩- السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ، علي آيت أوشان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- ٨٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٥٥م ،
- ٨١- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين أبو البقاء يعيـش بن علي بن يعيـش الموصلي(ت٦٤٣هـ) ، تحقيق أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ٨٢- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب (ت ٦٨٦هـ)، تحـ يحيى بشر المصري ، الإدارة العامة للثقافة والنشر للجامعة ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٩٦م ، القسم ٢ ، مج ١ .

.....المصادر والمراجع.....

- ٨٣- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن العظيم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١ م .
- ٨٤- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، محمود توفيق ، مطبعة الأمانة - مصر ، ط١ ، ١٩٩٣ م .
- ٨٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي(ت٧٤٥هـ) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- ٨٦- على طريق التفسير البياني ، د. فاضل صالح السامرائي ، نشر جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٢ م .
- ٨٧- العدول في الجملة القرآنية ، عبد الله خضر حمد ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، د.ط ، د.ت .
- ٨٨- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- ٨٩- علم الأصوات ، برتيل مالمبرج ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب .
- ٩٠- علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- ٩١- علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .
- ٩٢- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٦ م .
- ٩٣- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عز الدين ناجح ، مكتبة علاء الدين ، ط١ ، صفاقس - تونس ، ٢٠١١ م .
- ٩٤- فروع الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨هـ / ٣٢٩هـ) ، منشورات الفجر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٩٥- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري (ت٤٧١هـ) ، تحقيق . محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة .
- ٩٦- الفلسفة واللغة نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة ، الزواوي بغوره ، دار الطليعة - بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
- ٩٧- فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، مصر .
- ٩٨- الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم ، عطية سليمان أحمد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة .

.....المصادر والمراجع.....

- ٩٩- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٠ م .
- ١٠٠- في بلاغة الخطاب من بديع اللفظ الى بديع التأويل ، مصطفى رجوان ، تقديم ، محمد بازي ، دار كنوز المعرفة ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٢٠ م .
- ١٠١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٢ م ، ط٣٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٠٢- في قضايا الخطاب والتداولية ، د. ذهبية حمو الحاج ، كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٦ م .
- ١٠٣- في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٨ م .
- ١٠٤- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، مراجعة أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- ١٠٥- القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشر - آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين محجوب ، دار سيناترا ، تونس ، ٢٠١٠ م .
- ١٠٦- القراءة الحداثية للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب ، حكيم سلمان السلطاني ، دار كنوز المعرفة ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٨ م .
- ١٠٧- كتاب اللامات ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفكر ، سورية - دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٥ م .
- ١٠٨- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- ١٠٩- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي ، تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- ١١٠- الكنى والأسماء ، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) ، تحقيق عبد الرحيم محمد القشقرى ، ط١ ، ١٩٨٤ م .
- ١١١- لسان العرب ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، دار صادر ، بيروت .
- ١١٢- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ١١٣- لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب ، د. ذهبية الحاج حمو ، دار الأمل ، المدينة الجديدة -
تيزي وزو ، ط٢ ، ٢٠١٢م .
- ١١٤- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ،
بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .
- ١١٥- لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال ، محمود عكاشة
دار النشر للجامعات، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- ١١٦- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسّان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب ،
١٩٩٤م .
- ١١٧- اللغة والخطاب ، أبو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت - لبنان ، ط١ ،
٢٠١٠م .
- ١١٨- لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي .
- ١١٩- مبادئ التداولية، جيوفري ليتش ، ترجمة عبد القادر فيني ، إفريقيا الشرق ، ٢٠١٣م .
- ١٢٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله أبو الكرم محمد بن عبد
الكريم ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) ، تعليق . أحمد الحوفي ، و بدوي طبانة ، دار نهضة ، مصر ،
ط٢ .
- ١٢١- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد ، مكتبة
الخانجي ، القاهرة ، ط٣ .
- ١٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ) ، دار
المرتضى ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- ١٢٣- مجمل اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- ١٢٤- المدخل إلى علم اصوات العربية ، د. غانم قدوري حمد ، دار عمار ، عمان - الأردن ،
ط١ ، ٢٠٠٤م .
- ١٢٥- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧م .
- ١٢٦- المرصع في الآباء والامهات والبنين والبنات والأنواء والنوات ، مجد الدين المبارك بن
محمد ابن الأثير(ت٦٠٦هـ) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ،
ط١ ، ١٩٩١م .

.....المصادر والمراجع.....

- ١٢٧- المصباح المنير ، أحمد بن محمد علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، د. ت .
- ١٢٨- معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق . محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ .
- ١٢٩- معاني القرآن وإعرابه ، أبو اسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، م .
- ١٣٠- معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، دار السلاطين ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- ١٣١- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٨م .
- ١٣٢- معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو ، دومينيك منغو ، ترجمة عبد الهادي المهيري ، دار سيناترا ، تونس ، ٢٠٠٨م .
- ١٣٣- المعنى وظلال المعنى ، محمد محمد يونس ، دار المدار الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٧م .
- ١٣٤- مفاتيح الغيب ، محمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٤هـ) ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م .
- ١٣٥- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، ط ٢ ، ١٩٨٧م .
- ١٣٦- مفحمت الأقران في مبهمات القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط ١ ، ١٩٩٢م .
- ١٣٧- المقابلة في القرآن الكريم ، بن عيسى باطاهر ، دار عمار ، عمان - الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
- ١٣٨- مقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ٢٠٠٧م .
- ١٣٩- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .
- ١٤٠- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .

.....المصادر والمراجع.....

- ١٤١- مقومات عمود الشعر الاسلوبية في النظرية والتطبيق ، رحمن غرغان ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ م .
- ١٤٢- من أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، محمد عبد الله سعادة ، مكتب بسملة ، الاسكندرية .
- ١٤٣- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- ١٤٤- المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط١٩٩٠ .
- ١٤٥- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب ، عمار ساسي ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، ط١ ، ٢٠١١ م .
- ١٤٦- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ١٤٧- النحو المصفى ، د. محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٩ م .
- ١٤٨- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ .
- ١٤٩- النص والخطاب والاتصال ، محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة - مصر ، د. ط١ ، ٢٠١٤ م .
- ١٥٠- النص والخطاب والإجراء ، دي بوجراند ، ترجمة د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- ١٥١- نظرية أفعال الكلام العامة ، أوستين ، ترجمة عبد القادر قينيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٩١ م .
- ١٥٢- النظرية البرجماتية اللسانية (التداولية) ، محمود عكاشة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣ م .
- ١٥٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٤هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د. ط١ ، ١٩٨٤ م .

- الرسائل والاطاريح الجامعية

- ١٥٤- استراتيجيات الخطاب في آيات الغيب دراسة تداولية ، رغد عبد ابو جاسم الحميداوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠٢٠ م .
- ١٥٥- استراتيجيات الخطاب في رواية وفاة الرجل الميت لـ" سعيد بو طاجين" ، نبيهة بن جدية ، مذكرة ماجستير ، جامعة قاصدي ، كلية الآداب ، مرباح - الجزائر ، ٢٠١٧ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ١٥٦- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ، محمد مدور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر - الجزائر ، ٢٠١٤ م .
- ١٥٧- بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع ، حمدي منصور ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بسكرة ٢٠١٦ م .
- ١٥٨- تداولية أدب الخطاب واستراتيجياته في سورة غافر ، هاجر أحمد المومني ، أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك - الأردن ، ٢٠١٤م - ٢٠١٥م .
- ١٥٩- ثلاثية الدوائر البلاغية دراسة بلاغية اسلوبية لشعر علي محمود طه ، حنان بنت عايش ، رسالة ماجستير ، جامعة طيبة ، كلية التربية للبنات - السعودية ، ٢٠٠٩م .
- ١٦٠- الحجاج في القرآن الكريم السور (القصار مثالا) ، مروة خضير ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإسلامية ، ٢٠١٩م .
- ١٦١- الحجاج في كتاب " المثل السائر " لابن الأثير ، نعيمة يعمرانن ، مذكرة ماجستير ، جامعة مولود معمري - كلية الآداب ، الجزائر ، ٢٠١٢م .
- ١٦٢- خصائص الاسلوب في سورة النمل ، أحمد بزيو ، رسالة ماجستير ، - جامعة الجزائر ، كلية الآداب ، ٢٠٠٦م / ٢٠٠٧م .
- ١٦٣- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الامامة والسياسة " لابن قتيبة ، ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م / ٢٠١٠م .
- ١٦٤- الدرس اللغوي في سورة المائدة دراسة نصية لسانية ، نسبية خميس جاسم ، أطروحة دكتوراه ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، عمان - الاردن ، ٢٠١٥م .
- ١٦٥- سياق الحال في الفعل الكلامي ، سامية بن يامنة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، كلية الآداب ٢٠١١م .
- ١٦٦- شعر المتنبي في ضوء نظرية أفعال الكلام ، محمد إبراهيم هريس جواد ، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار كلية الآداب ، ٢٠١٦م .
- ١٦٧- العدول في صيغ مشتقات القرآن الكريم دراسة دلالية ، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي ، رسالة ماجستير ، جامعة تعز ، كلية الآداب ، اليمن ، ٢٠٠٧م .
- ١٦٨- كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب ، عذراء سعيد عبد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ٢٠٢٠م .
- ١٦٩- كتاب المراجعات دراسة في استراتيجيات الخطاب ، علي محمد علي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية ابن رشد ، ٢٠١٧م / ٢٠١٨م .

١٧٠- مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني سورة الكهف نموذجاً ، خلوفي قدور ، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران - الجزائر ، ٢٠١٥ م .

البحوث العلمية

- ١٧١- الإبهام ودلالته في القرآن الكريم ، مهند جاسم محمد ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مج. ١٤ ، ع. ٤ ، ٢٠٠٧ م .
- ١٧٢- أثر التنعيم في التوجيه النحوي والدلالي ، هاتف بريهي شياح ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، مج. ١ ، ع. ١٦ ، ٢٠١٣ .
- ١٧٣- الإدعاءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ، د. حمدان رضوان أبو عاصي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، كلية فلسطين التقنية ، مج. ١٧ ، ع. ٥٧ ، ٢٠٠٩ م .
- ١٧٤- استراتيجيات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة طه نموذجاً) ، عبد الحليم بن عيسى ، مجلة أبحاث ، جامعة وهران - الجزائر ، ع. ٣ ، ٢٠١٦ م .
- ١٧٥- استراتيجية التخاطبية في السنة النبوية ، إدريس مقبول ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، مج ٨ ، ع. ١٥ ، ٢٠١٤ م .
- ١٧٦- الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول مقارنة تداولية ، شفيقة طوبال ، مجلة العمدة ، مج. ٣ ، ع. ٢٠١٩ م .
- ١٧٧- الاستعارة عند أحمد عبد المعطي حجازي ، دراسة على ضوء الاستراتيجية التلميحية ، مرضية فيروزبور ، الأدب العربي ، ع. ١ ، ٢٠١٩ م .
- ١٧٨- بنية الحجاج وآلياتها في سورة النبأ ، أمير فاضل سعد العبدلي ، مجلة أنساق ، كلية الآداب والعلوم - قطر ، مج. ١ ، ع. ١ ، ٢٠١٧ م .
- ١٧٩- تبادل الضمان في سورة الكافرون ، آلاء طارق ، وعائشة خضر ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، ع. ٤ ، مج ١٧ ، ٢٠١٠ م .
- ١٨٠- تجليات السخرية وأساليبها في نهج البلاغة الخطب المائة الأولى أنموذجاً ، سيد مهدي مسبوق ، رسول فتحي مظفري ، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية ، ع. ١ ، ٢٠١٩ م .
- ١٨١- تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي ، عبد الله علي الهتاري ، مجلة الدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب والألسن - جامعة ذمار - اليمن ، ع. ٢٢ ، ٢٠٠٦ م .
- ١٨٢- التداولية دراسة في المجالات والفروع ، علجية أيت ، الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو ، الجزائر ، ع. ٣٧ ، ٢٠٠٦ م .

.....المصادر والمراجع.....

- ١٨٣- تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحلل التداولي ، محمد العبد ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ع. ٦٥ ، ٢٠٠٤ م / ٢٠٠٥ م .
- ١٨٤- التكنية عند العرب ، أغراضها وموضعها ، علي أكبر فراتي ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية - جامعة بابل ، ع. ٣٩ ، ٢٠١٨ م .
- ١٨٥- التوجيه التربوي في الخطاب القرآني لبني إسرائيل ، صلاح الدين إبراهيم حماد ، مجلة جامعة الأقصى - فلسطين ، مج ١٢ ، ع. ٢ ، ٢٠١١ م .
- ١٨٦- الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن مقارنة ابستمولوجيا ، محمد حمودي ، مجلة حوليات التراث ، الجزائر ، ع. ١٢ ، ٢٠١٢ م .
- ١٨٧- الخطاب والسياق في لسانيات التراث ، عبد الوهاب صديقي ، مجلة جنور ، المغرب ، ع. ٤٠ / ٢٠١٥ م .
- ١٨٨- الخطاب بين الدرس اللغوي القديم واللسانيات ، عبد الحكيم سحالية ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم - الجزائر ، ع. ٩ ، ٢٠٠٩ م .
- ١٨٩- دلالة الكنية في القرآن الكريم ، د.كاظم داخل جبير ، مجلة المصباح ، العتبة الحسينية المقدسة ، ع. ٤٢ ، ٢٠٢١ م .
- ١٩٠- سورة قريش تحليلية تفسيرية ، بركاوي جليب ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، ع. ١٩ ، مجلد ١ ، ٢٠١٥ م .
- ١٩١- سيمياء أعلام أسماء الأشخاص - الكنية أنموذجا - إبراهيم برهمي ، مجلة دراسات ، جامعة الأغواط ، ع. ٤٢ ، ٢٠١٦ م .
- ١٩٢- قضايا التداولية في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، باديس لهويل ، مجلة رفوف ، جامعة احمد دراية أدرار- الجزائر ، ع. ٩ ، ٢٠١٦ م .
- ١٩٣- كشف البيان فن فوائد وأسرار المبهمات في القرآن ، حصة أحمد الغزال ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقااهرة ، جامعة الأزهر ، مج ١ ، ع. ٢١ ، ٢٠٠٣ م .
- ١٩٤- الكنية حقيقتها ، وميزاتها وأثرها في الحضارة والعلوم الإسلامية ، محمد رضا الحسيني ، مجلة تراثنا ، ع. ١٧ ، ١٤٠٩ هـ .
- ١٩٥- المبهمات في القرآن الكريم (تعريفها وأسباب وقوعها ، وضوابط تفسيرها)، زيد بن علي مهارش ، مجلة جامعة جازان ، السعودية ، مج. ٢ ، ع. ٢ ، ٢٠١٣ م .
- ١٩٦- مصطلح الحجاج بواعثه وآلياته ، عباس حشاني ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة - الجزائر ، ع. ٩ ، ٢٠١٣ م .

- ١٩٧- مفهوم (الخطاب) عند القدماء ، د. مصطفى عبد كاظم الحسناوي ، مجلة القادسية ،
جامعة القادسية - كلية التربية ، مج.١٧، ع. ٤، ٢٠١٧ م .
- ١٩٨- مقومات التنعيم ودلالاته ، عائشة خضر أحمد البدراني ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ،
مج.١٨، ع. ١١، ٢٠٢٠ م .
- ١٩٩- نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ملاوي صلاح الدين ، مجلة كلية الآداب
والعلوم الإنسانية ، مج. ٢، ع. ٤، ٢٠٠٩ م .
- ٢٠٠- نقد الحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن ، مصطفى العادل ، دورية نماء لعلوم الوحي
والدراسات الإنسانية ، العددان ٨-٩، ٢٠٢٠ م .

- المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت

- ٢٠١- حول تجديد آليات فهم النص المقدس ، موقع جريدة المدى ، ع ٤٠٩٨، ٢٠١٧ م ، بحث
منشور على شبكة الأنترنت .

And the first chapter: bears the title of the solidarity strategy, in which I mentioned the principle on which it is based in the West and the Arabs, and I defined it and mentioned its justifications and in the Qur'an and dealt with the tools and mechanisms that the speaker employs to achieve this strategy. Our choice of verses was limited to those spoken about humans, so we did not discuss verses that contain a discourse between God and his prophets, nor vice versa, nor verses that are a discourse to all people .

And the second chapter: It bears the title of the guiding and allusive strategy, and it dealt with their definition, what the West put forward about them, and their stages. I mentioned the justifications for the guiding and allusive strategy as stated by al-Shihri, and its justifications in the Qur'an. Because they emanate from one subject, which is (speech verbs) as Searle divided them, although they differ in method, application and standard, but they meet under the same subject, and they are limited to requests

The third chapter: It bears the title of persuasion strategy. The research began with an introduction on the differentiation between means and strategy. Some researches bear the name of the pilgrims' strategy, and pilgrims are a means and not a strategy according to what al-Shahri brought. The definitions of pilgrims, their justifications and origins are mentioned, and they dealt with the mechanisms of persuasion, linguistic tools, and linguistic verbs. Rhetorical mechanisms, and the argumentative ladder. Finally, I dealt in the conclusion with the most important results that I reached. The method I followed is the analytical method .

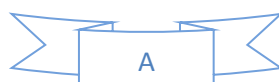
Abstract

The Holy Qur'an has received attention and care from scholars and researchers since it was received by the Noble Messenger and to this day, and this race will remain between linguistic studies to understand the Qur'anic text, and to find out the secrets of its miraculousness. Because of the diversity of his discourses according to the different addressees, so the sender and the message are united, the recipients are multiplied, and their races and natures are different, so it is a discourse to humans, jinn and all creatures. Communication process, achieving goals and objectives.

And the Qur'anic text is directed to all people, as it addresses them in every time and place, and then makes the recipient active in the discourse, and has the role of the participant in reading and interpreting the text to reach the end, so it can be realized based on what he possesses of knowledge, or the context, and this is what it seeks to achieve. The deliberative process that made the discourses a communicative process between the speaker and the receiver, and they cannot be isolated from the discourse. Since the sender in the Qur'an is characterized by perfection and he is the one who knows and encompasses everything, he made his speeches characterized by what our minds perceive, so he addressed us according to what we understand. He was among the conversations spoken about humans in stories and others .

The research sample chosen by the researcher is the verses that include nicknames and vague flags. The research was tagged with (discourse strategies in the verses of the nickname, the predicate, and the ambiguous flags in the Holy Qur'an), an approach in the deliberative direction The research came in three chapters preceded by an introduction and a preface and concluded with the most important results .

The preamble: contains the definition of science and its divisions, the definition of Quranic science, the nickname, its divisions and purposes, the ambiguities and their causes, the definition of the discourse, and the strategy .



Republic of Iraq



Ministry of Higher Education and Scientific

AL-Muthanna University\ College of Education for Human Sciences

Department of Arabic Language

Discourse strategies in the verses of the nickname, the predicate, and the ambiguous flags in the Holy Qur'an

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for Humanities
,University of AL-Muthanna in Partial fulfillment for Requirements of the
Degree of Master of Arabic Language and its Literature\Language

By

Raghad Hamza Khudair Abbas

Supervised By

Prov. Dr. Kadim Dakhil Jubrir,

2021A.D

1443.A.H